

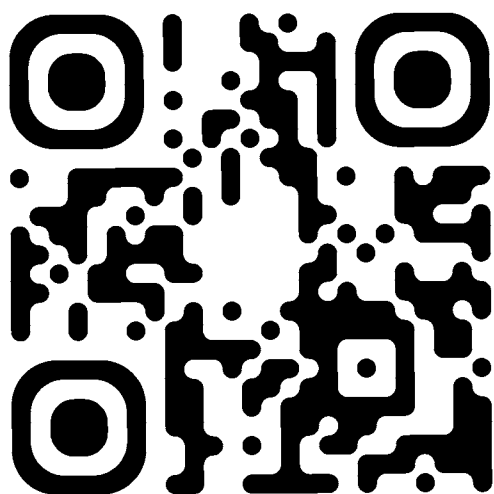
تایلور جنکینز رید

ربما
في
حياة
مكتبة
أخرى

رواية

المركز الثقافي العربي





سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

تايلور جنكينز ريد

رُبما في حياة أخرى

العنوان الأصلي للرواية:

Taylor Jenkins Reid
Maybe in Another Life

© 2015 by Taylor Jenkins Reid
All rights reserved

مكتبة
t.me/soramnqraa

الكتاب

رُبما في حياة أخرى

تأليف

تايلور جنكينز ريد

ترجمة

رشا المالكي

مراجعة

هيئة التحرير

في المركز الثقافي العربي

الطبعة

الأولى، 2023

الإيداع القانوني:

2023MO2472

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9920-657-65-5

جميع الحقوق محفوظة

© المركز الثقافي العربي

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء - المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 - 0522 307651

فاكس: +212 522 305726

Email: markaz.casablanca@gmail.com

تایلور جنکینز رید

مکتبة

t.me/soramnqraa

رُبَمَا فِي حَيَاةٍ أُخْرَى

رواية

ترجمة: رشا المالكي



المركز الثقافي العربي

إلى إيرين، وجوليا، وسارة، وتمارا،
وجميع النساء الأخريات اللاتي قُدِّر لي أن ألتقيهن.
أمل أن نعرف بعضنا بعضاً في أكوان عديدة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

كان من الجيد أن أحجز مقعداً مجاوراً للممر، لأنني كنت آخر شخص يصعد إلى الطائرة. كنت أعلم أنني سأتأخر عن رحلتي لأنني تعودت التأخر عن كل شيء تقريباً. لذلك حرصتُ منذ البداية أن أحجز مقعداً مجاوراً للممر، لأنني لا أريد دفع الناس للوقوف ليفسحوا لي المجال حتى أحشر نفسي وأجلس. لهذا السبب أيضاً لا أذهب إلى دورة المياه في قاعات السينما أثناء مشاهدتي للأفلام، مع أنني أشعر دائماً بالحاجة لذلك.

مشيت في ممر الطائرة الضيق إلى مقعدي وأنا أحضن حقيبتني، مُحاولَةً تفادي الاصطدام بأي أحدٍ من المسافرين. ارتطمت بكوع رجلٍ فاعتذرت له مع أنه لا يبدو أنه انتبه لذلك، وبينما بالكاد لامست ذراع امرأة حتى نظرت إليَّ بوجهٍ متجهم كأنني وخزتها برأس رمح. فتحت فمي لأعذر لها ثم غيّرت رأبي.

وجدت مقعدي في الطائرة بسهولة لأنه كان المقعد الوحيد الشاغر.

كان الهواء راكداً، والموسيقى الهادئة تعم المكان، وحديث

المسافرين حولي لا يقطعه سوى صوت إغلاق مقصورات الحقائق بقوة.

وصلت إلى مقعدي وجلست، ابتسمتُ في وجه المسافرة بجواري، امرأة بدينة وأكبر مني سناً، اختلط سواد شعرها القصير ببياضه. وضعتُ حقيبتني أمامي، وربطت حزام الأمان، وعدلت مقعدي إلى الوضعية القائمة، ورفعت طاولة الطعام أمامي، ثم أغلقت جميع أجهزتي الإلكترونية. لقد تعلمت أن أبرع في إنجاز كل شيء بسرعة وسلاسة لتعويض الوقت الضائع، لكوني متأخرة دائماً.

ترأى لي خارج نافذتي بعض حمالي الأمتعة. كانوا يرتدون ملابس سميكة تحت معاطفهم المزودة بأشرطة النيون. أنا سعيدة بالتوجه نحو منطقة ذات مناخ أكثر دفئاً. التقطتُ إحدى مجلات الطائرة لأطالعها خلال الرحلة.

لم يمض وقت طويل حتى علا صوت هدير محركات الطائرة وهي تتحرك على مدرج المطار، ثم ما لبثت العجلات أن انطوت تحت جسم الطائرة وهي تصعد في الهواء. التفتُ نحو المرأة الجالسة في المقعد المجاور، فرأيتها تحكم قبضتها على مسندَي الذراعين وتبدو مذعورة.

أنا لا أخاف الطيران. أخاف أسماك القرش والأعاصير والسجن ظُلماً. أخاف ألا أتمكن من إنجاز شيء ذي أهمية في حياتي، ولكنني لا أخاف الطيران.

أعدتُ النظر مرة أخرى فإذا المرأة التي بجانبني قد امتقع لونها من شدة التوتر.

أعدتُ المجلة داخل جيب المقعد وقلت لها: «لست من محبي

الطيران، هه؟!». عندما أشعر بالتوتر، دائماً ما يساعدي تجاذب أطراف الحديث مع الآخرين على الاسترخاء، وإذا كان هذا سيساعدها، فهو أقل ما يمكنني فعله.

التفتت المرأة نحوي ونظرت إليّ بينما كانت الطائرة تصعد في الهواء وقالت وهي تبتسم بحزن: «للأسف لا، أنا لا أغادر نيويورك كثيراً، وهذه أول مرة أسافر فيها إلى لوس أنجلوس».

- «حسناً. أنا كثيرة الترحال، وما سأقوله لك سيهوّن عليك. في كل رحلة جوية تكون مرحلتا الإقلاع والهبوط هما الأصعب. بقيت ثلاث دقائق تقريباً وتنقضي مرحلة الإقلاع، ثم هناك حوالي خمس دقائق في نهاية الرحلة عند الهبوط قد تكون صعبة بعض الشيء، أما بقية الرحلة... فستكون شبيهة بركوب الحافلة، وبالتالي كل ما تبقى لك هو ثمان دقائق مزعجة فقط، ثم تجديد نفسك في كاليفورنيا».

واصلت الطائرة الارتفاع بزاوية حادة تدرجت معها زجاجة مياه مُلقاة في الممر.

سألت: «ثمان دقائق فقط؟».

أومأت برأسي: «أجل، هذا كل ما في الأمر. هل أنت من سكان نيويورك؟».

أومأت بالإيجاب. «وماذا عنك؟».

هزرت كتفيّ وأجبت: «كنت أعيش في نيويورك، ولكنّي سأعود الآن إلى لوس أنجلوس».

انخفضت الطائرة بشكل مفاجئ ثم استوت ثانية وهي تشق طريقها بين السحب. أخذت المرأة تتنفس بعمق. عليّ أن أعترف أنني شعرت ببعض الغثيان.

واصلت كلامي قائلةً: «لكنني لم أمكث في نيويورك إلا تسعة أشهر تقريباً».

نجح حديثي في صرف انتباهها عن المطب الهوائي وتهدة روعها.

- «تنقلت قليلاً في الآونة الأخيرة. لقد ذهبت إلى الجامعة في بوسطن ثم سكنت في واشنطن، ثم في بورتلاند في أوريغون، وبعدها في سياتل، ثم أوستن في تكساس، ثم نيويورك، المدينة التي تتحقق فيها الأحلام، على الرغم من أنها ليست كذلك بالنسبة لي، لكنني نشأت في لوس أنجلوس، لذا يمكنك القول إنني عائدة إلى لوس أنجلوس مسقط رأسي، ولكنني لا أدري إن كنت أستطيع أن أدعوها موطني».

سألتنني بصوت متوتر وهي تنظر إلى الأمام: «أين هي عائلتك؟».

- «انتقلت عائلتي إلى لندن عندما كنت في السادسة عشرة من عمري إثر قبول أختي الصغرى سارة في مدرسة الباليه الملكية ولم يشأ والديّ تفويت هذه الفرصة، فبقيت في لوس أنجلوس وأنهيت دراستي».

- «هل عشت بمفردك؟».

يبدو أن صرف انتباهها قد جاء بنتيجة.

- «عشتُ مع عائلة صديقتي المقربة حتى تخرجت من المدرسة الثانوية، ثم سافرت للدراسة في الجامعة».

استوت الطائرة وأبلغنا الرّبان بمدى ارتفاعنا، فأرخت قبضتيها عن مسندي الذراعين وأخذت نفساً عميقاً.

قلت لها: «أرأيت؟ مثل ركوب الحافلة».

قالت: «شكراً لك».

- «العفو».

بينما كنت ألتقط المجلة مجدداً، شخصت المرأة ببصرها خارج النافذة لكن سرعان ما عادت والتفتت باتجاهي متسائلة: «هلا أخبرني لماذا تتنقلين كثيراً؟ أليس ذلك صعباً عليك؟»، ثم استدركت مشفقة: «ها أنا أعاملُك كأني والدتكِ حالما استرددت هدوئي».

ضحكت معها وقلت: «لا، لا، لا بأس في ذلك».

أنا لا أنتقل من مكان إلى مكان عمداً. لا يتخذ المرء قراراً واعياً بأن يكون من الرُّحَّل، على الرغم من أنني أدرك أن كل خطوة هي قراري الخاص الذي يعتمد على شعوري المتزايد بأنني لا أنتمي إلى المكان الذي أتواجد فيه، مندفعاً بالأمل بأن أجد موطناً أنتمي إليه حقاً في المستقبل.

قلت: «أعتقد أن... لا أعلم».

يصعب عليّ شرح موضوع كهذا، خاصة لشخص بالكاد أعرفه، لكنني أردفت بعد ذلك قائلة ببساطة: «لم أعثر على مكان يُشعرني بأنه موطني».

نظرتُ إليّ مبتسمة وقالت: «أنا آسفة. من المؤكد أن هذا الأمر صعبٌ عليك».

هززت كتفيّ، لأنه مجرد دافع. فدافعي دائماً هو أن أتجاهل الأمور السيئة، وأركض تجاه الأمور الإيجابية.

لكنني حالياً لا أشعر بالرضا عن دوافعي. لست متأكدة أنها تأخذني إلى حيث أريد الذهاب.

توقفت عن هزّ كتفيّ .

وبما أننا لن نلتقي مجدداً بعد هذه الرحلة، ارتأيت أن أخطو خطوة إلى الأمام وأبوح لها بأمرٍ لم أعترف به لنفسيّ إلا مؤخراً .
- «يُراودني أحياناً شعور بالخوف من أنني لن أعثر أبداً على مكانٍ يمكن أن أعتبره موطني» .

وضعت المرأة يدها على يدي مُطمئنة للحظة ثم قالت :
«ستجدينه، أنت لا زلت صغيرة ولديك الكثير من الوقت» .
تساءلت عما إذا كان بإمكانها معرفة أنني في التاسعة والعشرين من عمري وتعتبره سنّاً صغيراً، أم أنها تعتقد فعلاً أنني أصغر سنّاً .
قلت : «شكراً لك، سيدتي» .

سحبت سمّاعتي من حقيبتيّ ووضعتها في أذنيّ وقلت ضاحكة :
«هل لي أن أحدثك عن خياراتي المهنية السيئة خلال آخر خمس دقائق من الرحلة؟ سيشتت ذلك انتباهك حتماً» .
انفجرت أسارير وجهها ثم انفجرت ضاحكة : «سأعتبر ذلك خدمة شخصية» .

2

عندما اجتزت البوابة، رأيت صديقتي غابي ترفع لوحة كُتِبَ عليها «هانا ماري مارتن»، كما لو أنني لن أتمكن من التعرف عليها، كما لو أنها لم تكن رفيقة عمري.

ركضت نحوها، وعندما دنوت منها، رأيت أنها رسمت صورة لي بجانب اسمي على اللوحة. كان رسماً بسيطاً ولكن ليس بالسيئ. هانا التي رسمتها غابي على اللوحة لديها عينان واسعتان ورموش طويلة وأنف ناعم وفم خطّته جرة قلم. شعري لم يكن سوى كعكة ضخمة أعلى رأسي. والشيء الوحيد الذي يجذب الانتباه هو صدري المكتنز أعلى الخط الذي رسمته غابي ليمثل جسدي.

لم يعكس الرسم الصورة التي أرى فيها نفسي، ولكن للإنصاف، سأبدو في أي رسم كاريكاتوري عبارة عن صدرٍ مكتنز وتسريحة شعر على شكل كعكة عالية. كما يتم تمثيل ميكى ماوس بأذنيه الدائريتين وقفازيه، أو مايكل جاكسون بجواربه البيضاء وحذائه الأسود.

ليت غابي ركّزت على شعري البني الغامق وعينيّ الخضراوين الفاتحتين، ولكنني أفهم أن خياراتها في استخدام الألوان كانت محدودة لاستعمالها قلم حبر جاف.

بالرغم من أنني لم أقم بزيارة غابي منذ أن حضرتُ حفل زفافها قبل سنتين، كنا نتواصل كل صباح أحد عبر محادثات الفيديو، بغض النظر عن برنامجنا أو مدى تعبنا من سهرة ليلة السبت. كانت تلك المحادثات أكثر شيء انتظاماً في حياتي.

غابي ذات بنية صغيرة وهيفاء كغصن شجرة، شعرها متوسط الطول وجسمها ضامر. أتذكر كيف كان ينتابني شعور غريب كلما عانقتها لأنها أصغر مني بكثير، وكيف نبذو مختلفتين للوهلة الأولى. أنا طويلة، ممتلئة الجسم، وببضاء البشرة، بينما هي قصيرة، نحيفة، وسوداء البشرة.

لا تضع غابي أي مساحيق على وجهها، إلا أنها إحدى أجمل النساء المتواجدات هنا. لم أقل لها ذلك لأنني أعرف ماذا سيكون ردّها. ستقول إن هذا غير مهم، وتصرّ على ألا نمتدح بعضنا مظهر بعض أو نتنافس على من تكون الأجمل. كانت هذه وجهة نظرها، لذلك احتفظت برأيي لنفسى.

عرفتُ غابي منذ كنّا في الرابعة عشرة من العمر. جلسنا جنباً إلى جنب أثناء حصة علوم الأرض في اليوم الأول من المدرسة الثانوية، وسرعان ما نشأت صداقة بيننا وأصبحت أبدية. كنا غابي وهانا، هانا وغابي، ونادراً ما كان يُذكر اسم إحدانا دون اسم الأخرى.

عندما سافرت عائلتي للعيش في لندن، انتقلتُ للعيش مع غابي ووالديها، كارل وتينا، اللذين عاملاني بلطف كأنني ابنتهما وساعداني على كتابة طلبات القبول بالجامعات، وحرصاً على أن أنجز واجباتي المدرسية وأن أعود إلى البيت في أوقات معينة. كان

كارل يحاول دائماً إقناعي بأن أصبح طبيبة مثله ومثل والده لأنه كان يعلم أن غابي لن تقتفي خطاه. في الحقيقة، كانت غابي لا تجد في نفسها ميلاً لمهنة أبيها واتخذت قراراً بالعمل في قطاع الخدمات العامة. كنتُ بالنسبة إلى كارل فرصته الأخيرة بعدما استعصى عليه إقناع غابي. تصرفت تينا خلافه وشجعتني على أن أسلك طريقي الخاص. للأسف، كنت غير متأكدة من ذلك الطريق، ولكن في الوقت نفسه، كنت أعتقد أن كل شيء سيأخذ مجراه تلقائياً، وأن القرارات المفصلية في الحياة سوف تأخذ مسارها بنفسها.

بعد أن غادرنا للدراسة في الجامعة، غابي إلى شيكاغو وأنا إلى بوسطن، لم ينقطع التواصل بيننا، ولكن مع توالي الأيام، بدأت كل واحدة منا بتلمس حياتها الخاصة. صادقتُ غابي في السنة الأولى فتاة أخرى سوداء البشرة تدعى فانيسا. روت لي قصص تسوّقهما في المركز التجاري المجاور، والحفلات التي ذهبتا إليها معاً. والحق يُقال، فقد انتابني بعض القلق في تلك الفترة، أو بعض الغيرة، من أن تغدو فانيسا أقرب لغابي مني، وأن تشاركها أموراً لن أكون طرفاً فيها.

ذات يوم هاتفْتُ غابي مُستفسرةً عن الأمر. كنت مستلقية على سريرِي المزدوج في غرفتي داخل السكن الجامعي. شعرت بحرارة سماعة الهاتف ترتفع والعرق يتصبب من أذني لأن محادثتنا استغرقت ساعات طويلة بالفعل.

سألتها: «هل تشعرين بأن فانيسا تفهمك أكثر مني؟ لأن لديها بشرة سوداء مثلك؟».

شعرت بحرج شديد فور تلفّظي بالسؤال. كان يبدو لي سؤالاً

منطقياً، ولكن اتضح لي مدى سخافته حالما خرج من فمي، وتمنيت لو أن الكلمات كانت أشياء محسوسة، لكي ألتقطها من الهواء وأبتلعها ثانيةً.

سخرت غابي مني: «وهل تظنين أن أصحاب البشرة البيضاء يفهمونك أكثر مني فقط لأن لديهم بشرة بيضاء؟». قلت: «لا، بالطبع لا».

قالت غابي: «كفّي إذاً عن هذا الهراء». وهذا ما فعلته. من خصال غابي التي أحبها، هي أنها تعرف دائماً متى ينبغي عليّ أن ألزم الصمت. في الواقع، هي الشخص الوحيد الذي لطالما أثبت أنه يعرفني أكثر مما أعرف نفسي. أخذت غابي الآن حقيبتني من يدي بلطف.

- «دعيني أحمّن، سنحتاج لاستئجار إحدى عربات الحقائق لكي نستطيع حمل كل أمتعتك». ضحكت ودافعت عن نفسي قائلةً: «فعلاً لدي أمتعة كثيرة لأنني دائمة التنقل في البلاد».

توقفت منذ مدة طويلة عن شراء الأثاث أو القطع ذات الحجم الكبير، وأصبحت أكثر ميلاً لاستئجار الشقق المفروشة، فبعد الانتقال مرة أو مرتين، يتعلم المرء أن شراء سرير من إيكيا وتركيبه ثم تفكيكه مجدداً لبيعه بثمن بخس بعد ستة أشهر من استخدامه هو مضيعة للوقت والمال. لكنني لا زلت أمتلك بعض الأشياء التي بقيت معي خلال رحلاتي العديدة عبر البلاد، ويصعب عليّ أن أتخلي عنها الآن.

التقطت غابي إحدى حقائبي من سير نقل الحقائق .
- «سأخمن أن بداخلها ما لا يقل عن أربع زجاجات من مرطب
الجسم برائحة البرتقال والزنجبيل» .
حركت رأسي بالنفي : «علبة واحدة فقط . لقد بدأ مخزوني
ينفذ» .

بدأت باستعمال مرطب الجسم بعد فترة وجيزة من تعارفنا . كُنّا
نذهب إلى مركز التسوّق معاً ونزور العديد من المحلات لنشمّ جميع
روائح المستحضرات ، وكنت كل مرة أعود فأشتري المرطب برائحة
البرتقال والزنجبيل نفسه ، حتى إنني في مرحلة ما قمت بتخزين سبع
زجاجات منه .

أخذنا ما بقي من حقائبي من على سير نقل الحقائق ووضعنا
بعضها فوق بعض في العربة ، ثم دفعناها نحن الاثنتان بكامل قوانا
عبر ممرات المطار متجهتين نحو مواقف السيارات . حملنا سيارتها
الصغيرة بامتعتي ثم جلسنا على مقعدينا .

لم تطل أحاديثنا كثيراً . اتجهت غابي خارج الموقف وبدأت
تجتاز الشوارع التي أفضت بنا الى الطريق السريع . سألتني عن
رحلتي وشعوري عندما غادرت نيويورك ، ثم اعتذرت لي عن ضيق
غرفة الضيوف في شقتها . عاتبتهَا لاعتذارها عن حجم الغرفة
وشكرتها ثانيةً على استضافتها لي .

من الواضح أن التاريخ يعيد نفسه معي . لقد مضى أكثر من عشر
سنوات وأنا أتنقل من مكان إلى آخر وها أنا أعود من جديد لأسكن
في غرفة ضيوف غابي ، وأعتمد على لطف غابي وعائلتها . لكن
ليست غابي ووالداها هذه المرة ، بل غابي وزوجها مارك . ويكشف

هذا التغيير مدى الاختلاف بيني وبينها، وكم تغيرت غابي منذ ذلك الوقت، بينما لا زلتُ أراوح مكاني. غابي تعمل الآن كنايبة لرئيس التنمية في مؤسسة غير ربحية تهتم بالمراهقين المُعرّضين للخطر، بينما أنا أعمل كنادلة، ولست نادلةً جيدة حتى.

حالما انطلقت غابي في الطريق السريع ولم يعد اهتمامها منصباً على القيادة، أو ربما حالما أصبحت تعلم أنها تقود بسرعة تمنعني من القفز خارج السيارة، وجهتُ لي سؤالاً كانت تتشوق لطرحه منذ أن استقبلتني بالأحضان.

- «إذاً ما الذي حدث؟ هل أخبرته برحيلك؟».

تنهّدتُ بصوت عالٍ ثم نظرتُ من النافذة.

- «إنه يعلم أنني لا أريده أن يتصل بي، ولا أرغب في رؤيته مجدداً، لذلك أفترض أن معرفته بمكان وجودي ليس مهماً».

أبقت غابي نظرها عن الطريق أمامها، ولكنها أومأت برأسها دلالة سرورها لما فعلته.

لا تدري غابي كم أنا في حاجة إلى مؤازرتها في هذه اللحظة. فرأيها عني في الوقت الحالي هو أفضل من يقيني، إنه منارة ترشدني إلى الطريق السليم. لقد مررت ببعض المصاعب مؤخراً، ورغم معرفتي أن غابي ستحبني دائماً، أعلم أنني اختبرت دعمها غير المشروط في الآونة الأخيرة بسبب معاشرتي لرجل متزوج.

لم أكن أعلم بدايةً أنه متزوج، ولسبب ما، اتخذت جهلي ذريعة تبرر حماقتي. لم يعترف لي قط بأنه متزوج، ولم يلبس خاتم زواج، ولم يكن هنالك أثر له على بنصره كما تحذّرنا المجلات النسائية. وعلى الرغم من ارتياحي في الأمر، إلا أنني كنت أعتقد أنه ما لم يقل

ذلك صراحةً ويعترف لي بزواجه، فليس عليّ إثم وأنا في حلٍّ من كل مسؤولية.

ساورتني الشكوك ذات مرة عندما لم يرد على اتصالاتي لسته أيام متتالية، وحين عاد أخيراً ليتصل بي، تظاهر بأن شيئاً لم يحدث. ساورتني الشكوك عن وجود امرأة أخرى عندما لم يسمح لي باستعمال هاتفه عندما أردت ذلك. وساورتني الشكوك عن كوني أنا المرأة الأخرى عندما صادفنا زميله في العمل في مطعم بحبي سوهو، وبدلاً من أن يقوم مايكل بتقديمي للرجل، أخبرني بأن هنالك شيئاً عالقاً بين أسناني وأنه ينبغي عليّ الذهاب إلى دورة المياه لإخراجه. وحين ذهبت إلى دورة المياه لم أجد شيئاً. لكن، بصراحة، ما وجدته هو أنني لم أتحمل النظر إلى نفسي في المرأة لأكثر من بضع ثوانٍ، قبل أن أعود إلى هناك وأتظاهر بأنني لا أعرف ما الذي كان يحاول فعله.

وبطبيعة الحال، كانت غابي تعلم كل ذلك، فقد كنت أعترف لها ولنفسني في آن واحد بحقيقة ما يجري.

منذ شهر تقريباً، كنت أجلس على سريرتي بملابس النوم وأنا أتحدث إليها عبر حاسوبي وأصفف كعكة شعري. قلت أخيراً: «أعتقد أنه متزوج».

رأيت التجهم ونفاذ الصبر يرتسم على ملامح وجهها. - «ألم أخبرك بأنه متزوج؟ أخبرتك بهذا منذ ثلاثة أسابيع. وأخبرتكَ أنه عليك الإقلاع عن هذه العلاقة الشائنة لأنه زوج امرأة أخرى، ولأنه لا يجب عليك أن تسمح لي لأي رجل كان أن يعاملك كعشيقة. أخبرتك بكل هذا».

- «أعلم، ولكن لم يخطر ببالي أنه متزوج لأنه لو كان الأمر كذلك لأخبرني. لذلك لم أكن أعتقد ذلك، ولن أسأله، لأن سؤالي سيكون مهيناً للغاية، أليس كذلك؟».

كان هذا هو المبرر الذي كنت أتذرع به، أنني لم أرغب بإهانته.

- «كفي عن هذا الهراء، يا هانا. أنا أتكلم بجدية. أنت إنسانة رائعة ولديك الكثير لتقدميه للعالم، ولكن ما تقومين به الآن ليس صائباً وأنت تعلمين ذلك».

أصغيت إليها ملياً، لكنني لم ألتفت إلى كل هذا، تركت نصيحتها تدور في رأسي ثم تخرج في مهب الريح، وكأنها تخص شخصاً آخر غيري.

هزرت رأسي: «لا، أنا لا أعتقد أنك محقة. صادفت مايكل في حانة تقع بحي بوشويك ليلة الأربعاء، وأنا لا أتردد عادةً على بوشويك، ونادراً ما أخرج من المنزل في ليلة الأربعاء. وذات الأمر ينطبق عليه أيضاً! فما هو احتمال أن يلتقي شخصان صدفة بهذه الطريقة؟».

- «أنت تمزحين، أليس كذلك؟».

- «لماذا أمزح؟ أرى أنه كان لقاءً مقدراً. حسناً، لنفترض أنه متزوج...».

- «بل هو متزوج».

- «لسنا متأكدين من هذا ولكن لنفترض ذلك».

- «إنه متزوج».

- «لنفترض أنه كذلك. هذا لا يعني أن لقاءنا لم يكن مقدراً له

أن يحدث. كل ما أقوم به هنا هو أنني أمضي وراء قدرتي. ربما يكون متزوجاً ولا بأس في ذلك لأنه من المفترض أن تكون الأمور كذلك».

أستطيع أن أقول إنها أصيبت بخيبة أمل مني، كنت أرى ذلك في حركة حاجبيها وزاويتي شفيتها.

قلت: «اسمعي، لا علم لي إذا كان متزوجاً أم لا». لكنني في قرارة نفسي كنت أعلم أنه متزوج، ولأنني كنت أعلم ذلك، كان ينبغي أن أبتعد عنه بأقصى سرعة.

لذا قلت: «غابي، هل تعلمين؟ حتى لو كان متزوجاً فذلك لا يعني أنني لست أفضل له من تلك المرأة الأخرى، فكل شيء في الحب والحرب مُباح».

اكتشفتُ زوجته خيانتَه بعد أسبوعين، واتصلت بي وهي تصرخ على الهاتف.

لم تكن هذه أول مرة يخون فيها زوجته.

لقد اكتشفت خيانتَه مع امرأتين قبلي.

وهل كنتُ أعلم أنهما لديهما طفلان؟

لا، لم أكن أعلم ذلك.

كم يسهل علينا تبرير أخطائنا عندما لا نعرف وجوه وأسماء من نتسبب في تعاستهم. وكم يسهل علينا تفضيل أنفسنا على شخص آخر عندما يكون شيئاً مجرداً.

أعتقد أن هذا هو السبب الذي جعلني أنظر إلى الموضوع بتجرد مطلق.

كنت ألعب لعبة «حسناً، ولكن»، لعبة «لسنا متأكدين من ذلك»،

لعبة «حتى لو كان الأمر كذلك». كنت لا أرى الحقيقة إلا من خلال عدستي الصغيرة، والتي كانت وردية وضيقة الأفق. ثم فجأة زالت العدسة عن عيني، فأصبحت أرى ما كنت أفعله باللونين الأبيض والأسود الصارخين.

هل يهم أنني تصرفت بشرف عندما اكتشفت الحقيقة؟ هل يهم أنني قطعت كل اتصال به فور سماعي لصوت زوجته ومعرفتي بإسمي طفليه؟

هل يهم أنني أصبحت أرى ذنبي واضحاً وضوح الشمس في كبد النهار وأشعر بالندم الشديد؟ أن يكون هناك جزء صغير في أعماقي يمقتني لأنني ركنت عمداً إلى جهلي لأبرر سلوكاً مخزياً؟ تعتقد غابي أن كل هذا مهم لأنه يمنحني صك براءة وراحة من وخز الضمير، غير أنني لست متأكدة من ذلك.

ما إن خرج مايكل من حياتي حتى أدركت أنني فقدت ما كنت أتعلق به في نيويورك، فشتاؤها القاسي والقارس فاقم شعوري بالوحدة في مدينة يسكنها الملايين. كنت أهاتف والدي وأختي سارة كثيراً خلال أول أسبوع تلا انفصالي عن مايكل، لا للتحدث عن مشاكلي، بل لأن أصواتهم كانت داعمة لي في وحدتي. غالباً ما كنت أتلقى رسائلهم الصوتية، وكانوا يعاودون الاتصال بي، بل كانوا دائماً يفعلون ذلك، لكنني لم أنجح في الاتصال بهم لأنني لم أكن أعرف وقت تواجدهم بالمنزل. وفي أغلب الأحيان لم نكن نحظى إلا بوقت يسير للتحدث معاً بسبب اختلاف التوقيت بيننا.

تراكمت مشاكلي الأسبوع الماضي. في البداية، طلبت الفتاة التي أجرتني شقتها إخلائها خلال أسبوعين لحاجتها إليها، ثم قام

رئيسي في العمل بالتحرش بي والتلميح بأنه يعطي فترات العمل الأفضل للنادلات اللواتي يُبرزن صدورهن أكثر. وبعدها علقْتُ في القطار لساعة وخمس وأربعين دقيقة بسبب عطل في أحد القطارات في شارع غرين بوينت، كما استمر مايكل في الاتصال بي وترك رسائل صوتية يطلب فيها فرصة لتبرير سلوكه. قال إنه يريد الانفصال عن زوجته لأجلي، ولن أخفي أن ذلك جعلني أشعر بالزّهو بنفسي، ولكنه جعلني أشعر أيضاً بأنه أمرٌ مُريع.

فاتصلت بغابي باكية وأخبرتها بأن الأمور في نيويورك أسوأ مما كانت عليه في أيّ وقتٍ مضى، واعترفت لها أن حياتي لا تسير بالطريقة التي أردتها. أخبرتها بأنني بحاجة إلى التغيير. قالت: «عودي لموطنك».

أخذ التفكير مني دقيقة كاملة لكي أدرك أنها تدعوني إلى العودة للعيش في لوس أنجلوس، وهذا إن دلّ على شيء، فيدلُّ على كم مرّ من الوقت منذ اعتبرت هذه المدينة موطني.

سألتها: «إلى لوس أنجلوس؟».

قالت: «نعم، عودي لموطنك».

قلت: «إيثان هناك كما تعلمين، أعتقد أنه عاد إليها منذ بضع سنوات».

قالت غابي: «ستقابلينه إذاً. إن مواعدتك لرجل صالح لن تكون أسوأ شيء في حياتك».

نظرت إلى الثلوج المتسخة التي كانت تغطي الشارع أسفل نافذتي الصغيرة.

قلت: «والطقس أدفاً هناك».

قالت: «لقد بلغت الحرارة البارحة اثنتين وعشرين درجة مئوية».

قلت، ربما لأول مرة في حياتي: «لكن تغيير المدينة لن يحل المشكلة الأكبر. أعني، أنا التي بحاجة إلى التغيير».

قالت: «أعلم. عودي إلى موطنك. تغيري هنا».

كانت هذه المرة الأولى منذ وقت طويل التي بدا فيها أمر ما منطقياً.

أمسكت غابي الآن يدي للحظة وضغطت عليها وعيناها لا تفارقان الطريق.

قالت: «أنا فخورة بكِ لأنك بدأت تمسكين بزمام الأمور في حياتك، ولا أبالغ إذا قلت إن ركوبك الطائرة صباح اليوم يعني أنك بدأت تتلمسين الطريق الصحيح».

- «أتعتقدين ذلك؟».

أومأت: «ليس هناك من مكان أفضل لك من لوس أنجلوس. تعودين إلى جذورك هنا، ألا تظنين ذلك؟ إنها لجريمة أن نعيش بعيدتين إحدانا عن الأخرى كل هذه السنين. أنت تصلحين ما أفسده الدهر».

لم أتمالك نفسي عن الضحك وأنا أحاول رؤية العودة إلى لوس أنجلوس انتصاراً لا هزيمة.

وصلنا أخيراً إلى الشارع الذي تقطن فيه غابي، فركنت سيارتها عند الرصيف. توقفنا أمام مُجمّع في شارع على ربوة شديدة الانحدار. هنا يقع المنزل الذي اشتريته غابي ومارك السنة الماضية. أمعنت النظر في العناوين المدوّنة على أبواب المنازل المصفوفة جنباً

إلى جنب لعلّي أرى رقم أربعة وأتعرّف على منزلهما. صحيح أنني لم أزرهما من قبل، ولكنني كنت لشهور عديدة أرسل لغابي بطاقات المعايدة والمخبوزات والكثير من الهدايا. إنني أعرف عنوانها عن ظهر قلب. في الوقت الذي رأيت فيه الرقم على الباب على ضوء مصابيح الشارع، فتح مارك الباب وأقبل مهزولاً لاستقبالنا.

كان مارك رجلاً طويل القامة ذا وسامة عادية، قوي البنية وجامعاً لكل صفات الرجولة. لطالما كان لديّ ميل إلى الرجال ذوي العيون الجميلة واللحي الخفيفة، وغالب الظن أن غابي كان لديها الميل نفسه أيضاً، ولكن انتهى بها المطاف إلى الزواج من مارك الذي كان شاباً نظيف المظهر، دمث الخلق، ورصين. إنه من الشبان الذين يذهبون إلى النادي الرياضي للعناية بلياقتهم البدنية. أما أنا فلم تطأ قدماي نادياً رياضياً قط.

ترجلتُ من السيارة وحملتُ إحدى حقائبي بينما حملت غابي حقيبة أخرى. وصل مارك إلى السيارة واحتضنني بقوة.

- «هانا! من الرائع رؤيتك».

أخرج مارك بقية الحقائب من السيارة وحملها، ثم توجّهنا جميعاً إلى المنزل. ألقيت نظرة في أرجاء غرفة معيشتهم. كانت تحوي الكثير من الألوان الخافتة والتصاميم الخشبية. كان كل شيء بسيطاً ولكنه جميل جداً.

قالت غابي: «غرفتك في الدور العلوي»، فصعدنا نحن الثلاثة الدرج الضيق إلى الطابق الثاني حيث توجد غرفة النوم الرئيسية وغرفة نوم أخرى تقع في نهاية الممر.

أخذتني غابي ومارك إلى غرفة الضيوف حيث وضعنا جميع الحقائب.

كانت غرفة صغيرة لكنها كبيرة بما يكفي بالنسبة لي وحدي، تحوي سريراً كبيراً عليه غطاء أبيض سميك ومكتب وخزانة ملابس. كان الوقت متأخراً، وأنا متأكدة أن غابي ومارك متعبان، لذلك بذلت قصارى جهدي لأكون نشيطة.

- «يمكنكما أن تنصرفا إلى فراشكما يا رفاق، أستطيع أن أتدبر شؤوني بنفسي». بدت غابي مترددة فألححت عليهما بالانصراف. عانقني مارك ثم انصرف نحو غرفتهما بعدما أخبرته غابي بأنها ستلحق به حالاً، ثم قالت لي:

- «أنا سعيدة حقاً لأنك معنا، في كل مدينة كنت تنتقلين إليها، كنت دائماً أتمنى أن تعودني إلى هنا، حتى لو كان ذلك لفترة قصيرة. أحب وجودك بقربي».

ابتسمت وقلت: «حسناً، لقد حصل ما كنت ترغبين به، وربما أقرب مما كنت تعتقدين».

قالت: «لا تكوني سخيفة، يمكنك أن تقيمي في غرفة الضيوف حتى نبلغ التسعين عاماً إن كان الأمر يعني». عانقتني ثم توجهت نحو غرفتها.

- «إذا استيقظت قبلنا، لا تترددي في إعداد القهوة».

حالما سمعت صوت باب الغرفة يغلق، تناولت حقيبة مستحضرات التجميل وذهبت إلى الحمام.

كان نور الإضاءة في الحمام باهراً وفاضحاً، حتى أن البعض قد يصفه بالقاسي، وكانت هناك مرآة مكبرة بجوار المغسلة، أمسكت بها

ورفعتها بالقرب من وجهي . إنني بحاجة إلى تشذيب حاجبيّ، هذا كل شيء . وقع نظري على زاوية عيني اليسرى عندما كنت أهم بإرجاع المرأة إلى مكانها . شددت جلدي ثم سرعان ما أرخيته بعدما راعني ما رأيته . حملقت وتفحصت ، فإذا هي أولى التجاعيد تغزو طرف عيني .

ليست لدي شقة ولا وظيفة . ليست لدي علاقة مستقرة أو حتى مدينة أعتبرها موطناً لي . ليست لدي أدنى فكرة عما أريد أن أفعله في حياتي ، لا أعرف ما هي غايتي ، وليست هناك أي إشارة تثبت أنني أمتلك هدفاً ما . ولكن مع ذلك كله ، تمكّن الزمن منّي . كل تلك السنوات التي قضيتها وأنا أتسكع متنقلة من مدينة إلى أخرى ، ومن عمل إلى آخر سطّرت غضوناً وتجاعيد على وجهي .

وضعت المرأة جانباً ، ونظفت أسناني بالفرشاة ثم غسلت وجهي . قرّرت شراء مرطب وجه مسائي والبدأ بوضع مرهم واقٍ من أشعة الشمس ، ثم أسدلت الستائر واستلقيت على السرير .

قد تكون حياتي فوضوية بعض الشيء ، وقد لا أتخذ القرارات الصّائبة أحياناً ، لكنني لن أستلقي وأدع الهموم تؤرقني ولا تسهد جفني .

آويت إلى فراشي قريرة العين ، واثقة من أنني سأكون أفضل حالاً غداً ، وأن الأوضاع ستتحسّن غداً ، وأني سأندبّر أموري غداً . فيوم غدٍ ، بالنسبة إليّ ، هو يومٌ جديد .

استيقظت على رنين هاتفي ووهج أشعة الشمس التي ملأت
فضاء الغرفة.

همست في الهاتف: «إيثان! إنها التاسعة صباح يوم السبت!».
ردّ بصوتٍ حازم ضاعف الهاتف من جراته: «صحيح، ولكنك
معتادة على توقيت الساحل الشرقي، أي أنها الظهيرة بالنسبة لك.
ينبغي أن تكوني مستيقظة الآن». تابعت هامسة: «حسناً، ولكن غابي ومارك لم يستيقظا بعد». قال: «متى يمكنني رؤيتك؟».

التقيت بإيثان عندما كنت طالبة في السنة الثانية من المرحلة
الثانوية في حفل المدرسة السنوي. كنت لا أزال أعيش مع عائلتي آنذاك، وكانت غابي قد حصلت
للتو على عمل كجليسة أطفال، فقررت الذهاب لعملها بدلاً من
مرافقتي، فانهى بي المطاف بالذهاب إلى حفلٍ راقصٍ بمفردي، ليس

لأنني أردت الذهاب، بل لأن والدي كان يضايقني بملاحظاته بأنني لا أذهب إلى أي مكان من دون غابي، وأردت أن أثبت له العكس.

وقفت معظم الوقت إلى جوار الجدار أبدد الوقت حتى تحين ساعة العودة إلى المنزل. استبدّ بي ضجرٌ شديد، لدرجة أنني فكرت بالاتصال بغابي لإقناعها باللحاق بي فور الانتهاء من عملها، ولكنني عدلت عن ذلك عندما لمحت جيسي فلينت يراقص جيسيكا كامبوس في وسط الحلبة. كانت غابي مغرمة بجيسي فلينت منذ بداية المرحلة الثانوية، فلم أستطع فعل ذلك بها.

بدأ العشاق يتغازلون مع حلول الليل، تحت أضواء الصالة الخافتة. وقع نظري على شخص آخر وقف وحيداً بجوار الحائط. كان طويلاً ونحيفاً، شعره أشعث، يرتدي قميصاً مجعداً وربطة عنق مرتخية. بادلني النظرات مباشرة ثم أقبل باتجاهي وقدم نفسه. مدّ يده مصافحاً: «إيثان هانوفر».

مددت يدي لأصافحه: «هانا مارتن».

كان طالباً في السنة الثالثة من المرحلة الثانوية في مدرسة أخرى. أخبرني أنه كان هناك كخدمة لجارته كايتي فرانكلين، كي لا تأتي وحدها.

وسرعان ما أعجبت به لدرجة أنني نسيت من كانوا معنا في الحفل. ولما رجعت كايتي أخيراً لتأخذه معها قائلة إن وقت ذهابهما قد حان، شعرت كما لو أن شيئاً ما أخذ مني. لقد راودتني رغبة بمد يدي لأسحبه منها وأخذه ليصبح ملكي وحدي.

دعاني إيثان في عطلة نهاية الأسبوع التي تلت ذلك الحفل إلى حفل أقامه في منزل والديه. لم أكن أنا وغابي من هواة الحفلات

الكبيرة ولكنني ألححت عليها أن تصحبني. انفرجت أساريره حين دخلت باب منزله، أمسك بيدي وعرفني على أصدقائه، وفقدت أثر غابي عند طاولة المقرمشات.

سرعان ما غامرنا أنا وإيثان بالصعود إلى الطابق العلوي، وجلسنا جنباً إلى جنب على أعلى درجة من السلالم. استغرقنا في الحديث عن فرقنا الموسيقية المفضلة، وهناك في عتمة الليل وصخب الحفل في الأسفل، قام بتقبيلي.

«لقد أقيمت هذا الحفل فقط حتى أتمكن من الاتصال بك ودعوتك. هل هذا سخيف؟».

هزرت رأسي بالنفي وقبلته ثانيةً.

بعد ما يقارب الساعة، عادت غابي تبحث عني، وكنت قد بدأت أشعر بالتورم في شفتي بسبب لدغة الحب.

بعد سنة ونصف، وبينما كان والداه خارج المدينة، اختلينا ببعضنا في غرفة نومه فصارحني بحبه، وفقدنا عذريتنا.

يصف بعض الناس تجربتهم الأولى بأنها مضحكة أو مثيرة للشفقة، ولكن تجربتي كانت لها نكهة خاصة. كانت تجربتي الأولى مع شخص أحببته، ولم تكن نعي تماماً ما كنا نفعل. كانت تجربتي الأولى ثمرة حب حقيقي، ولهذا السبب احتفظ إيثان دائماً بمكانة مميزة في قلبي.

ثم فجأة بدأ كل شيء يتهاوى. التحق إيثان بجامعة بيركلي بكاليفورنيا، ودخلت أختي سارة إلى المدرسة الملكية للباليه، ثم سافر والداي واستقرا في لندن، فما كان لي من بدّ إلا الانتقال للعيش مع عائلة هرسون.

وفي صباح يوم دافئ من شهر أغسطس، وقبل بدء سنتي الأخيرة من المرحلة الثانوية، ركب إيثان سيارة والديه وغادر إلى شمال كاليفورنيا.

دامت علاقتنا حتى نهاية شهر أكتوبر ثم انفصلنا. ألقينا باللوم في فشل علاقتنا على سوء التوقيت وطول المسافة بيننا، غير أننا تعاهدنا على اللقاء مجدداً في الصيف، واتفقنا على أن ما حدث لن يغير من أحاسيسنا.

كانت قصتنا تشبه قصص الحب الأخرى في كل جامعة في كل فصل خريف.

بدأت أفكر ملياً في الدراسة في جامعة بوسطن ونيويورك، بما أن العيش في الساحل الشرقي سيوفر عليّ الكثير من عناء السفر إلى لندن.

حين عاد إيثان إلى منزله لقضاء عيد الميلاد، كنت أواعد شاباً يدعى كريس رودريغيز، وحين عاد ليقضي عطلة الصيف، كان يواعد فتاة تدعى أليسيا فوستر.

كان التحاقني بجامعة بوسطن المسمار الأخير في نعش علاقتنا، فقد أصبحت المسافة الفاصلة بيننا حوالي خمسة آلاف كيلومتر، ولم يتكبد أيّ منا عناء تقليص هذه المسافة.

بقينا أنا وإيثان على تواصل من حين إلى آخر. مكالمات هاتفية بين الفينة والأخرى، ورقصة أو اثنتان في حفلات زفاف أصدقائنا المشتركين، ولكن دائماً ما كان هناك توتر صامت وإحساس عميق بأننا لم نمضِ في طريقنا إلى نهايته.

بعد كل هذه السنين، ما زال نجمه في نظري يسطع أكثر من

الآخرين . وحتى بعد أن اندملت الجراح ، لم أستطع أن أغالب حبي له تماماً . كان ذلك يشبه ناراً خافتة تحت رماد ، لكنها لا تخبو أبداً .

قال لي إيثان : «لقد قضيت نصف يوم في هذه المدينة وفقاً لتقديراتي ، ولن أستطيع تحمّل نصفه الآخر دون رؤيتك» .

قلت ضاحكة : «حسناً ، أعتقد أننا سنقلص هذه المدة . لقد أخبرتني غابي بأننا سنذهب الليلة إلى حانة في هوليوود ، وقد قامت بدعوة العديد من أصدقاء الثانوية حتى ألتقي بهم مجدداً ، وقامت بتسمية هذا اللقاء حفلة العودة لموطني . لست واثقة ما إذا كان اسماً مناسباً» .

ضحك إيثان وقال : «سأكون هناك . أرسلني لي مكان وموعد اللقاء في رسالة نصية» .

- «عظيم . هذا رائع» .

هممت بتوديعه ولكن صوته تردّد مجدداً .

- «هيه ، هانا» .

- «نعم؟» .

- «أنا سعيد لأنك قررت العودة إلى هنا» .

ضحكت وقلت : «في الواقع ، بدأت الخيارات تنفذ مني» .

- «الأفضل أن تقولي إنك عدت إلى صوابك» .

أفرغتُ حقيبتني من الملابس وبدأت أرمي بها في أرجاء الغرفة بينما وقفت غابي ومارك بجوار الباب ينتظران.
- «أقسم أنني سأرتب كل هذا».

مضت عشر دقائق منذ أن لبسا ثيابهما واستعدّا للخروج.
صرخت غابي قائلة: «أنت لست ذاهبة إلى عرض أزياء».
ذكرتها: «هذه أول ليلة لي في لوس أنجلوس منذ عودتي إليها، لذا أريد أن أظهر بأبهى حلة».

ارتديت قميصاً وسروال جينز أسودين وأقراط أذن متدلّية، وجعلت كعكة شعري مرتفعة كعادتني. لكن بعد ذلك فطنت إلى أنني لم أعد أعيش في نيويورك. فهذه لوس أنجلوس التي وصلت حرارتها خمس عشرة درجة مئوية في الظهيرة.

قلت: «أريد فقط أن أجد قميصاً بلا أكمام».

بدأت أبحث بين قطع الملابس التي رميتها في أرجاء الغرفة، عثرت على قميص أخضر، فارتديته مع حذاء أسود ذي كعب، ثم نظرت إلى المرأة وشففت شعري.

توجهت لمضيفي وقلت لهما: «أعدكما بأني سأرتب كل شيء حالما أعود».

مضى مارك ضاحكاً. إنه يعلم أنني لا أنفد ما أقوله أحياناً، ولا أشك أن غابي وبينما كانت تناقشه بشأن انتقاله للعيش معهما قد أعدته لذلك قائلة: «على الأرجح أنها ستبعثر أغراضها في أرجاء المنزل»، وأكاد أجزم أيضاً أن مارك تقبل الأمر، ولذلك لا أشعر بالحرَج من هذا التصرف.

في الحقيقة، لا أعتقد أن هذا هو سبب ضحك مارك، فهو قال مُعلّقاً: «بالنسبة لشخص فوضوي جداً، يبدو مظهرك أنيقاً للغاية». ابتسمت غابي له ثم لي: «صحيح، تبدين رائعة».

أمسكتُ بمقبض الباب وأردفت قائلة: «لكن قيمة المرأة لا تقاس بمظهرها».

هذه هي غابي. هذه القيم وهذه الاستقامة هي جزء من شخصيتها. وهذا ما جعلني أحبّها.

لحقت بهما إلى السيارة وقلت بكل امتنان: «شكراً لكما». عندما وصلنا إلى الحانة، كان الجو هادئاً إلى حدٍ ما. جلس كل من غابي ومارك بينما ذهبت لأحضر بعض المشروبات. طلبت جعة لي ولمارك ونيبذ شاردونيه لغابي. بلغت قيمة ما طلبناه أربعة وعشرين دولاراً سدّدتها ببطاقتي الائتمانية. لم أكن أعرف مقدار رصيدي في البنك لأنني لم أكن أجروء على الاطلاع على كشف الحساب، ولكن ما أعرفه أنني أملك ما يكفي للعيش بضعة أسابيع، واستئجار شقة. لا أرغب في أن أعيش كبخيلة تعد كل

قرش تنفقه، خاصة وأن غابي ومارك كانا كريمين معي، ووفرا لي مكاناً للإقامة. لذلك لم يأخذ موضوع المال مساحة كبيرة من تفكيري.

أحضرت قارورتي الجعة ووضعتهما على الطاولة وعدت لأحضر نبيذ غابي. ما كدت أجلس حتى انضمت إلينا امرأة تذكرت أنني رأيته في زفاف غابي ومارك منذ سنتين. أعتقد أن اسمها كاثرين، وقد شاركت في سباق ماراتون نيويورك منذ عدة سنوات. لدي قدرة مذهلة على تذكر الوجوه والأسماء، وأستطيع بكل سهولة تذكر تفاصيل عن أشخاص قابلتهم مرة واحدة. لكنني لا أكشف عن ذلك لأحد، لأن الأمر قد يحدث إرباكاً للبعض.

مدت كاثرين يدها لتصافحني: «أنا كاثرين».

بادلتها التحية وعرفتها بنفسي.

- «سُرت بلقائك. مرحباً بك في لوس أنجلوس من جديد!».

- «شكراً. في الحقيقة، أعتقد أننا تقابلنا من قبل».

- «حقاً؟».

تظاهرت بأنني أسترجع للتو ذكرى مقابلي لها.

- «نعم، في زفاف غابي ومارك. نعم، نعم. تحدّثت معي عن

مشاركتك في سباق ماراتون ما، أليس كذلك؟ هل كان في بوسطن أو نيويورك؟».

ابتسمت وقالت: «في نيويورك! نعم! ذاكرتك قوية».

أصبحتُ الآن أروق لكاثرين. ولو أنني كشفت لها أننا التقينا

من قبل، في حفل زفاف غابي وإيثان، يوم كانت ترتدي ثوباً أصفر اللون، وأنها أخبرتني أن مشاركتها في ماراتون نيويورك كان أصعب

وأكبر إنجاز بالنسبة إليها، لفزعت وارتابت مني. إن مواقف كهذه علّمتني أن أمسك لساني.

بعد قليل، بدأت بعض صديقاتي القديمات في الثانوية بالتوافد: برين وكايتلين وإيريك. فتيات اعتدت وغابي على قضاء وقتنا معهن. كلما دخلت إحداهن صرختُ بأعلى صوتي. لكم كان رائعاً رؤية تلك الوجوه المألوفة، وأن تكون في مكان ما وتعرف أن مَنْ فارقتهم وأنت في الخامسة عشرة من عمرك ما زالوا يحبونك.

بدت برين أكبر سنّاً وكايتلين أنحف قواماً، أما إيريك فلم تغير الأيام من ملامحها شيئاً.

حضر بعض زملاء مارك في العمل برفقة زوجاتهم، وسرعان ما تحلقنا حول طاولة لم تتسع لنا جميعاً.

بدأ الضيوف يشترون المشروبات بعضهم لبعض، وكان الدور يأتي على هذا الضيف أو ذاك، ولكنني اكتفيت بجعتي وبعض علب الكوكا كولا المنخفضة السعرات. اعتدت الشرب كثيراً في نيويورك، وكذلك عندما كنت أخرج للسهر مع مايكل. ولكن حان الآن وقت التغيير.

كنت عند البار عندما دخل إيثن.

بدا أطول حتى من ذي قبل، شعره أشعث وقصير، يرتدي قميصاً قطنياً أزرق وسروال جينز غامق اللون، لم يحلق لحيته منذ بضعة أيام. كان حسن المظهر أيام الثانوية، لكنه أصبح وسيماً الآن. أعتقد أنه سيزداد وسامة مع التقدم في العمر.

هل يا ترى حفر الزمن تجاعيد حول عينيه مثلي؟

راقبته وهو يفتش في الزحام باحثاً عني. دفعت ثمن المشروبات

ومشيت باتجاهه والقلق يتسلل إلى نفسي . وما إن وقع بصره عليّ حتى تهلل وجهه سروراً وابتسم في وجهي .

انطلق نحوي بلمح البصر وعلى الفور تقلصت المسافة بيننا تماماً . وضع ذراعيه حولي وعانقني بقوة . وضعت على عجل المشروبات التي كنت أحملها على حافة البار خوفاً من أن تقع مني . قال : «مرحباً» .

قلت : «أنتَ هنا!» .

- «أنتِ هنا!» .

عانقته مجدداً .

- «سعيد جداً برؤيتك . أنتِ جميلة كعادتك» .

- «شكراً على لطفك» .

- شقّت غابي طريقها نحونا ، فلمحها إيثان وانحنى ليعانقها .

- «غابي همدسون!» .

- «إيثان! أنا سعيدة برؤيتك» .

قال : «سأذهب لأحضر لي مشروباً ثم أنضم إليكما في الحال» .

أومأت له برأسي ثم عدت مع غابي إلى طاولتنا .

رمقتني بنظرة ملؤها التساؤل ، فقلّبت عيني .

حوار صامت بالنظرات فقط .

سرعان ما ارتفع صوت الموسيقى وازدحمت الحانة لدرجة أننا

لم نستطع تبادل الحديث .

كنت أحاول الإصغاء إلى كايتهلين عندما وصل إيثان إلى

الطاولة . وقف بجانبني وذراعه تلاصق ذراعي ، وكأنه احتكاك

طبيعي. احتسى جعته والتفت إلى كاثرين. حاولا تجاذب أطراف الحديث لكن كلماتهما كانت تضيع وسط الموسيقى الصاخبة. التفت للحظة فرأيته يمعن النظر فيها ويقوم بإيماءات كما لو كان يمازحها. شاهدتها وهي ترمي برأسها للخلف من شدة الضحك.

إنها أجمل مما ظننت. بدت لي عادية المظهر من قبل، ولكنني أدركت الآن أنها جذابة حقاً. شعرها الأشقر الطويل ناعم كالحرير. فستانها ذو اللون الأزرق الياقوتي يبرز مفاتها وينساب فوق جسدها في دلال. بدت وكأنها في غنى عن حمالة الصدر، بينما أنا لا أستطيع الذهاب إلى أي مكان من دونها.

أخذت غابي بيدي إلى حلبة الرقص وتبعنا كايملين ثم لحقت بنا كل من إيريك وبرين. رقصنا على إيقاع بعض الأغاني قبل أن ينضم إيثان وكاثرين إلى المجموعة، أما مارك فقد بقي بعيداً مع الآخرين يحتسي جعته.

سألت غابي: «ألا يحب الرقص؟».

قلبت غابي عينيها.

ضحكت، وشد انتباهي رؤية إيثان وهو يلف كاثرين فتدور حول نفسها راقصة.

هل سيأخذها معه إلى منزله يا ترى؟ فاجأني مدى انزعاجي من فكرة كهذه ومن رعونة مشاعري.

علت وجه إيثان ابتسامة عريضة عند نهاية الأغنية. افترقا ورفع يده مصافحاً كاثرين. كان وداعاً عادياً بلا رومانسية.

نظرت إليه الآن، فعاودني طيف أيامنا الجميلة. كيف أحببت نفسي حين كان جزءاً من حياتي، وكيف شعرت بالرضا عن العالم

ومكانتي فيه وهو بجاني، وكيف تألمت عندما رحل للدراسة في الجامعة. تذكرت ما يعنيه أن تحبّ شخصاً من أعماق قلبك. للأسباب الصحيحة. وبالطريقة الصحيحة.

ربت غابي على كتفي فاستفتت من أحلامي الرومانسية. التفت فوجدتها تحاول إخباري بشيء ما، ولكنني لم أستطع سماعها. أشارت إلى باحة الحانة الخلفية وهي تحرك يديها مقلدة دوران المروحة وصرخت:

- «لنستنشق بعض الهواء!».

تعالق قهقهتي ثم مشيت خلفها.

في اللحظة التي خطونا فيها إلى الخارج، وجدنا أنفسنا في عالمٍ آخر. كان الهواء بارداً والهدوء عارماً، انكسرت أمامه أمواج صوت الموسيقى، فظلت حبيسة المبنى.

سألني غابي: «كيف تشعرين؟».

- «أنا؟ بخير، لماذا؟».

- «لا، لا شيء».

حاولت أن أغيّر الموضوع فقلت مستفسرة: «مارك لا يحب الرقص إذاً؟ ولكن أنت تعشقي الرقص! ألا يصحبك لترقصا معاً؟». هزت رأسها وعقدت حاجبيها: «بالتأكيد لا، هو ليس من النوع الذي يستمتع بهذه الأمور، ولكن لا أرى ضيراً في ذلك».

ثم أضافت مازحةً: «أعني أنه لا يوجد شخص كامل، عدا أنا وأنت».

انفتح الباب وأطلّ إيثان.

- «ما الذي تحدثان عنه أيتها الصديقتان؟».

بادرتُ قائلة: «مارك لا يحب الرقص».

استدركت غابي: «في الواقع، سأذهب إليه وأحاول إقناعه أن يراقصني ولو مرة».

ابتسمت لي وهي تغادر.

بقيت أنا وإيثان بمفردنا الآن.

قال بينما كان يجلس على المقعد الفارغ: «يبدو أنك تشعرين بالبرد. وددت لو أقدم لك قميصي ولكنني لا أرثدي شيئاً تحته».

قلت: «قد يخالف ذلك قواعد اللباس. كنت أحسب أن ارتداء قميص بلا أكمام سيناسب طقس لوس أنجلوس، ولكن...».

- «ولكننا في شهر فبراير، في لوس أنجلوس، وليس في مدينة استوائية».

قلت وأنا أجلس بجانبه: «أشعر كأنني في مدينة غريبة رغم أنني عشت هنا لفترة طويلة».

- «صحيح، كنت في الثامنة عشرة عندما رحلت، والآن شارفت على الثلاثين».

- «تسعة وعشرين لو سمحت».

ضحك قائلاً: «سعيد بعودتك. لم نعش في نفس المدينة منذ... أعتقد ما يقارب الثلاثة عشر عاماً».

- «يا إلهي. هذا يشعرني بأني أكبر مما كنت عليه عندما قلت إنني قاربت الثلاثين».

ضحك مجدداً وسألني: «كيف حالك؟ هل أنت بخير؟ هل أنت على ما يرام؟».

- «أنا بخير، لدي بعض الأمور يجب أن أتدبرها».

- «هل ترغيبين في التحدث بشأنها؟».

ابتسمت وقلت: «ربما، في وقتٍ لاحق؟».

أوماً برأسه مستحسناً وقال: «سأنصت إليك بسرور. في وقت لاحق».

سألته بنبرة مرحة حاولت أن أجعلها عادية: «ما الذي يجري بينك وبين كاثرين؟».

هز إيشان رأسه: «لا، لا شيء. دعتنني للحديث معها فاستجبت، وكنت سعيداً بالترفيه عنها».

ثم ابتسم لي وقال: «ليست هي من أتيت لرؤيتها».

تبادلنا النظرات دون أن تطرف أعيننا. حدق في عينيّ كأنه لا أحد سوانا في هذا العالم. تساءلت ما إذا كان ينظر إلى النساء الأخريات بنفس الطريقة.

ثم انحنى وقبلني على وجنتي.

إن شعور ملازمة شفتيه لبشرتي جعلني أدرك أنني أمضيت سنوات في البحث عن هذا الإحساس، ولكنني لم أتمكن من العثور عليه أبداً. لقد رضيت بالعلاقات العابرة، ومشاعر الحب الفاترة، ورجل متزوج. كل ذلك في سبيل البحث عن تلك اللحظة التي يدق فيها قلبي بقوة في صدري.

استبدت بي الحيرة وتساءلت عما إذا كان يجب أن أبادله القبل، إن كان ينبغي أن أدير وجهي قليلاً وأضع شفتيّ على شفتيه.

خرجت غابي برفقة مارك من الباب، وألقت تحية عابرة قبل أن تحدق بنا قائلة: «أوه، أنا آسفة».

قلت: «لا عليك، أهلاً بكما».

ضحك إيثان وأقبل على مارك مصافحاً: «أنت مارك، أليس كذلك؟».

- «أنا إيثان، لم نلتقي رسمياً من قبل».

- «صحيح. مرحباً، سررت بالتعرف عليك».

اعتذرت غابي قائلةً: «يجب علينا أن نذهب».

ثم أردف مارك: «لقد عرفت للتو أن لدي عملاً في الصباح الباكر».

سألته باستغراب: «في يوم الأحد؟».

- «نعم، هنالك مسألة في العمل يجب أن أقوم بها».

نظرتُ إلى ساعتِي، كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل.

قلت وأنا أنهض: «أوه، حسناً».

استوقفني إيثان قائلاً: «في الواقع، إذا كنت تودين الاستمرار في السهر لبعض الوقت، يسعدني أن آخذك معي إلى المنزل، أعني منزل غابي».

لمحتُ ابتسامة خجولة على وجه غابي.

ضحكت في سري. هذا واضح جداً، أليس كذلك؟

بالعودة إلى لوس أنجلوس، أنا لا أحاول فقط بناء حياة أفضل بمساعدة ودعم أعزّ صديقة لي، بل أعيد أيضاً النظر في علاقتي التي لم تكتمل مع إيثان.

لم نلتق منذ سنوات، وعاش كلٌّ منّا حياته بشكل مختلف تماماً، وها قد عدنا الآن، نجلس بعيداً عن الحفل ونغازل أحداً الآخر بينما يرقص الآخرون.

هل سيحدث شيء ما بيننا؟ وإذا تركته يأخذني إلى المنزل،
فهل سيعني ذلك لي أكثر مما يعني له؟
نقلت ناظريّ بين إيثان وغابي .

الحياة رحلة طويلة نتخذ فيها عدداً لا يحصى من القرارات .
لطالما أقنعت نفسي بأن القرارات الصغيرة لا تغير كثيراً في حياتنا،
وبأنه سينتهي بي المطاف في المكان الذي أحتاج أن أكون فيه،
بغض النظر عما أفعله .
قدري سيجدني .
لذا قررت . . .

لذا قررت العودة إلى المنزل مع غابي .

لا أريد أن أستعجل حدوث أي شيء قبل أوانه .

التفتُ إلى إيثان وعانقته مودّعةً . سمعت من خلال الباب منسق الأغاني وهو يشغل أغنية مادونا عبّر عن نفسك⁽¹⁾ ، وللحظة ندمت على القرار الذي اتخذته . أنا أحب هذه الأغنية ، وقد اعتدت أنا وسارة على غنائها معاً في السيارة طوال الوقت . صحيح أن أمي لم تكن تسمح لنا بغناء المقطع الذي تُذكر فيه شراف الساتان ، ولكننا أحببنا هذه الأغنية وحسب ، وكنا نستمع إليها مراراً وتكراراً .

خطر لي التراجع عن توديعه ، وشعرت كما لو أن الكون بأكمله كان يدعوني لأبقى وأرقص .
ولكنني لم أفعل .

قلت لإيثان : «عليّ العودة إلى المنزل ، تأخر الوقت . يجب أن أعود على توقيت الساحل الغربي» .
- «أتفهم هذا تماماً . لقد قضيتُ وقتاً رائعاً الليلة» .

- «وأنا أيضاً! هل أتصل بك لاحقاً؟».

أوماً إيثان موافقاً وهو يخطو صوب غابي ليعانقها. صافح مارك، ثم التفت إليّ وهمس في أذني: «هل أنت متأكدة أنني لا أستطيع إقناعك بالبقاء؟».

هزرتُ رأسي وابتسمت قائلة: «أعتذر منك».

ابتسم وتنهد قليلاً ثم خفض بصره مستسلماً.

دخلنا الحانة وودّعنا المجموعة - إيريك وكايتلين وبرين وكاثارين وبقية الأشخاص الذين قابلتهم الليلة.

قالت لي غابي ونحن في طريقنا إلى السيارة: «اعتقدت لوهلة أنك ستعودين للمنزل برفقة إيثان».

هزرتُ رأسي وقلت: «تعتقدين أنك تعرفيني جيداً».

رمقتني بنظرة شك.

- «حسناً، أنت تعرفيني جيداً، ولكنني أشعر أنه في حال كان هنالك شيء ما سيحدث بيني وبين إيثان، فسيحدث في وقته المناسب، لذا لا حاجة للعجلة».

- «إذاً، أنت ترغبين في أن يحدث شيء بينكما؟».

- «لا أعلم! ربما؟ في نهاية المطاف؟ يجدر بي أن أكون برفقة رجل لطيف وصادق ومتزن مثله. وبحسب خبرتي مع الرجال، إيثان أشبه بخطوة في الاتجاه الصحيح».

عندما وصلنا إلى السيارة، فتح مارك لنا الأبواب ثم أخبر غابي بأنه سيسلك شارع ويلشاير في طريقنا إلى المنزل.

- «سيكون أفضل لنا، إنه أسهل وأقل ازدحاماً، أليس

كذلك؟».

ردت غابي موافقة: «أجل».

ثم التفتت نحوي وسألتني ما إذا كنت قد سمعت بنصب أوربان لايت في متحف مقاطعة لوس أنجلوس للفنون.

- «لا، لا أعتقد ذلك».

- «أظن أنه سيعجبك. لقد قاموا بتركيبه قبل بضع سنوات. سنمر بجانبه وسأشير إليه لثريه. بالمناسبة، كل هذا جزء من حملتي التي تهدف إلى جعلك تقعين في حب لوس أنجلوس مجدداً».

- «أنا متشوقة لرؤيته».

- «دائماً ما يقول الناس أن لا حضارة للوس أنجلوس، فسأثبت أنهم على خطأ لتشجيعك على البقاء فيها».

- «تذكرين أنني قضيت فيها ما يقارب العشرين عاماً، أليس كذلك؟».

التفتت غابي نحوي بينما كان مارك ينظر إلى الأمام وهو يقود السيارة.

- «كنت أريد أن أسألك، كيف حال والديك وكيف هي سارة؟».

- «أمي وأبي بخير، وسارة تعمل الآن في شركة لندن للباليه وتعيش مع صديقها جورج. لم أقابله بعد ولكن والديّ يحبانه، وهذا أمر جيد. تبدو أحوال أبي في العمل جيدة أيضاً، لذا أظن أن أمي تفكر في العمل بدوام جزئي فقط».

لا يرسل والداي لي المال بالمعنى التقليدي للكلمة، ولكنهما اعتادا منذ سنوات أن يقدموا لي مبلغاً كبيراً في أعياد رأس السنة، وقد كنت أشعر وكأنه مكافأة عيد الميلاد. في الواقع لا أعلم مقدار المال الذي تملكه عائلتي، ولكنه يبدو كثيراً بالتأكيد.

سألني مارك: «ألم تعد عائلتك تزور الولايات المتحدة؟».

أجبت: «لا، أنا من يذهب دائماً لزيارتهم».

- «تبحثين عن أي سبب للذهاب إلى لندن، أليس كذلك؟».

- «أجل».

ولكن هذا لم يكن صحيحاً. كل ما في الأمر أنهم لم يعلنوا قط عن رغبتهم في العودة إلى الولايات المتحدة. وبما أنهم يدفعون لي ثمن تذكرة الطيران، فليس لديّ خيار آخر.

التفتُ نحو نافذة السيارة لمشاهدة الشوارع التي كنا نمرّ بها. كانت شوارع لم أعتد أن أسلكها أيام مراهقتي، كنا في منطقة من المدينة لا أعرفها جيداً.

سألني غابي: «هل استمتعتِ هذه الليلة؟».

أجبتها وأنا أواصل التحديق في الأرصفة وواجهات المحلات التي كنا نمرّ بها: «نعم، لقد استمتعت كثيراً. لديك أصدقاء رائعون هنا، وكان من الممتع لقاء الفتيات من مدرستنا الثانوية. هل فقدت كايتهلين ما يقارب الخمسة عشر كيلوغراماً من وزنها؟».

ردت عليّ غابي قائلة: «أعتقد أنها تابعت برنامج مراقبة الوزن Weight Watchers. لقد وازبطت بشكل جيد ونجحت في تخفيف وزنها. هذا لا يعني أنها لم تكن ناجحة من قبل، فلا تحتاج المرأة أن تكون نحيفة لتصبح ذات قيمة».

لمحتُ مارك يبتسم في مرآة الرؤية الخلفية، فبادلته الابتسام. كانت هذه طريقتنا في المزاح حول آراء غابي الصارمة. امتنعت عن الضحك رغم رغبتني في ذلك. كانت غابي محقّة. قيمة النساء لا تقاس بنحافة أجسادهن، فلا تزال كايتهلين الفتاة نفسها التي كنا

نعرفها قبل أن تخسر بعض الوزن. ولكن المضحك هنا هو أن غابي كانت لا تستطيع التوقف عن التلفظ بمثل هذه الأقوال، وترفض أن تراها مسلّمات.

رن هاتف غابي فالتقطته. راقبتها وهي تقرأ الرسالة النصية التي تلّقّتها، ثم أخفت هاتفها على الفور. إنها لا تجيد إخفاء أي شيء عني.

مكتبة

t.me/soramnqraa

سألتها: «ما الأمر؟».

- «أي أمر؟».

- «ما الذي تلقّيته على هاتفك؟».

- «لا شيء».

- «هيا، غابي».

- «ليس أمراً مهماً، ولا يعني شيئاً».

- «أعطني إياه».

سلمتني هاتفها على مضض، فوجدت رسالة نصية من كاثرين.

أنا ذاهبة مع إيثان إلى منزله. هل هذه فكرة سيئة؟

شعرت بقلبي يعتصر داخل صدري. أعدت الهاتف لغابي وأشحتُ بنظري بعيداً دون أن أنطق بكلمة.

نظرت إلَيَّ بإشفاق وقالت: «أرجوكِ لا تنزعجي».

- «لست منزعجة».

لكن الانزعاج كان واضحاً في حدة صوتي ونبرتي العالية.

ثم أردفت راجية: «هوّني عليك».

ضحكت وقلت: «لا بأس، يمكنه فعل ما يشاء».

أنا سعيدة لأنني لم أبق معه هناك لأرى ما إذا كان سيحدث شيء بيننا .

- «لم أبق معه الليلة تحديداً لأنني لم أرغب في أن أكون نزوة ليلة عابرة. هذا لو كان أصلاً سيحدث شيء بيننا. لقد جنبني الإحراج» .

عبست غابي في وجهي .

دافعت عن نفسي بضحكة عالية، وكأنني كلما علت ضحكتي، استطعت إبعاد شفقتها عني .

- «لا أنكر أنه رجل رائع، ولكن إذا كان هذا ما سيؤول إليه الأمر معه، فأنا لا أريده» .

نظرتُ من خلال النافذة من جديد، ثم عدت على الفور لأنظر إلى غابي .

- «في الحقيقة، تعجبني كثيرين . إنها تبدو شخصاً رائعاً» .

تدخل مارك قائلاً: «إذا سمحتما لي، أنا لا أعرف الكثير عن ماضيكما، ولكن معاشرته لامرأة أخرى لا تعني بالضرورة أنه...» .

قلت: «أعلم. ولكن مع ذلك فهذا يوضح لي حقيقة أنه خير لنا أن تبقى علاقتنا جزءاً من الماضي. لقد تواعدنا منذ زمن طويل، فلا أمانع ما يقوم به» .

سألتني غابي: «هل تريدان أن نغير الموضوع؟» .

- «نعم، من فضلك» .

- «حسناً، ما رأيك أن نذهب غداً لتناول الإفطار في الخارج عندما يذهب مارك لعمله؟» .

- «نعم، لنحدث عن الطعام» .

استدرتُ ونظرت من خلال النافذة.

سألت غابي مارك: «إلى أي مطعم تقترح أن نذهب؟».

بدأ كلاهما بذكر أسماء مطاعم لم أسمع بها من قبل.

سألني مارك إذا ما كنت أفضل طعام إفطار حلو أو مالح.

سألته مستوضحة: «تعني هل أفضل الفطائر أم البيض؟».

أجاب: «نعم».

تدخلت غابي قائلة: «إنها تحب لفائف القرفة»، وأنا أجيبه في

نفس الوقت: «أحب المحلات التي تقدّم لفائف القرفة».

عندما كنت صغيرة، اعتاد أبي اصطحابي إلى محل للكعك

اسمه بريموس دونتس، وقد كان يصنع لفائف قرفة كبيرة وساخنة.

كنا نذهب إليه في صباح كل يوم أحد، وعندما كبرت، ازدادت

مشاغلنا، وأصبح والداي يقضيان أغلب أوقاتها في أخذ سارة ذهاباً

وإياباً بين البروفات والحفلات المختلفة، لذا أصبح من الصعب

إيجاد وقت للذهاب إلى محل الكعك. ولكن كلما سنحت الفرصة،

كنت أقوم دائماً بطلب لفائف القرفة، فأنا أحبها كثيراً.

عندما انتقلت للعيش مع عائلة غابي، اعتادت والدتها تينا شراء

علب لفائف القرفة النيئة وخبزها من أجلي نهاية كل أسبوع. كان

أسفل اللفائف يحترق دوماً، وكانت تقلل من كمية الكريمة المعبأة

مسبقاً، إلا أنني لم أكن أهتم بأي من ذلك، فحتى لفائف القرفة

السيئة مذاقها لذيذ.

قلت لمارك: «أفضلها مع الكثير من الكريمة، ولا يهم إذا كانت

سعراتها الحرارية تكفي يوماً كاملاً. فإذا كانت غابي لا تمانع،

سأحاول البحث عن بريموس دونتس، وسنذهب إليه غداً».

- «اتفقنا . ها قد شارفنا على الوصول إلى المتحف . انظري ناحية اليمين من هنا . يمكنك رؤية الأضواء الآن، إنها أمامك مباشرة» .

تطلعت إلى الأمام من فوق رأسها فرأيت ما تحدث عنه . عبرنا إشارة خضراء بسرعة وتوقفنا عند أخرى حمراء أمام متحف لوس أنجلوس للفنون . رأيت النصب بوضوح الآن .

عمود إنارة يتلوه آخر في صفوف متراصة بعضها خلف بعض، متوهجة ومتناسقة، ولا تشبه مصابيح الشوارع التي نراها اليوم . ترتفع باتجاه السماء ثم تتقوس فوق الشارع . إنها من طراز عتيق . تبدو كما لو أن جين كيللي⁽¹⁾ تأرجح عليها وهو يغني تحت زخات المطر .

حدقت في النصب بتركيز من خلال النافذة . كان يجمع بين البساطة والجمال في آن واحد . إنّ لمنظر أضواء المدينة المُحاطة بظلام الليل حالك السواد سحرٌ فريد . لعل في ذلك استعارة لوصف النور وسط . . . آه اللعنة، أنا أكذب . في الحقيقة، أنا لا أفهم المغزى منه .

سألت غابي : «لم لا نترجل من السيارة؟ ألن يكون ذلك رائعاً، يا مارك؟ هل يمكننا أن نركن السيارة لناخذ صورة سريعة بجانب المصابيح؟ ما رأيكما أن نجعلها أول ليلة حقيقية لهانا في لوس أنجلوس؟» .

أوماً مارك برأسه ثم انعطف ليركن السيارة بجوار الرصيف

(1) Gene Kelly (1912-1992): مغنٌ وممثل أمريكي شهير .

عندما أضاءت الإشارة الخضراء. ترحلنا من السيارة وتوجهنا إلى منتصف منطقة المصاييح.

أخذ كل منا دوره في التقاط الصور للبقية. وقفت مع غابي بين عمودَي إضاءة، وقام مارك بالتقاط صور لنا وكل واحدة منا تطوق الأخرى بذراعها، وعلى وجهينا ابتسامة عريضة. ثم صور أخرى وإحدانا تقبل الأخرى على الخد. وبعدها وقفنا على جانبي عمود إضاءة وقمنا بحركات مُضحكة أمام عدسة الكاميرا. بعد ذلك، عرضت أن أقوم بالتقاط صور لغابي ومارك معاً.

تبادلت مكاني مع مارك وأخرجت هاتفي لالتقاط الصورة. احتضن غابي ومارك أحدهما الآخر بقوة واستعدا لالتقاط الصورة تحت المصاييح. رجعت للوراء قليلاً لاحتواء المشهد بأكمله داخل إطار الصورة بالشكل الذي أريده.

- «انتظرا، أريد احتواء المصاييح كلها في الصورة».

لا يمكنني الابتعاد بما يكفي لاحتواء أعلى المصاييح في اللقطة، فذهبت لأقف على حافة الرصيف، ولكن المسافة ظلت غير كافية، فضغطت على زر إشارة إعطاء الأولوية لعبور المشاة وانتظرت لكي أذهب وأقف في وسط الشارع.

صرختُ: «انتظرا ثانية واحدة فقط».

صرخت غابي: «يجدر بك أن تلتقطي صورة جيدة!».

تغيرت الإشارة للضوء الأحمر، وتغيرت إشارة المشاة البرتقالية إلى اللون الأبيض، فنزلت من الرصيف إلى ممر المشاة. استدرت نحوهما ووضعت غابي ومارك وسط إطار اللقطة،

وسط بحر من الأضواء. ضغطت على زر الالتقاط وفحصت الصورة، ثم التقطت صورة أخرى من باب الاحتياط. ما كدت أسمع صوت صرير إطارات السيارة، حتى كان قد فات الأوان على الهروب.

تدحرجتُ عبر الشارع وصار العالم كله يدور حولي، وبعد ذلك، أصبح كل شيء هامداً على نحوٍ صادم.

نظرتُ إلى المصابيح. نظرتُ إلى غابي ومارك يركضان نحوي وقد فغر كل منهما فاه ويده ممدودتان. أعتقد أنهما كانا يصرخان، ولكنني لم أكن أستطيع سماعهما.

لم أشعر بأي شيء. لم أستطع الشعور بأي شيء. أظن أنهما كانا يناديان باسمي. رأيت غابي تمد يديها نحوي ومارك يطلب رقماً على هاتفه.

امتلاً الجو برائحة مطاط العجلات. بدأت أنف دماً، ولكنني لم أعرف من أين. تشاقل رأسي وشعرت بضغط على صدري كما لو أن العالم بأكمله يجثم فوقه.

كانت غابي خائفة جداً. قلت: «أنا بخير. لا تقلقي. أشعر بأنني على ما يرام». نظرتُ إليّ.

تابعت: «كل شيء سيكون على ما يرام، صدّقيني». ثم رأيت وجهها يتلاشى، ولف المكان سكون عميق، وانطفأت الأنوار.

لذا قررت البقاء في الحانة مع إيثان.

كنت أرغب في قضاء بعض الوقت مع رجل محترم من باب التغيير. التفت لأودع غابي ومارك، وسمعت في نفس اللحظة صدى أغنية عبّر عن نفسك يتردد داخل الحانة، فعلمت حينها أنني اتخذت القرار الصائب. كنت أحب هذه الأغنية حقاً، وقد اعتدنا أنا وسارة أن نجعل والدينا يستمعان إليها مراراً وتكراراً، وأن نغنيها بأعلى صوتينا عندما نكون في السيارة. سيتيح لي بقائي الرقص على أنغامها.

قلت وأنا أعانق غابي: «لا تمانعين بقائي، أليس كذلك؟ أريد فقط أن أسهر لوقت أطول وأعرف ما تخبئه لي هذه الليلة».

قالت لي غابي بينما كنت أعانق مارك لتوديعه: «بالطبع لا، واصلني سهرتك!».

ظهرت ابتسامة ماكرة على وجهها لم يلاحظها أحدٌ غيري. قلبت عينيّ وتسللت ابتسامة إلى وجهي قبل أن تتوجه برفقة مارك نحو الباب.

التفت إليّ إيثان قائلاً بجرأة: «بإمكاننا فعل كل ما نريده هذه الليلة إذاً».

أحسست وكأننا عدنا إلى أيام المراهقة مجدداً.

- «هل تودّ الرقص معي؟».

ابتسم إيثان، فتح لي باب الحانة، واستمر ممسكاً به إلى أن دخلت.

قال لي: «لنرقص معاً».

بعد دخولنا بحوالي دقيقة، انتهت الأغنية، ثم بدأت أغنية أخرى ذات نمط إسباني وإيقاع لاتيني. شعرت بورغي يتحركان رغماً عني ويتمايلان على الإيقاع، ثم سرعان ما أطلقت العنان لنفسي وتركت جسدي يتحرك كما يشاء. لفّ إيثان يده حول أسفل ظهري، وبالكاد لامست ساقه باطن ساقي. تحرك إلى الأمام وإلى الخلف ثم شدني سريعاً نحوه وجعلني أدور حول نفسي. نسينا وجود الناس من حولنا وبقينا هكذا تتوافق حركاتنا مع إيقاع الأغاني المتتالية، ووجهانا متقاربان دون أن يتلامسا أبداً. كنت أرفع عيني بين الفينة والأخرى، لأجده يراقبني فأحمرُّ خجلاً بعض الشيء.

بعد أن مضى معظم الليل، انتهى وقت الرقص وبدأت الحانة تخلو من مرتاديها. التفتُ لأتفقد الحاضرين، كان جميع أفراد مجموعتنا قد انصرفوا إلى منازلهم.

أمسك إيثان بيدي وسار بي إلى الخارج. ما إن وضعنا أقدامنا على الرصيف وابتعدنا عن ضجيج الحانة حتى شعرت بالتأثير الذي يحدثه قضاء سهرة كاملة داخل مكان صغير تصدح فيه أصوات الموسيقى العالية. كان العالم الخارجي ساكناً مقارنةً بالحانة. شعرت بالجفاف في عيني والألم الشديد في مشط قدمي.

سرت وراء إيثان حتى نهاية الشارع بينما كان آخر رواد الحانة يغادرون.

سألته: «أين سيارتك؟».

- «لقد أتيت إلى هنا مشياً على الأقدام لأنني أسكن في مكان قريب من هنا. لديّ فكرة، لنذهب من هذا الطريق».

كدت أتعثر وأنا أحاول اللحاق بخطواته السريعة، وانتابني ألم مُبرح في قدمي.

قلت: «انتظر، انتظر، انتظر».

انحنيت وخلعت حذائي. كان الرصيف متسخاً بقطع من العلكة القديمة جداً والتي تحولت مع الأيام إلى بقع سوداء فوق الإسمنت، وتجدّرت شجرة بقوة في الأرض لدرجة أنها كسرت الرصيف وبرزت حولها شقوق وحواف حادة ومتكسرة. لكن الألم في قدمي كان لا يُحتمل. التقطت حذائي ولحقت بإيثان.

نظر إيثان إلى قدمي وتوقّف في مكانه.

- «ما الذي تفعلينه؟».

- «قدماي تؤلمانني ولا أستطيع المشي بهذا الحذاء. لا بأس بذلك. دعنا نذهب».

- «هل تريدني أن أحملك؟».

أضحكني سؤاله.

- «ما المضحك في هذا؟ أنا قادر على حملك».

- «أنا بخير. هذه ليست المرة الأولى التي أجوب فيها مدينة وأنا حافية القدمين».

ضحك وتابع المشي ثانيةً.

- «كنت أقول... لدي فكرة رائعة».

- «ما هي؟».

أمسك بيدي وسحبني إلى جانبه: «لقد كنت ترقصين».

- «طبعاً».

- «وكنت تحتسين الشراب».

- «قليلاً».

- «وتتعرقين كثيراً».

- «آه... أعتقد ذلك؟».

- «لكن بقي شيء واحد لم تقومي به بعد».

- «حسناً؟».

- «الأكل».

ما أن تفوّه بهذه الكلمة حتى بدأت أتضوّر جوعاً.

- «أوه، يا إلهي، أين سنأكل؟».

أسرع الخطى نحو التقاطع الرئيسي أمامنا. بدأت أشم رائحة شيء ما، شيء مُدخّن. سابقته وقداي تدوسان الإسمنت القذر في كل خطوة خطوتها حتى نشق طريقنا إلى الحشد المتجمهر على الرصيف.

نظرت إلى إيثان الذي أخبرني أن مصدر الرائحة هو شطيرة ملفوفة باللحم المقدد.

شق طريقه وسط الزحام نحو عربة الطعام وطلب وجبتين لنا. كانت تشبه عربات المثلجات الجميلة التي قد ترى شخصاً يدفعها أمامه في المنتزهات. أما صاحبة العربة فكانت منهمكة في تلبية طلبات السكاري المتحلقين حولها في الشارع.

عاد إيثان وفي يديه شطيرتان.

وضع إحداهما تحت أنفي وقال: «شُمِّي رائحتها». شممتها.

- «هل سبق أن شممت رائحة شهية كهذه في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل في أي مدينة أخرى عشت فيها؟». في تلك اللحظة، حقاً، لم أستطع أن أتذكر أنني قد سبق وفعلت ذلك، فأجبتة بالنفي.

تنزّهنا سيراً في المنطقة حتى انتهينا إلى شارع سكني. لم أعد أسمع أصوات الزبائن المتجمعين حول عربة الطعام أو أرى الدخان المتصاعد منها. لم أعد أسمع سوى صوت صراخير الليل، بالرغم من وجودي في وسط المدينة. لقد نسيت ذلك عن لوس أنجلوس، نسيت أنها تجمع بين الحياة الحضرية وحياة الضواحي في آن واحد. اصطفت على امتداد الشارع أشجار نخيل طويلة جداً لدرجة أنك تحتاج أن ترجع برأسك للخلف لترى قممها. كانت متواصلة صعوداً ونزولاً نحو المناطق الشمالية والجنوبية. سار إيثان نحو نخلة محاطة بالعشب وجلس على الرصيف الضيق الذي يفصل بينها وبين الشارع، ثم وضع قدميه على الطريق وأسند ظهره إلى النخلة. جلست بجانبه بنفس الوضعية.

كان أسفل قدميّ أسود في هذه اللحظة ولا يمكنني أن أتخيل ما سيبدو عليه حوض استحمام غابي في صباح يوم غد.

مددت يدي ليناولني إيثان الشطيرة التي قرر أنها ستكون من نصيبي.

- «ناولني شطيرتي».

أعطاني الشطيرة فقلت له: «شكراً لشرائك طعام العشاء. أو الإفطار. أيّاً يكن ما سنأكله الآن».

أخذ قضمه من شطيرته ثم أوماً برأسه بعد أن ابتلعها.

- «آه، لقد ارتكبت خطأً غير مقصود. نسيت أن أشتري الماء».

بدا العالم أكثر وضوحاً الآن بعدما غادرنا الحانة. أصبح بإمكانني أن أسمع وأرى بشكل أفضل، وربما الأهم من ذلك، أصبح بإمكانني التلذذ بمذاق هذه الشطيرة الملفوفة باللحم المقدد الشهى.

قلت: «أعلم أن ما سأقوله سيبدو مبتذلاً، ولكن اللحم المقدد يجعل طعم كل شيء ألذ».

- «أعرف، لا أريد أن أبدو مغروراً، ولكنني أشعر أنني أول من اكتشف ذلك. لقد أحببت اللحم المقدد منذ سنوات».

ضحكت وقلت: «كنت تحبه منذ كان يقدم كوجبة إفطار فقط».

ضحك وردّ بنبرة متأثرة: «والآن تغيّر وأصبح يباع في أي وقت وفي كل مكان».

- «نعم، على الأرجح أنك اعتدت أكل اللحم المقدد مع الكعك المحلى».

- «لنضع المزاح جانباً. أنا أعتقد حقاً أنني أول من اخترع اللحم المقدد المحلى».

بدأت بالضحك أثناء تناول شطيرتي.

- «أنا لا أمزح! اعتدت في طفولتي وضع شراب القيقب على اللحم المقدد. ويمكننا القول إن شراب القيقب زائد اللحم المقدد يساوي... اللحم المقدد المحلى. على الرحب والسعة، يا أمريكا».

ضحكت ووضعت يدي على ظهره .

- «أعتذر عما سأخبرك به ، ولكن جميع الناس اعتادوا فعل هذا منذ سنوات» .

نظر إليّ مباشرة .

- «لكن لم يخبرني أحد بذلك . لقد توصلت إليه لوحدي . إنها فكرتي أنا» .

- «برأيك ، من أين استلهم الناس وصفة كعك اللحم المقدد مع شراب القيقب أو اللحم المقدد المغطى بالسكر البني؟ لقد كان الناس في جميع أنحاء البلاد ومنذ سنوات عديدة يضعون شراب القيقب على اللحم المقدد ويتلذذون بمذاقه» .

ابتسم لي : «لقد أفست عليّ ما اعتبرته الإنجاز الوحيد في حياتي» .

ضحكت : «أوه ، بحقك ، أنت تتحدث إلى امرأة لا تملك لا وظيفة ولا منزلاً ، وبالكاد تملك المال ، وليس لديها أي إمكانيات . دعنا لا نخوض في الإنجازات الشخصية» .

التفت إيثان إليّ وقد تناول شطيرته بالكامل .

- «هل هذه نظرتك إلى نفسك حقاً؟» .

ألجأ عادةً إلى المزاح في مواقف كهذه ، ولكن النكات تتطلب الكثير من الجهد ، لذا اكتفيت بالتلويح برأسي من جهة لأخرى كما لو أنني أحاول اتخاذ قرار ما .

- «في الحقيقة هذه هي نظرتي لنفسي نوعاً ما» .

هزّ إيثان رأسه ، ولكنني استرسلت قائلة :

- «ما أعنيه هو أنه لم يخطر لي أبداً أن هذا هو الحال الذي

ستؤول إليه حياتي، وكلما نظرت إلى غابي أو إلى شخص مثلك، أدركت أنني لم أحقق ما أصبو إليه، ولكن هذا ليس بالأمر المهم».

أدركت أنني بدأت أشتكي، فاستدركت:

- «إنه أمر أحتاج أن أعمل عليه فحسب. أعتقد أن كل ما آمله في هذه المرحلة هو أن أجد مدينة أستقر فيها».

نظر إليّ إيثنان وقال: «لطالما ظننت أنه يجدر بك العودة للعيش هنا».

ابتسمت له، ولكن تحديقته فيّ أشعرنني بالتوتر. ضربت فخذي برفق وقلت: «حسناً، هل نمضي قدماً؟».

حدّق إيثنان في الفضاء أمامه للحظة ونظر إلى الأرض عند قدميه، ثم بدا وكأنه يعود إلى الواقع.

- «نعم، يجب علينا العودة الآن».

وقفت فوقف بجانبه، ولبرهة وجدنا جسدينا متلاصقين بشكل لم يتوقعه أي منا، حتى أنني استطعت أن أشعر بدفء بشرته.

بدأت أراجع قليلاً فأمسك يدي برفق ليوقفي. حدّق في عينيّ، فأشحت ببصري بعيداً.

- «هنالك سؤال يراودني منذ مدة».

- «حسناً».

- «لماذا انفصلنا؟».

نظرت إليه وشعرت برأسي يميل جانباً بعض الشيء. كان سؤاله مفاجئاً بالنسبة لي.

ابتسمت وقلت: «حسناً، أعتقد أن هذا ما يفعله من هم في عمر الثامنة عشرة. ينفصلون عن بعضهم».

بقي التوتر سائداً.

قال: «أعلم. ولكن هل كان لدينا سببٌ وجيهٌ؟».

نظرت إليه باسمّةً وكررت سؤاله. «هل كان لدينا سببٌ وجيهٌ؟ لا أعلم. لا يحتاج المراهقون أن تكون لديهم أسبابٌ وجيهةٌ حقاً».

ضحك وبدأ السير عائداً من حيث أتينا فلحقت به.

ابتسم لي: «هل تعلمين أنك فطرتِ قلبي عندما رحلتِ؟».

- «عفواً؟! ماذا؟! مهلاً. لا، لا، لا. أنا التي انفطر قلبها. أنا

التي تخلى عنها حبيبها عندما ذهب إلى الجامعة».

هز رأسه وابتسم رغماً عنه.

- «يا له من هراء. أنتِ من تخلّيت عني».

ابتسمت وهزّزت رأسي: «أعتقد أنني أتعامل هنا مع تحريف

للتاريخ. كنت أريد أن نبقي معاً».

- «هذا سخيف!».

مشى بتثاقل واضعاً يديه في جيبَي سرواله وكتفاه محنيّان إلى

الأمام، وتابع:

- «هذا سخيف حقاً! هل يعقل أن امرأة تفطر قلبك ثم تعود إلى

المدينة بعد عقد لتلقي اللوم عليك؟».

قلت: «حسناً، حسناً. يمكننا أن نتفق على أن نختلف».

نظر إليّ ثم هز رأسه وضحك: «لا! أنا لا أقبل هذا».

- «أوه، أنت تتصرف بسخافة».

- «غير صحيح. لدي دليل».

- «دليل؟».

- «تماماً، دليل دامغ».

تسمرت في مكاني وشبكت ذراعِي .

- «يجب أن يكون دليلاً مقنعاً . ما هو دليلك؟» .

توقّف واقترب مني .

- «تريدين دليلاً؟ تفضلي: كريس رودريغيز» .

كان كريس حبيبي في السنة الأخيرة من الثانوية .

- «أوه، أرجوك، ما الذي يثبت كريس رودريغيز؟» .

- «يثبت أنك من هجرني أولاً . لقد عدت من الجامعة لقضاء

عطلة عيد الميلاد وأنا أتحرق شوقاً لأطرق بابك وأعانقك، لكن في اللحظة التي وصلت بها إلى المدينة، سمعت أنك تواعدت كريس رودريغيز» .

ضحكت وقلّبت عينيّ قليلاً .

- «كريس لم يكن يعني لي شيئاً، ولم تعد تربطني به أي علاقة

قبل أن تعود من الجامعة لقضاء عطلة الصيف حتى . ظننت أنك ربما عدت لتقضي تلك الأشهر الثلاثة و...» .

نظر إليّ وهو يحرك حاجبيه إلى الأعلى والأسفل بحماس .

ضحكت وأنا أشعر ببعض الحرج: «حسناً، ليس لذلك أي

أهمية، صحيح؟ لأنك كنت تواعد أليسيا في ذلك الوقت» .

- «فقط لأنني ظننت أنك لا زلتِ تواعدت كريس . هذا هو

السبب الوحيد الذي دفعني إلى ذلك» .

- «هذا فظيع!» .

- «لم أكن أعني ذلك آنذاك! ظننت أنني أحبها حقاً . فقد كنت،

كما تعلمين، في التاسعة عشرة ولم أكن على قدر كبير من الوعي» .

- «لعلك أحببتها حقاً إذًا، وبالتالي ربّما أنت من هجرني أولاً».

هزّ رأسه بالنفي: «لا. لقد هَجَرْتَنِي فِي بداية ذلك العام الدراسي، قالت إنها بحاجة إلى شخص تكون المرأة الوحيدة في حياته».

- «وأنت لم تستطع ذلك؟».

رمقني بنظرات حادة ثم قال: «لا».

ساد الصمت بيننا لبرهة. لم يكن لأي منا شيء ليقوله، أو ربما بعبارة أصح، لم يعرف أي منا ما ينبغي عليه أن يقوله. واصلتُ السير ثانيةً ثم قلت أخيراً: «إذًا، لقد فطر كلُّ منا قلب الآخر».

وافقني الرأي مبتسماً: «اتفقنا على أن نختلف».

مشينا حتى آخر الشارع، ثم توقفنا عند الإشارة الحمراء منتظرين إشارة عبور المشاة.

أثناء تعمّقنا بالسير داخل المنطقة السكنية قلت له: «لم أمارس علاقة حميمة مع كريس أبداً».

- «أبداً؟».

- «أبداً».

«هل من سبب؟».

حرّكت رأسي من جهة لأخرى وأنا أحاول إيجاد الكلمات المناسبة لشرح ما شعرت به في تلك الفترة، لأقول أخيراً: «أنا... لم أحتمل فكرة اقتراب أي شخص مني سواك، ولم يبدُ من الصواب القيام بعلاقة حميمة مع أيّ كان».

كنت في الحادية والعشرين من عمري عندما قمت بعلاقة حميمة مع شخص آخر. كانت مع ديف، صديقي في الجامعة. لم يكن ذلك لأنني كنت مغرمة به كما كنت مُغرمة بإيثان، ولكن لأن الامتناع عنها بدأ يبدو غريباً. وحتى أكون صريحة، في مرحلة ما، فقدت هذا الشعور بأن الشخص يجب أن يكون مميزاً وله مكانة خاصة.

قلت له ممازحة: «أراهن أنك لم تقاوم مفاتن أليسيا».

اعتقدتُ للحظة أنني رأيتُ وجهه يحمرّ خجلاً.

أخذني نحو مبنى مكسوّ بنبات اللبلاب في شارع مظلم وهادئ. فتح الباب ودعاني للدخول قبله.

- «لقد أفحمتني. يخرجني أن أعترف أنني مررت بأوقات في حياتي شجعني فيها رفض المرأة التي أحببتها على معاشرة نساء أخريات. كان تصرفاً دنيئاً، لكنه ساعدني على تجاوز آلامي».

- «لا شك لدي في ذلك».

أرشدني إلى شقته في الطابق الثاني.

- «لكن هذا لا يعني شيئاً، معاشرتي لأليسيا لا تعني أنني لم أكن أحبك، وأنني لم أكن لأتخلى عن كل شيء لأكون معك. لو ظننت أن... حسناً، تعلمين ما أقصده».

نظرت إليه: «نعم، أعلم».

فتح الباب وأشار لي بالدخول. نظرت إليه ودخلت منزله. كانت شقته عبارة عن استوديو كبير، ما جعلها دافئة دون أن تبدو ضيقة. بدت مرتبة ولكن ليست بالضرورة نظيفة، أعني أن كل شيء كان في مكانه، لكن كان هناك بعض الغبار في الزوايا وبقعة كوب قهوة على الطاولة الخشبية الداكنة. الجدران مطلية بلون أزرق غامق

ولكن غير صارخ. هناك شاشة تلفاز مسطحة مُثَبَّتة على الجدار المقابل للأريكة، وملأت الرفوف التي تكدست فوقها الكتب كل حيز في المكان. أما شراشف السرير، فكانت رمادية غامقة. هل كنت أعرف آنذاك أنه سيكبر ليصبح هذا النوع من الرجال؟ لا أعلم.

قال لي: «كان من الصعب تحمّل فراقك».

- «أوه، حقاً؟».

شعرت بغصة في حلقي لكنني حاولت إخفاءها بأن أبدو مرحة.

- «ما الذي كان صعباً عليك أن تتحمّله؟».

رمى المفاتيح على طاولة جانبية.

- «ثلاثة أشياء».

ابتسمت لأوحي له بأنني مستعدة للإصغاء.

- «يستحسن بك ذكر أشياء جيّدة!».

- «أنا جاد. هل أنتِ مستعدة لسماعها؟ لأنني لا أعبت معك».

- «مستعدة».

رفع إيشان إبهامه وبدأ يعد.

- «أولاً. كنت تسرّحين شعرك للأعلى دائماً، كما هو الآن،

على شكل كعكة عالية، وفي أحيان نادرة تتركينه منسدلاً».

توقّف لبرهة، ثم تابع:

- «أحببت تلك اللحظة. تلك اللحظة بين رفعك له وإسداله،

حين كان يسقط فوق رقبتك وحول وجهك».

وجدت نفسي أعبت بكعكة شعري، فتوقفت عن تعديلها وقلت

له: «حسناً».

- «ثانياً. كانت شفتاك دائماً بطعم القرفة والسكر».

ضحكت. إذا لم أكن متأكّدة من قبل، فقد تأكّد لي صدق كلامه الآن.

- «بسبب لفائف القرفة».

أوماً لي مؤكّداً: «بسبب لفائف القرفة».

سألته: «وما هو الأمر الثالث؟».

كنت بالكاد أرغب بمعرفة جوابه، كأنما هذا الشيء الثالث الذي سيقوله هو الذي سيدفع بمشاعر المراهقة تلك إلى السطح، سيل من الأوجان المحمّرة وضقات القلب المتسارعة. مشاعر المراهقة التي تترك المرء ثملاً، وتحوله إلى كائن ضعيف مسلوب الإرادة.

قال لي بنوع من الإطراء: «كانت رائحتك مثل اليوسفي».

نظرت إليه وأجبت: «برتقال وزنجبيل».

- «نعم. كانت رائحتك دائماً مثل البرتقال والزنجبيل».

ثم دنا من رقبتني وقال: «وما زالت كذلك».

أصبح قريباً مني لدرجة مكّنتني من استنشاق رائحته أيضاً. كانت مزيجاً من معطر الملابس والعرق.

شعرت بالحرارة تصعد إلى وجنتي وبدقات قلبي تتسارع.

قلت دون أن أتحرك من مكاني: «رائحتك زكية أيضاً».

- «شكراً لك».

- «حين كنا في الثانوية، كانت رائحتك تشبه مسحوق الغسيل

تايد».

- «أعتقد أن هذا ما كانت تستخدمه أُمي».

- «عندما غادرت إلى الجامعة، كنت أشم رائحة قمصانك القديمة وأنام فيها».

أنصت إليّ. أنصت إلى كلماتي ومشاعري، وأعاد صياغتها كحقيقة: «لقد أحبتني».

- «نعم، أحبيتك كثيراً. لدرجة أنني شعرت بحبك يشتعل داخل صدري أحياناً».

مال نحوي قليلاً وقال: «أريد أن أقبلك».

التقطت أنفاسي وأجبته: «حسناً».

- «لكنني لا أريد فعل ذلك إذا كان... لا أريد لهذا أن يكون شيئاً عابراً».

فقلت له: «لا أعلم ما هو هذا بالضبط، ولكنه ليس شيئاً عابراً».

ابتسم ومال نحوي أكثر.

قبلني قبلة رقيقة أول الأمر، وحين ملت برأسي نحوه أكثر، انهمر عليّ بسيل من القبل.

استندنا إلى باب المدخل المغلق خلفنا وشعرت بكتفي تلامسان إطار الباب.

لا تزال شفتاه ناعمتين ولا يزال الإحساس بجسده كما اعتدته من قبل. عاد بنا الزمن إلى الوراء ومحونا كل تلك السنين التي باعدت بيننا.

وما إن أصبحنا في السرير معاً، حتى شعرت وكأننا لم نفترق أبداً، ولم نهجر أحداً الآخر أبداً، ولم تنتقل عائلتي، ولم أبداً بمواعدة كريس رودريغيز، ولم يقابل إيثان أليسيا فوستر. شعرت

وكان برد بوسطن لم يلسع يدي، ورياح واشنطن لم تهبّ في شعري،
ومطر بورتلاند وسياتل لم يتساقط على كتفي، وحرارة أوستن لم
تلفح بشرتي. شعرت وكأن نيويورك وكل خيبات آمالي فيها لم تدخل
قلبي أبداً.

انتابني إحساس بأنني اتخذت قراراً صائباً أخيراً، ولأول مرة.

بعد ثلاثة أيام

فتحت عينيّ.

شعرت بثقلٍ في رأسي، ولم أتبيّن ما حولي. ثم بدأت الرؤية تتضح شيئاً فشيئاً.

كنت مُمدّدة على سرير مستشفى، ذراعاي بجانبَي وساقاي مُمدّتان أمامي تغطيهما بطانية. هناك امرأة شقراء أمامي تنظر إليّ بلطف ورصانة. كانت في الأربعينيات. لست متأكدة، لكنني لا أعتقد أنني رأيتها من قبل.

كانت ترتدي معطفاً أبيض وتحمل ملفاً بيديها.

- «هانا؟ أومئي برأسك إذا كنت تسمعينني يا هانا. لا تحاولي التحدث. أومئي فقط».

أومأت لها إيماءة خفيفة أحسست بآلمها حتى أسفل ظهري. أحسستُ بآلم خفيف في كل جزء من جسدي، ما لبث أن ازداد بشكلٍ مضاعف.

- «أنا الدكتور ونترز يا هانا. أنت في مستشفى أنجلوس بريسبيتريان. لقد تعرّضتِ لحادث سير».

أومأت برأسي مجدداً بالرغم من أنني لم أكن متأكدة ما إذا كان عليّ القيام بذلك.

- «يمكننا موافاتك بالتفاصيل لاحقاً، ولكنني أريد أن أطلعك على الأخبار المهمة الآن، حسناً؟».

أومأت برأسي. كنت عاجزة عن فعل أي شيء آخر.

- «أولاً، أخبريني ما هي درجة الألم الذي تشعرين به على مقياس من واحد إلى عشرة. عشرة تعني أنك تعانين من ألم شديد لا يمكنك تحمّله ثانية أخرى، وواحد يعني أنك على ما يرام».

حاولتُ التحدّث ولكنها منعتني.

- «أشيري بأصابعك. لا ترفعيها إلى أعلى. لا تحركي ذراعيك. أشيري بها فقط ويداك بجانبك».

نظرت إلى يديّ، ثم طويت أربعة أصابع من يدي اليسرى.

- «سته؟ حسناً».

دوّنت شيئاً ما في ملف كانت تحمله ثم بدأت تعبث بجهاز خلفي، قبل أن تبتسم وتقول مطمئنة:

- «سنقلّص هذا الرقم ليصبح واحداً».

كانت تبدو واثقة بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

- «قريباً سيكون من السهل عليك تحريك ذراعيك وجذعك،

كما سيسهل عليك التحدث عندما تقضين بعض الوقت مستيقظة. لقد تعرّضتِ لنزيف وبعض الكسور. هذا اختصار مُبسّط لما مررت به وسنكتفي به الآن. ستكونين على ما يرام. سيصعب عليك المشي في

بادئ الأمر، ستحتاجين إلى التدريب عليه قليلاً وبعدها ستصبحين قادرة على المشي شيئاً فشيئاً، وبالتالي ستعودين للمشي بصورة طبيعية في يوم ما. هذا ما أريدك أن تتذكره من هذا الحديث».

أومأت لها برأسي. كان الألم أخف هذه المرة.

- «لقد كنت غائبة عن الوعي لمدة ثلاثة أيام. كان بعض هذه الفترة بسبب الصدمة التي تعرض لها رأسك أثناء الحادث، وباقي الوقت بسبب الجراحة التي أجريت لك».

صمتت لبرهة، ورأيتها تنظر إلى الجانب الآخر قبل أن تعود إليّ ثانيةً.

- «من الطبيعي ألا تتذكري الحادث، قد يستغرق الأمر بعض الوقت حتى تتذكري كل شيء. هل تتذكرينه؟».

بدأت في الإجابة.

- «أومئي فقط أو هزّي رأسك».

هززت رأسي قليلاً.

- «جيد، هذا أمر طبيعي تماماً ولا داعي للقلق».

أومأت لأخبرها بأنني أفهم ما تقوله.

- «والآن، كما أخبرتك، نستطيع الحديث عن تفاصيل إصابتك وجراحاتك حالما تتحسن حالتك، ولكن هنالك شيء أخير أريدك أن تعلمي بشأنه الآن».

حدّقت بها متلهفة لسماع ما ستقوله.

- «لقد كنت حاملاً وقت وقوع الحادث».

التقطتُ تقريرِي الطبي وأخذتُ تراجع إحدى صفحاته.

مهلاً؟ ماذا قالت للتو؟

- «يبدو أنك كنتِ في الأسبوع العاشر من الحمل . هل كنت تعلمين ذلك؟ أومئي أو هزي رأسك إذا استطعت» .

أحسست بدقات قلبي تتسارع . هزرت رأسي .

أومأت برأسها لتشير أنها فهمت ما أقصده .

- «حسناً . إن أمراً كهذا أكثر شيوعاً مما تظنين ، خاصةً إن لم تحاولي الحمل أو لم تكن دورتك الشهرية منتظمة ، ما يحدث من فرص اكتشاف الحمل مبكراً» .

واصلت التحديق بها وقد انعقد لساني من هول الصدمة ، غير مُدركة حقيقة ما يحدث لي .

- «توفي الجنين في الحادث للأسف ، وهذا أمرٌ شائعٌ أيضاً» .

وقفت تنتظر رد فعل مني ، ولكنني كنت مشدوهة . ذهني مشوّش تماماً وكل ما أشعر به هو أن عينيّ ترمشان بسرعة .

- «أنا آسفة . أتخيل كم يصعب عليك أن تستوعبي كل ما قلته لك دفعة واحدة . طاقمنا الطبي في المشفى سيساعدك على تجاوز كل ما حدث . وهنالك خبر جيد ، وآمل حقاً أن تتمكني من رؤيته كذلك ، وهو أنك ستكونين قادرة في القريب العاجل على استعادة صحتك الجسدية كما كانت في السابق» .

نظرتُ إليّ فأشحتُ بنظري بعيداً وأومأت لها . أحسست بشعري حول وجهي ، لا بد أنني فقدت ربطة شعري . شعرت بالانزعاج هكذا ، وأردت أن أصففه على شكل كعكة .

هل قالت للتو إنني أجهضتُ طفلاً؟

أنا أجهضتُ طفلاً؟

قالت الطبيبة : «إليك ما سنقوم به الآن ، يوجد في الخارج

الكثير من الأشخاص الذين افتقدوك في الأيام الثلاثة الماضية،
والذين ينتظرون هذه اللحظة، لحظة استيقاظك».

أغضت عينيَّ ببطء.

طفل.

- «لكنني أجد أن بعض المرضى يحتاجون لقضاء بعض الوقت
بمفردهم بعد استيقاظهم مباشرة، وليسوا على استعداد لمقابلة
والديهم أو إخوتهم أو أصدقائهم».

صرخت: «أمي وأبي؟».

لم يكن صوتي سوى همسة مُبهمة خسنة ومبحوحة.

- «وضعنا أنبوباً داخل حنجرتك لبعض الوقت، لذلك سيصعب
عليك التكلّم، ولكنك ستتحسّنين كلما قمت بذلك أكثر. لا
تستعجلي واكتفي بنطق كلمة أو كلمتين في البداية، حسناً؟ أومئي أو
هزّي رأسك متى استطعت».

أومأت برأسي، ولكنني صرختُ رغماً عني: «هل هما هنا؟».

شعرت بألم على حواف حنجرتي عندما تكلمت.

- «نعم. والدتك والدك وأختك... غابي؟ سارة؟ آسفة أعتقد

أن أختك هي سارة وغابي صديقتك، أليس كذلك؟».

ابتسمت وأومأت.

- «إذاً، هذا هو السؤال. هل تحتاجين لقضاء بعض الوقت

بمفردك؟ أم أنك مستعدة للقاء عائلتك؟ ارفعي ذراعك اليمنى إذا

أردت البقاء بمفردك، وذراعك اليسرى إذا أردت مقابلة عائلتك».

رفعت يدي اليسرى عالياً رغم شعوري بالألم.

فتحت عينيّ .

شعرت بثقلٍ في رأسي . كان كل شيء ضبابياً .

ثم أخذت أتبين ما حولي شيئاً فشيئاً .

ابتسمت ابتسامة عريضة لأن إيثان هانوفر أمامي مباشرةً، يحدق

في وجهي .

تمددت ببطء وجعلت رأسي يغوص في الوسادة أكثر . سرير

إيثان ناعم جداً . إنه نوع الأسرة التي تجعلك لا تشعر بالرغبة في

النهوض منها أبداً .

خاطبني بنبرة لطيفة : «مرحباً . صباح الخير» .

حيّته بصوت مبحوح : «صباح الخير» ، ثم تنحنحت وأضفت :

«أهلاً» .

قال : «لم تتناولتي لفائف القرفة منذ قدومك إلى هنا ، هذا يعني

أنك قضيت ثلاثة أيام بلا لفائف قرفة» .

كان أعلى جسده عارياً تحت الأغطية ، وقد شعث شعره المبعثر

وكثت لحيته الخفيفة . كانت رائحة أنفاسه تصل ما بين وسادتي .

قلت على نحو ساخر: «رائحة أنفاسك كريهة». أنا متأكدة أن رائحة أنفاسي لم تكن أقل سوءاً. وضعت يدي على فمي واستطردت قائلة من خلال الفراغات بين أصابعي:

- «ربما يجب علينا تنظيف أسناننا».

حاول سحب يدي بعيداً ولكني لم أسمح له، وبدلاً من ذلك غصتُ تحت الأغطية، وأنا أرتدي أحد قمصانه وملابسي الداخلية التي أحضرتها البارحة من حقيبتني في منزل غابي. منذ أن دخلنا إلى شقته ليلة السبت، لم نخرج منها إلا حين ذهبنا إلى منزل غابي لإحضار بعض الأغراض.

غاص تحت الأغطية ليعثر عليّ ويمسك بيديّ ليعبدهما عن وجهي.

- «سأقبلك».

- «لا، رائحة أنفاسي لا تُطاق. أطلق يدي من قبضتك الخارقة ودعني أنظف أسناني».

ضحك وهو يحكم قبضته عليّ: «لماذا تعتبرين هذا مشكلة كبيرة؟ رائحتك كريهة ورائحتي كريهة، دعينا نكون كريهين معاً».

أخرجت رأسي من تحت الأغطية لأستنشق بعض الهواء النقي، ثم غصت من جديد.

- «حسناً».

نفثت في وجهه.

- «كم هذا مثير للاشمئزاز».

قلت على سبيل المزاح: «ماذا لو كانت رائحة أنفاسي بهذا السوء كل صباح؟ هل ستظل راغباً أن تكون معي؟».

- «نعم!».

قبلني وقال: «أنت لست بارعة في هذه اللعبة».

اللعبة التي توصلنا إليها ليلة الأحد. كنا نقوم بذكر الأشياء التي قد تفسد علاقتنا فأستمع لجوابه ويستمع لجوابي.

قال لي لو انتحلت شخصية إلفيس بريسلي وأصرّيت عليه أن يحضر جميع عروضي، فلن يثنيه ذلك عن البقاء معي. ولو ربيت ثعباناً وأسميته بارثولوميو، فسوف يظل راعباً في البقاء معي. كما بدا أن رائحة فمي الكريهة المزمنة لن تكون رادعاً له أيضاً.

قلت: «ماذا لو انكمشت الملابس كلّما وضعتها في الغسالة؟».

لم يكن حديثي عن انكماش الملابس افتراضياً، فهي تنكمش فعلاً كلما وضعتها في الغسالة.

قال وهو يبتعد وينهض من السرير: «لا يهمّ، فأنا أغسل ملابسني بنفسي».

استلقيت مجدداً ووضعت رأسي على الوسادة: «ماذا لو أخطأت كلما نطقت كلمة قسيمة شراء⁽¹⁾؟».

- «هذا لا يهم لأنك أخطأت للتو في نطقها».

التقط سرواله الجينز عن الأرض ولبسه.

- «لا، لم أخطئ في نطقها! إنها تُنطق هكذا، قسيمة شراء».

- «بل أخطأت».

ارتدى قميصه.

(1) Coupon بالإنجليزية، وهي كلمة تُنطق بطريقتين مختلفتين، ويعتبر البعض إحداها مضحكة.

نهضت من السرير وقلت مدّعية الغضب: «يا إلهي! أرجوك قل إنك تمزح. أرجوك، قل إنك أنت من أخطأت النطق».

- «لا، لا أستطيع أن أقول ذلك، لأنني سأكون كاذباً».

- «هذا هو إذاً، هذا هو الشيء الذي سيفسد علاقتنا».

رمى سروالي نحوي وقال: «أعتذر منك ولكن لا، يتعين عليك أن تتقبلي هذا الأمر. وإذا كان هذا يرضيك، فلن نستخدم قسائم الشراء أبداً لبقية حياتنا، موافقة؟».

وقفت لأرتدي سروالي، ومررت حمالة صدري من تحت قميصه دون أن أخلعه. يا لها من طريقة غريبة وخرقاء لارتداء حمالة الصدر، حتى أنني تساءلت لماذا لم أخلع القميص أولاً ثم بعدها أرتدي حمالة الصدر.

- «موافقة. يمكننا أن نبقي معاً إذا وعدتني ألا نتحدث بشأن قسائم الشراء مجدداً».

- «شكراً لك».

تناول محفظته ثم قال: «انتعلي حذاءك».

أسدلت شعري للحظة فلمحته يحدق بي، ثم انفرجت أساريه عندما صففته مجدداً على شكل كعكة.

سألته: «إلى أين سنذهب؟ ولماذا سنترك السرير؟».

قال وهو ينتعل حذاءه: «قلت لك، مضت ثلاثة أيام ولم تتناولي لفائف القرفة».

بدأت أضحك..

انتهى من ارتداء ملابسه وقال: «أسرعي يا بطلة، لست متفرغاً طوال اليوم».

انتعلتُ حذائي: «بلى أنت متفرغ».

هز كتفيه. أخذت حقيبتتي وسبقته مسرعة نحو الباب الأمامي، فركض خلفي ليلحق بي. وعندما وصلنا إلى المرآب، تجاوزني ليفتح لي باب السيارة، ثم جلس في المقعد الأمامي وقام بتشغيل المحرك. - «تتصرف معي بلطف كبير هذه الأيام. لا أتذكر كل هذه المروءة حين كنّا في الثانوية».

هز كتفيه مجدداً: «لقد كنت مراهقاً. آمل أن أكون قد نضجت منذ ذلك الحين. هلا ذهبنا؟».

- «هيا بنا إلى لفائف القرفة! والأفضل أن تكون لفائف مع كريمة إضافية».

ابتسم ومضى في الطريق إلى خارج المرآب.

- «طلباتك أوامر».

9

جلس أبي على يميني مُمسكاً بيدي، ووقفت أُمي عند نهاية السرير تحديق بساقيي، أما سارة فوقفت بجانب كيس تقطير المورفين.

دخلت غابي معهم منذ ساعة، وكانت الوحيدة التي نظرت في عينيّ أولاً. عانقتني وأخبرتني بأنها تحبني ثم قالت إنها ستركنا بمفردنا لتحدث. وعدتني بأنها ستعود في أقرب وقت. غادرت الغرفة احتراماً لخصوصية عائلتي، ولكنني أعتقد أنها كانت تريد الاختلاء بنفسها قليلاً أيضاً. فقد لمحتها تكفكف دموعها وتنتحب في طريقها إلى خارج الغرفة.

أعتقد أنه كان يصعب عليهم رؤيتي بهذه الحال.

بدا أفراد عائلتي وكأنهم قضوا يومهم في بكاء متقطع، تملأ الدموع أعينهم، ويطبع التعب والإرهاق وجوههم.

لم أرهم منذ عطلة عيد الميلاد قبل الماضي، ومن الغريب رؤيتهم أمامي الآن. التأم شمل عائلة مارتن بأفرادها الأربعة في الولايات المتحدة. لم نجتمع معاً في لوس أنجلوس منذ أن كنت في

السنة الثالثة من المرحلة الثانوية. جميع لقاءاتنا العائلية كانت في شقتهم بلندن. تلك الشقة التي كانت سارة تستعمل كلمة Flat البريطانية بعفوية للإشارة إليها.

لكنهم الآن هنا في عالمي، في بلدي، في مدينة كانت يوماً موطننا جميعاً.

أخذت سارة تعبث بذراع السرير ثم قالت: «قالت الطيبية إنك ستمكنين من المشي قريباً جداً، أليس هذا خبراً جيداً؟».

توقفت عن الكلام وأطرقت ببصرها.

- «لا أعرف ما يجب عليّ أن أقوله».

ابتسمت في وجهها.

كانت ترتدي سروال جينز أسود وسترة فاخرة بلون كريمي. شعرها الأشقر الطويل ممّلس وناعم. لدينا كلانا نفس لون الشعر الطبيعي البني الغامق، ولكنني فهمت سبب تغييرها للونه، فاللون الأشقر يناسبها كثيراً. لقد جرّبه أنا ذات مرة ولكنه مُتعب ومكلف جداً، إذ ينبغي عليك الذهاب إلى صالون التجميل كل ستة أسابيع لصبغ جذور الشعر. من لديه هذا القدر من المال والوقت؟

سارة الآن في السادسة والعشرين. كانت لتكون ممتلئة الجسم مثلي، لولا أنها ترقص طوال اليوم. هي خلاف ذلك تماماً: قوية ورشيقة في آن واحد. تقف في استقامة شديدة يحسبها من يراها ولا يعرفها أنها إنسان آلي. تتبع القواعد وتلتزم بها، وهي مولعة بالملابس الثمينة والمأكولات الفاخرة والفنون الراقية.

أهدتني في عيد الميلاد قبل عدة سنوات حقيبة من ماركة بربري. شكرتها، وحرصت على ألا تنخدش، لكنني فقدتها قبل

حلول شهر مارس. صحيح أنني شعرت بالحر، ولكنني تساءلت أيضاً: حسناً، ما الذي خطر لها لتُهديني حقيبة بربري؟

قالت الآن: «لقد أحضرنا لك بعض المجلات البريطانية الجيدة. اعتقدت أنك سترغبين في مطالعتها وأنت في المستشفى».

قالت أمي وهي توشك على البكاء من جديد: «أنا... نحن سُعداء للغاية لأنك بخير. لقد شعرنا بالخوف الشديد عليك».

شَعُرُ أمي أشقر غامق، أفتح من شعر باقي أفراد العائلة، أما أبي فشعره أسود شديد السواد كثيف ولامع لدرجة أنني كنت أرى أن صورته مناسبة كغلاف لعلب صبغات الشعر. ولم يخطر لي أنه ربما يستعمل هذه الصبغات إلا عندما أصبحت في الجامعة. لقد كان يضغط على يدي منذ أن جلس بجانبني ثم زاد ضغطه ليؤكد ما قالته أمي.

أومأت وابتسمت. إنه لأمر غريب أن أشعر بالإحراج مع عائلتي. لم يكن لديّ ما أقوله لهم. وعلى أي حال فقد كنت لا أستطيع التحدث. والأغرب من هذا أننا كنا مجتمعين في مكان واحد، ولكن لا أحد منا يتحدث إلى الآخر.

هذه عائلتي، وأنا أحب كل فرد منها، ولكنني لا أستطيع القول إن أواصر علاقتنا قوية. وعندما أراهم ثلاثتهم الآن بمظهرهم غير الأمريكي ومجلاتهم البريطانية، أشعر أنني غريبة بينهم. قلت: «أشعر بالنعاس».

لفت صوتي انتباههم جميعاً. فردت أمي: «حسناً، سنتركك لتخلدي إلى النوم». قام أبي وقبّل جبيني.

أردفت أُمِّي: «يجب أن نغادر، أليس كذلك؟ أن نتركك تنامين؟ لا ينبغي علينا أن نبقي معك أثناء نومك، أليس كذلك؟».

راح أبي وسارة يضحكان.

ثم قال أبي: «إنها بخير يا مورين. تستطيع النوم بمفردها، وسنكون في غرفة الانتظار في حال احتاجت إلينا». غمزني أبي بعينه، فأومأت له برأسي.

أخرجت سارة رزمة من المجلات من حقيبتها ووضعتها على الطاولة بجوار سريري.

- «سأترك هذه المجلات هنا، في حال استيقظت ورغبت في إلقاء نظرة إلى صور كيت ميدلتون. هذا ما كنت سأفعله طوال اليوم لو استطعت».

ابتسمت لها، ثم غادروا الغرفة. وأخيراً أنا لوحدي.

كُنت حاملاً.

والآن لم أعد كذلك.

أجهضت طفلاً لم أعلم بوجوده. أجهضت طفلاً لم أخطط لإنجابه ولم أرغب فيه.

كيف يكون الحزن على شيء كهذا؟ كيف يكون الحزن على شيء لم أكن أعلم أنني أحمله؟ شيء لم أرغب فيه أبداً، ولكنه كان حقيقياً ومهماً. كان حياة.

عادت بي الذاكرة إلى الماضي، أبحث عن الوقت الذي أصبحت فيه حاملاً. عادت بي إلى كل تلك الأوقات التي تأخرت فيها عن تناول حبوب منع الحمل أو يوم ضاعت حبة مني تحت

السريـر ولم أتمكن من العثـور عليها . تذكرت اللحظة التي طلبت من مايكل استعمال الواقي لبضعة أيام بشكل احتياطي ، فقال إنه لا يكثرث ، ولسبب ما وافقته الرأي . متى كان ذلك تحديداً؟ متى اقترفنا خطأ نتج عنه طفل؟

طفل لم يعد موجوداً الآن .

لأول مرة منذ استيقاظي ، بدأت بالبكاء .

لقد أجهضت طفلاً .

أغمضت عينيّ وتركت مشاعري تتملّكني . استمعت إلى ما يحاول قلبي وعقلي قوله لي .

أنا هادئة ومُحظّمة . خائفة . غاضبة . لست واثقة أنني سأتجاوز هذه المحنة .

لم أستطع منع الدموع التي انهمرت على وجهي بغزارة . بللت دموعي ملابس المستشفى ، وبدأ أنفي يسيل . لكنني كنت عاجزة عن مسحه بأكمامي .

اشتد ألم رأسي من الإرهاق . استدرت نحو وسادتي ودفنت وجهي في الشراشف . أحسست بها تبتلُّ بدموعي .

سمعتُ الباب يُفتَح ، ولم أكلف نفسي عناء معرفة الزائر لأنني كنت أعلم من هو .

تنهّدت وصعدتُ إلى السرير لتستلقي بجانبـي . لم ألتفت لأنظر إلى وجهها . لم أحتجْ إلى سماع صوتها حتى . إنها غابي .

أطلقتُ العنان لكل ما يعتمل في صدري . للخوف والغضب والارتباك ، للحزن والسلوان والاشمئزاز .

صدمني أحدهم بسيارته، دهسني، حطم عظامي، قَطَعَ شراييني
وقتل طفلي الذي لم أحبه بعد.

غابي هي الشخص الوحيد في هذا الكون الذي أستطيع أن أبوح
له بألمي.

وضعت الوسادة على فمي لأكتم صراخي، فأخذتني بين
ذراعيها بقوة.

- «أخرجي كل شيء، هيا أخرجي كل شيء».

تنفست بشدة حتى أرهقت نفسي. شعرت بالدوار بسبب
الأوكسجين والأسى.

أدرت عندئذ رأسي نحوها. كانت تبكي أيضاً.

شعرت بقليل من الراحة وكان غابي حملت بعضاً من ألمي،
وكانها أخذت بعضاً منه من يديّ.

قالت: «تنفسي».

نظرتُ إلى عينيّ وأخذتُ تنفّس ببطء، شهيقاً ثم زفيراً.

قالت مجدداً: «تنفسي. هيا افعلي ما أفعله».

لم أفهم لماذا كانت تقول لي ذلك حتى أدركت أنني حجزت
الهواء داخل رئتيّ وتوقفت عن التنفس تماماً. وعندما لاحظت ما أنا
عليه، دفعت الهواء خارج صدري فانطلق كسيل من سدّ قد انهار
للتو.

عاد الهواء إلى رئتي شهيقاً مسموعاً ومؤلماً.

وشعرت، ربما لأول مرة منذ أن استيقظت، شعرت بأنني حية.

أنا حية اليوم.

أخذتني نوبة بكاء أخرى: «كنت حاملاً في الأسبوع العاشر». كانت أول جملة حقيقية نطقت بها منذ أن فتحت عيني. شعرت بداخلي يتمزق، وكأن رصاصة ارتدت في أمعائي. لم يكن التحدّث صعباً كما توقعت، أعتقد أنني أستطيع التحدّث بشكلٍ طبيعي، ولكنني لم أكن بحاجة لقول المزيد. لم أكن بحاجة لإخبار غابي أنني لم أكن أعلم بحملي. لم أكن بحاجة لإخبارها بأنني لم أكن مستعدة لتربية الطفل الذي فقدته. هي تعرف كل هذا. غابي تعرف دائماً. وربما أكثر من ذلك، فهي تعرف أنه لم يعد هناك من شيء يقال. لذلك احتضنتني وأصغت إليّ وأنا أبكي، وكانت تحثني على التنفس بين الفينة والأخرى. وهذا ما كنت أفعله، لأنني حيّة. قد أكون مُحطّمة وخائفة، ولكنني حيّة.

10

كنت أطوف مع إيثان حول الأحياء المحيطة بالمقهى الذي يريد الذهاب إليه. بالرغم من أن صباح الثلاثاء هو يوم عمل إلا أن الشوارع كانت مليئة بالسيارات.

سألته: «بالمناسبة، متى ستعود إلى العمل؟».

لقد أخذ إجازتين مرضيتين حتى الآن.

- «سأعود غداً. لديّ بعض أيام الإجازة التي أحتفظ بها، لذلك لن أواجه أي مشكلة».

لا أريده أن يعود إلى العمل غداً، بالرغم من أنه ينبغي عليه فعل ذلك، ولكن... كنت أستمع بهدنة من العالم الحقيقي، كنت أحب الاختباء في شقته، والعيش داخل شرقة الأحضان الدافئة والوجبات الجاهزة.

- «ماذا لو أكلت الكثير من لفائف القرفة لدرجة أنني أصبحت أزن مئتي كيلوغراماً، ماذا ستفعل حينها؟».

- «أفعل ماذا؟».

لم يكن يُصنفي إليّ تماماً لأنه كان مشغولاً بالعثور على مكان لركن السيارة.

- «هل ستركني حينها؟ هل سيفسد ذلك علاقتنا؟» .
- ضحك مني : «حاولي كما تشائين يا هانا ، ولكن لن يوجد سبب يجعلني أنفصل عنك» .
- التفتُ ونظرتُ خارج النافذة .
- «سوف أجد نقطة ضعفك يا سيد هانوفر ، سأعثر عليها حتى لو كان هذا آخر شيء أقوم به في حياتي» .
- ضحك ونحن نتوقف عند إشارة حمراء ثم نظر إلي .
- «أعرف ما يعنيه الاشتياق إليك» .
- أنارت الإشارة الخضراء ، فأسرع في الشارع .
- «ستحتاجين إلى اختلاق مشكلة مستعصية لا يمكن التغلب عليها إذا كنت سأسمح لك بالإفلات مني ثانية» .
- ابتسمت له رغم أنني لست متأكدة إن كان يراني . لم تعد الابتسامة تفارق وجهي مؤخراً .
- عشرنا أخيراً على موقف قريب نسبياً من المقهى .
- بينما كان يركن للسيارة قلت : «هذا الزحام هو سبب هجرة الناس من هذه المدينة» .
- أدار مفتاح السيارة وسحبه من المقود ثم ترجل .
- «لا داعي أن تخبريني بذلك ، يزداد كرهى لهذه المدينة كلما بدأت أحوم حول المجمعات السكنية كالعُقاب» .
- «حسناً ، ما أردت قوله هو أن في نيويورك هناك مترو الأنفاق ، وفي أوستن تستطيع أن تركن سيارتك في أي مكان تشاء ، أما في واشنطن فالقطار نظيف لدرجة أنه يمكنك الأكل فوق أرضيته» .

- «لا يوجد مكان مثالي، فلا داعي للبحث عن مبرر للرحيل من هنا».

قلت بنبرة دفاعية: «أنا لا أبحث عن أي شيء».

لم أكن أرغب أن يتصوّر الناس أنني شخص لا يستقر في أي مكان.

قال: «حسناً، هذا جيد».

التفت وفتح باب المقهى لي بالدخول قبله. وقفنا في الطابور الذي امتد حول طاولة عرض المعجنات. لمحت لفائف القرفة موضوعة على الرف العلوي. إنها بنصف حجم رأسي ومغطاة بالكريمة.

- «رائع».

- «أعلم، كنت أرغب أن أدعوك إلى هذا المكان منذ أن وجدته أول مرة».

سألت ممازحة: «متى كان ذلك؟».

ابتسم. وللحظة تساءلت ما إذا كنت قد أخرجته بسؤالي.

- «كان ذلك في زمن بعيد. لست بحاجة لخداعي حتى أقرّ بحبي لك كل هذه السنين. لديّ كل الثقة لأبوح به بصراحة».

ابتسمت له بينما كان يضحك ويخطو إلى الأمام.

توجّه إلى أمين الصندوق: «قطعة من لفائف القرفة من فضلك».

فقلت له: «لحظة، ألن تطلب قطعة لك؟».

رد قائلاً: «إن حجمها كبير جداً! بإمكاننا أن نتقاسم قطعة واحدة».

نظرت إليه بعتاب.

ضحك وقال لأمين الصندوق: «من فضلك، لنجعلهما قطعتين من اللفائف. أعتذر».

حاولت دفع الحساب ولكن إيثان لم يسمح لي.

أخذنا قارورتي ماء وجلسنا بقرب النافذة ننتظر تسخين لفائفنا. أخذت أعبث بموزع المناديل.

سألته: «هل كنت ستحاول معاشرة كاثرين لو لم أبق برفقتك يوم السبت؟».

بقي هذا السؤال يراودني منذ تلك الليلة. في الحقيقة، بدأت أحاول طرح أسئلتي بدلاً من تجنبها.

بدأ في شرب الماء، لكن سؤالي أخذه على حين غرة. - «ما الذي تتحدثين عنه؟».

- «كنتَ تغازل كاثرين وأزعجتني ذلك، لذا أريد أن أتأكد أن... ألا أحد غيري يملأ قلبك حباً».

- «اطمئني، لم أحب ولن أحب امرأة سواك في هذا الكون. أنا متيم بك لوحدي».

- «ولكن لو لم أبق برفقتك...».

وضع إيثان زجاجة الماء ونظر إلى عيني مباشرة.

- «اسمعي، لقد ذهبت إلى تلك الحانة على أمل أن أنفرد بك، أن أتحدث إليك وأن أتأكد من مشاعرك نحوي. لقد جربت ارتداء عشرة قمصان حتى وجدت القميص المناسب، واشتريت العلكة ووضعتها في جيبي الخلفي في حال كانت رائحة أنفاسي كريهة، ووقفت أمام المرأة محاولاً جعل تسريحة شعري تبدو غير مبالغ فيها، كل ذلك لأجلك أنت، لأجلك وحدك. لقد رقصت مع كاثرين لأنني

كنت مرتبك من التحدث إليك. ولأكن صريحاً معك، لا أعلم ما الذي كنت سأفعله لو رفضتِ رفقتي يوم السبت أو شعرت بجفاء منك. ولكن بغض النظر عما كنت سأفعله، كان سيكون ذلك بسبب اعتقادي أنك لست مهتمة بي. وإن كنت مهتمة بي فأنا مهتم، ومهتم بك وحدك».

- «أنا مهتمة، مهتمة جداً».

ابتسم لي.

وصلت لفائف القرفة إلى طاولتنا. رائحة السكر والتوابل المنبعثة تمنحني شعوراً... بالاسترخاء. أشعر كما لو أنني في موطني.

قلت لإيثان: «ربما قضيت وقتاً طويلاً في البحث عن موطن لي ولم أكن أدرك أن المكان الذي توجد فيه لفائف القرفة هو موطني». قال لي ممازحاً: «إذا كنتِ ستجولين في كل أنحاء البلاد بحثاً عن موطن لك، كان بإمكانني إخبارك منذ سنوات أنه هنا، أمام لفائف القرفة».

التقطت الشوكة والسكين وبدأت أقطع اللفافة من منتصفها. ثم وضعت الشوكة أمام فمي وقلت قبل أن أذوّقها: «يجدر بها أن تكون لذيذة».

كانت كذلك بالفعل. مذاق رائع ممتع ومميز. وضعت السكين والشوكة من يدي ورفعت عيني إلى السقف لأستمع بتلك اللحظة. ضحك إيثان.

سألته: «هل ستفاجأ إذا التهمت كل هذه القطعة بمفردي؟».

- «ليس بعد إصرارك على الحصول على واحدة لك وحدك».

تناول قطعة من لفافته وأخذ يمضغها بشكل تلقائي كما لو أنها شطيرة لحم أو شيء من هذا القبيل. كان يسايرني في حبي للحلوى، لكنه لا يشاركني إياها.

سألته: «هلا سمحت لي أن آتي على بقية لفافتك أيضاً؟».

- «لا أمانع، لكن أتحداك أن تأكلها كلها».

كان فمي لا يزال ممتلئاً بالحلوى فغمغمت قائلة: «وأنا قبلت التحدي»، ولفظت بغير قصد فتات الحلوى عليه. مسحها إيثان من فوق خدّه بيده، فشعرت بالحرج حتى احمرت وجنتاي خجلاً. ابتلعت ما كان في فمي.

- «أنا آسفة. هذا تصرف غير أنثوي».

رد ممازحاً: «مقرف بعض الشيء».

هزرت رأسي: «ماذا عن هذا؟ ماذا لو اعتدت على لفظ قطع لفائف القرفة عليك، هل ستنفصل عني حينها؟».

نظر إيثان إلى الطاولة وهز رأسه.

- «لن يحدث ذلك. علاقتنا بدأت وستصمد. كُفّي عن محاولة إيجاد العيوب فيها».

وضع إيثان الشوكة والسكين على الطاولة.

- «ربما لا توجد أي عيوب في هذه العلاقة. أتستطيعين تقبّل ذلك؟».

- «نعم، أستطيع».

أستطيع، أليس كذلك؟ أستطيع تقبّل ذلك.

11

ما لاحظته في البرامج التلفزيونية أن مواعيد الزيارة محددة بأوقات معينة، حيث تتردد عبارة «المعذرة يا سيدي، مواعيد الزيارة انتهت». أو شيء من هذا القبيل. قد يكون هذا النظام سارياً في باقي المستشفيات، ولكن لم يكن الحال كذلك في هذا المستشفى وفي الطابق الذي أرقد فيه. لقد بقي والداي وسارة معي حتى التاسعة ولم يغادروا إلا عندما ألححت عليهم أن يعودوا إلى فندقهم. كانت ممرضتي ديانا تدخل وتخرج من غرفتي طوال اليوم ولم تطلب منهم المغادرة مطلقاً.

وصلت غابي منذ حوالي ساعتين وأصرت على النوم على أريكة أشبه بمقعد. أخبرتها أن لا داعي لقضاء الليلة معي، وأني سأكون على ما يرام بمفردي، ولكنها رفضت. قالت إنها سبق وأخبرت مارك بأنها ستبيت معي. ناولتني باقة الورد التي أرسلها مارك لأجلي، ثم وضعتها على طاولتي الجانبية وسلمتني البطاقة التي أرسلها معها. بعدما رتبت «سريرها»، أخذنا نتسامر حتى غالبها الناس وأغمضت عينيها.

غطت غابي في النوم منذ حوالي النصف ساعة، وقد علا صوت شخيرها منذ عشرين دقيقة على الأقل. كنت أرغب في النوم، لكنني كنت متوترة وأرقه لأنني لم أتحرك أو أقف منذ اللحظة التي كنت أقف فيها أمام نصب المتحف منذ أربعة أيام. أريد أن أخرج من السرير وأتمشى في الأرجاء. أريد أن أحرك ساقي.

ولكنني لا أستطيع ذلك، فأنا بالكاد قادرة على رفع ذراعي فوق رأسي. شغلت مصباحاً صغيراً بجانب سريري وتناولت إحدى مجلات سارة وقلّبت صفحاتها. كانت تحوي صوراً براقة لنساء يرتدين أزياء سخيفة في أماكن غريبة. يبدو أن إحدى جلسات التصوير التي ظهرت فيها نساء يرتدين ملابس سباحة منقطة قد حدثت في سيبيريا. الملابس المنقطة رائجة على ما يبدو. في أوروبا على الأقل.

ألقيت المجلة جانباً وقمت بتشغيل التلفاز مع الإبقاء على الصوت منخفضاً. لم أستغرب حين رأيت مسلسل قانون ونظام⁽¹⁾ على الشاشة. لا أدري متى يمكنني أن أشاهد التلفاز من دون أن أجده قيد العرض.

كنت أصغي لموسيقى المسلسل المميزة عندما دخل ممرض إلى غرفتي.

كان طويل القامة قوي البنية حليق الوجه، شعره أسود وعينه داكنتان، أما بشرته فكانت سمراء، يلبس رداءً طبيياً لونه أزرق غامق فوق قميص أبيض.

(1) Law & Order: سلسلة تحقيقات بوليسية أمريكية.

أدركت للتو أن ديانا لا تعمل أربعة وعشرين ساعة، وما من شك أن هذا الرجل هو ممرض المناوبة الليلية.

همس قائلاً: «آسف، لم أكن أدري أن لديك زائرة».

لفت انتباهي وشم كبير على ساعده الأيسر. كان شكلاً من أشكال الكتابة التقليدية التي خُطت بأحرف كبيرة ومتصلة، لكنني لم أستطع أن أفهم ما هو مكتوب بالضبط.

همست بدوري: «لن تستيقظ».

نظر إلى غابي وأجفل ثم قال بهدوء: «يا إلهي، شخيرها كصوت الجرافة».

ابتسمت له. إنه محق.

- «لن أمكث طويلاً».

مشى نحو أجهزتي الطبية الموصولة بي طوال الوقت حتى أصبحت أشعر أنها جزء مني.

أخذ يدقق في قائمة المهام مثلما فعلت ديانا في وقت سابق من النهار. كنت أستطيع سماع نقر قلمه على اللوح.

كان يدقق ثم يدوّن.

وضع ملفّي داخل الجيب المخصص له. تساءلت عما إذا كان مكتوب في هذا السجل أنني أجهضت طفلاً، ثم توقفت عن التفكير بالموضوع.

أشار إلى سماعة الطبيب التي يحملها في يده.

- «هل تمانعين؟».

- «لا. قم بما عليك فعله».

سحب عنق ثوبي للأسفل وأدخل يده بين القماش وجلدي ليضع
السماعة على قلبي، ثم طلب منّي أن أتنفس بشكل طبيعي.
فعلت ديانا ذلك من قبل ولم أشعر بشيء، لكن الآن انتابني
إحساس بأنه تصرف حميمي وغير لائق. إلا أن الأمر لم يكن كذلك
بالطبع. اعتراني بعض الإحراج. إنه وسيم وبنفس عمري ويده على
صدرتي العاري. أدركت حقيقة أنني لا أرتدي حمالة صدر، فأدركت
رأسي حتى لا أنظر إليه. كانت تفوح منه رائحة غسول الجسم
الرجالي، شيء يُدعى «انتعاش جبال الألب» أو «نظافة القطب
الشمالي».

سحب السماعة عندما انتهى من الفحص، وأخذ الملف ليسجل
شيئاً ما. وجدت نفسي مضطرة لترطيب الجو وتبديد هذا التوتر الذي
لم يشعر هو به غالباً.
سألته بصوت خافت لكيلا أوقظ غابي: «منذ متى وأنت تعمل
هنا؟».

أعجبني الكلام همساً لأنه لا يُظهر التعب في صوتي.
همس وهو ينظر إلى ملفّي: «لقد بدأت العمل هنا عندما انتقلت
للعيش بلوس أنجلوس منذ ما يقارب السنتين. أنا في الأصل من
تكساس».

- «من أي منطقة؟».

- «لوكهارت. ربما لم تسمعي بها من قبل. إنها مدينة صغيرة
خارج أوستن».

- «لقد عشت في أوستن لفترة».

نظر إلي وابتسم.

- «حقاً؟ متى انتقلت للعيش هنا؟».

كنت أود أن أحكي له قصتي بإسهاب، لكن صوتي المتعب لم يسعفني فاختصرتها له في بضع كلمات.

- «لقد نشأت هنا في لوس أنجلوس، وعدت في الأسبوع الماضي لأستقر فيها».

حاول إخفاء دهشته، لكنني رؤيتها عندما اتسعت عيناه.

- «الأسبوع الماضي؟».

أومأت: «ليلة الجمعة الماضية».

هز رأسه: «لا يصدّق».

«لا يبدو ذلك عادلاً، أليس كذلك؟».

هز رأسه وعاد لينظر إلى الملف ويضغط قلمه.

- «لا. لا تنظري إلى الأمر هكذا».

رفع عينيه ونظر إلي.

- «من تجربتي في الحياة، أستطيع أن أقول لك إنك لو قضيت

عمرك كله في محاولة فهم العدل في الحياة أو ما إذا كنت تستحقين شيئاً أم لا، فستدخلين جحر أرنب يصعب عليك الخروج منه».

ابتسمت له.

- «قد تكون محقاً».

أغمضت عيني لأن الحديث أرهقني أكثر مما توقعت.

همس قبل أن يهم بالخروج: «هل هنالك شيء أستطيع أن أفعله

لأجلك؟».

هزرت رأسي قليلاً: «في الواقع... هل يمكنك أن تأتيني

بربطة شعر؟».

أشرتُ إلى رأسي . انساب شعري فوق كتفي واستلقيت عليه .
كم أكره الاستلقاء على شعري .
قال لي : « طلبُ بسيطٌ » .

أخرج ربطة شعر من جيب قميصه ، فنظرت إليه بدهشة .
- « أجدها في كل أنحاء المستشفى . ربما سأخبرك يوماً كيف
أستخدمها في نظام مبتكر للتذكير بالمواعيد » .
اقترب مني ووضعها في يدي . رأيت وشمه بشكلٍ أوضح قليلاً ،
ولكنني لم أستطع قراءته .
- « شكراً لك » .

انحنيت إلى الأمام لاتخاذ وضعية مناسبة ، محاولةً جمع كامل
شعري ولكنني لم أستطع . شعرت بجسدي كله يؤلمني . كما أنني لم
أستطع رفع ذراعي عالياً .
همس : « انتظري . اسمحي لي » .

- « حسناً . ولكنني لا أريد تسريحة ذيل الحصان » .
- « حسناً . . . هل ينبغي أن أجعله ضفائر؟ إنها عملية معقدة » .
- « كعكة فقط ، للأعلى » .
أشرت إلى منتصف رأسي .

لم أكرث لشكل كعكة شعري ، كل ما أريد هو أن أرفع شعري
من أسفل رأسي ورقبتي . أريد جمعه وإبعاده عني .
بدأ بجمع شعري .

- « حسناً ، انحني إلى الأمام قليلاً إذا استطعت . أظن أنها بداية
حدوث كارثة حقيقية » .

ضحكت وانحنيت إلى الأمام ، فجفلت من الألم .

- «لنرفع لك من جرعة مسكن الألم قليلاً، موافقة؟ يفترض ألا شعري بكل هذا الألم».

أومأت: «موافقة، ولكنني أظنهم رفعوها لأعلى جرعة ممكنة».

- «لست متأكداً من ذلك. قد نستطيع رفعها أكثر».

ترك شعري للحظة ومشى نحو كيس المحلول الوريدي. لم أستطع أن أرى ما يقوم به لأنه كان خلفي، ثم عاد أمامي ثانية وأمسك بشعري.

قال مازحاً: «قد تقولين أشياء غريبة وتصايين بالهلوسة، ولكنها أفضل من الشعور بالألم».

ابتسمت له.

- «حسناً إذاً، ما يجب عليّ فعله هو جمع كامل شعرك لأعلى رأسك ثم لفه بربطة الشعر المطاطية، أليس كذلك؟».

- «أجل».

انحنى نحوي وأصبح وجهه قريباً من وجهي. كانت نفوح من أنفاسه رائحة القهوة. شدّ بعضاً من خصل شعري بقوة وهو يرفعه، ما جعلني أشعر بضغط خفيف على فروة رأسي.

- «هلا أرخيته قليلاً؟».

- «قليلاً؟ حسناً».

ذراعاه أمام وجهي ولكن وشمه في الناحية الأخرى. أراهن أنه اسم امرأة، فهو يبدو كرجل قابل امرأة على جزيرة مُدهشة وتزوجها وأصبح لديهما أربعة أطفال رائعين، يعيشون في منزل يحتوي مطبخاً كبيراً. وعلى الأرجح أنها تحضر وجبات عشاء رائعة تشتمل على

كامل مجموعات الطعام. وأراهن أن لديهم أشجار فواكه في الفناء الخلفي لمنزلهم، ليس أشجار البرتقال فقط، بل وحتى الليمون والأفوكادو. أظن أن جرعة المسكن مرتفعة جداً.

- «حسناً، ها هي ذي على ما أظن».

تراجع بضع خطوات إلى الخلف ليتأكد من أنه قام بعمل جيد. وبمجرد النظر إلى وجهه، رأيت أن كعكتي تبدو مضحكة. لكنها مريحة. كانت كعكة عالية، فشعرت أنني نفسي لأول مرة اليوم... كان إحساساً رائعاً وسعادة غامرة.

- «هل أبدو سخيفة؟».

- «ربما لم يكن عملاً مُتقناً، لكنه يلائمك».

- «شكراً لك».

- «على الرحب والسعة. حسناً، إذا احتجتِ أي تسريحة شعر أخرى فلا تترددي في الضغط على ذلك الزر. سأكون هنا طوال الساعات الثماني القادمة».

- «سأفعل ذلك. أنا هانا».

قال مبتسماً: «أعلم. أنا هنري».

أخيراً رأيت وشمه بوضوح عندما كان يهم بالمغادرة.
إيزابيل.

يا للعجب، كل الرجال الصالحون متيمون بإيزابيلا. وضعت رأسي على الوسادة لأستمتع بالمساحة الفارغة خلف عنقي.

أطل هنري برأسه مجدداً.

- «ما هي نكهة حلوى البودينغ المفضّلة لديك؟».

- «ربما الشوكولاتة؟ أو التايوكا؟ الفانيلا جيدة أيضاً».

أجاب مازحاً: «كلها إذا؟ تحبين كل النكهات؟».

ضحكت وقلت: «الشوكولاتة، الشوكولاتة جيدة».

نظر إلى ساعته وقال: «استراحتي عند الساعة الثانية صباحاً.

إذا كنت لا تزالين مستيقظة لحينها، وأتمنى ألا تبقي كذلك من أجل صحتك، ولكن في حال بقيت مستيقظة، سأحضر لك بعض بودينغ الشوكولاتة».

ابتسمت وأومأت، ثم همست له: «سيكون ذلك لطفاً منك».

عمّ الهدوء والظلام الطابق بأكمله. استغرقت غابي في نوبة شخير مرتفع أيقنت معه أنني لن أتمكن من النوم، وأنني سأبقى مستيقظة إلى حين عودة هنري.

قمت بتشغيل التلفاز وتقليب القنوات.

ثم استيقظت في الصباح على صوت غابي.

- «من أين أتت حلوى بودينغ الشوكولاتة هذه؟».

12

تمددت على أريكة إيثن وأخذت أهدق في السقف. لقد ذهب إلى عمله اليوم. قضيت الصباح بكامله في تنظيف شقت. ليس فوضاه، بل الفوضى التي تسببت بها أنا. كانت ملابسي مبعثرة في أرجائها، وحوض مطبخه مليء بالأطباق المتسخة التي كان أغلبها، إن لم يكن كلها، لي. وخلص شعري المتشابكة العالقة بجدران حمامه. لكن كل شيء نظيف الآن، ولم يعد هناك شيء آخر لأفعله. مع عودة إيثن إلى عمله وعودة الحياة إلى مجراها الطبيعي، أدركت أن حياتي غير طبيعية.

ستمر بي غابي بعد خروجها من مكتبها عند حوالي الساعة السادسة، وسنتوجه لتناول طعام العشاء في منزل والديها. ولكن حتى ذلك الحين، ليس لدي شيء أفعله.

قمت بتشغيل تلفاز إيثن وبدأت بتقليب القنوات. بحثت في مسجل الفيديو عما يثير اهتمامي ولكن بلا جدوى، فقامت بإغلاقه. رفع هذا السكون المطبق في الشقة الصوتَ عالياً في رأسي بأني في حاجة إلى حياة حقيقية.

صحيح أنني أمضيت وقتاً رائعاً في مغازلة حبيبي السابق في الثانوية، وقضاء أيام في سريره وتناول لفائف القرفة معه، ولكن ما يجري بيني وبين إيثان لن يأتي بحلول للتحديات التي تنتظرني.

أخذت قلماً وورقة من مكتبه وبدأت بخربشة خطة لحياتي.

أنا بطبيعتي شخص يعتمد الغريزة لا المنطق ويذهب إلى حيث تأخذه الحياة. لكن مثل هذا النهج في الحياة لم يعد عليّ سوى بالخيبة. وجعلني أعمل كنادلة وأعاشر الرجال المتزوجين. لم أعد أطيق هذا السلوك، أريد أن أجرب النظام بدلاً من الفوضى.

أستطيع فعل ذلك. أستطيع أن أكون شخصاً منظماً، أليس كذلك؟ أعني، لقد نظفت الشقة بأكملها اليوم، وقد أصبحت مُنظمة ومرتبة الآن. لم تعد هانا إعصاراً يزرع الفوضى حيثما مر. آن الأوان لأغيّر تصرفاتي.

أريد بناء مستقبل لي هنا في لوس أنجلوس، ولهذا سأبدأ بكتابة قائمة.

بدأت أشعر فجأةً بغثيان وحموضة في معدتي، ولكن رن هاتفي فانشغل ذهني عن ذلك.

إنها غابي.

- «مرحباً. هل أنت مستعدة للصدمة؟ أنا أعدّ قائمة. قائمة فعلية لخطة حياة منظّمة».

قالت ضاحكة: «من معي، وماذا فعلتِ بهانا؟».

قلت على طريقة رئيس عصابة: «إذا أردت استعادتها سالمة فعليك أن تنصتي لي. أريد مليون دولار بأوراق نقدية لا تحمل علامة مميزة وبأرقام غير متسلسلة».

فردت: «سأحتاج لبعض الوقت لأتمكن من جمع ذلك النوع من المال».

- «لديك اثنتا عشرة ساعة».

- «أنا متأكدة أنني لن أتمكن من الحصول على المبلغ في اثنتي عشرة ساعة. اقتليها فحسب. لا مانع من ذلك. ستحب حياة الجنة».

لماذا استغرقتُ كل هذا الوقت لأدرك أنّ عليّ أن أعيش في نفس المدينة مع غابي؟
قلت ضاحكة: «مرحباً!».

بدأت تضحك معي قائلةً: «أهذه أنتِ يا هانا! لم تكن لدي أدنى فكرة».

- «أجل... أجل... أجل. ولكن لا تعودى باكية عندما يتم اختطافك أنت».

ضحكت من جديد: «اتصلت لأخبرك بأنني قادمة في وقت أبكر، ربما حوالي الساعة الخامسة إذا كان ذلك يناسبك. سأخذك إلى منزلي ثم نتوجّه إلى باسادينا لنقابل والديّ عند حوالي الساعة السابعة أو نحو ذلك».

- «رائع. سأسرع في إنهاء قائمتي إذا».

ثم وضعت السماعة.

ألقيت نظرة على الورقة أمامي. لم أر في أعلى القائمة إلا مهمة واحدة: «شراء سيارة».

فكتبت بسرعة تحتها «الحصول على وظيفة»، ثم ترددت في إضافة «البحث عن شقة». الحقيقة أنني كنت أملك الكثير من

الخيارات لمكان الإقامة، منها الإقامة مع إيثان أو غابي. لكنني لم أُرَجِّئ الأمر وقمت بتدوين المهمة الثالثة. لن أنتظر، سأضع خطة وأستبق الأحداث:

● سيارة.

● وظيفة.

● شقة.

يبدو الأمر بسيطاً جداً، مكتوباً بهذا الترتيب. نظرت إلى القائمة للحظة وتساءلت: أهذا كل شيء؟ ثم أدركت أن بسيطاً وسهلاً ليستا بالكلمتين المترادفتين. مكتبة سُر من قرأ

بحلول الوقت الذي ستأتي فيه غابي لاصطحابي، كنت أقف على الرصيف في انتظارها.

جلست في السيارة، وبدأت غابي القيادة.

حملت فيّ ثم هزت رأسها مبتسمة، فابتسمت ابتسامة عريضة.

- «كنتُ على حق».

ضحكت وسألتها: «بخصوص ماذا؟».

- «أنت وإيثان».

هزرت رأسي: «لقد حدث الأمر فحسب، لم أكن أعلم أنه سيحدث».

- «ألم أقل إنه سيحدث؟».

- «لا يهم، ما يهم هو أننا معاً الآن».

ضحكت: «معاً؟ تعنين معاً بحق؟».

ضحكتُ بدوري: «نعم، نحن معاً».

- «أفترض إذاً أننا سنستمر في الذهاب في رحلات هنا وهناك وتناول بعض الوجبات معاً، لكنني فقدتك لصالح حبيبك الجديد؟» .
هززت رأسي: «لا، ليس هذه المرة. لم أعد فتاة في السابعة عشرة، لدي حياة يلزماني بناؤها هنا. العلاقة الرومانسية شيء رائع ولكنها جزء فقط من حياة أكبر، أنت تعلمين هذا» .
وضعت غابي يدها على قلبها وابتسمت لنفسها. رحت أضحك. لم أكن أحاول طمأننتها، بل كنتُ، حقيقةً، لا أعتقد أن مجرد أن يكون لي حبيب خلوق مثل إيثان سيحل كل مشاكلي .
فلا يزال لديّ الكثير من المشاكل لأحلّها .

13

دخلت ديانا إلى غرفتي لفحصي وتقديم وجبة الإفطار. وبعد مغادرتها بقليل، حضرت الدكتوراة ونترز وجلست معي ومع غابي لمناقشة تفاصيل إصابتي، بما أنني أصبحت أكثر استقراراً. كان والداي في الطريق إلى المستشفى للاستماع إلى الطبيبة، لكنني لم أستطع الانتظار وأردت أن أعرف منها كل شيء.

أخبرتنا الدكتوراة ونترز أن الحادث قطع شرياناً في فخذي وكسر ساقَي الأيمن وحوضي، وأني كنت فاقدةً للوعي، فأدخلت على وجه السرعة إلى غرفة العمليات لإيقاف النزيف وجبر الكسر. كما قالت إنني فقدت الكثير من الدم وتلقيت ضربة قوية على رأسي نتيجة سقوطي. وطمأنتني بحقيقة أن جميع إصاباتي شائعة في حوادث السير الخطرة بهذا الشكل، وأني سأكون على ما يرام.

كان من الصعب عليّ تصديق أنني سأكون بخير نظراً إلى سوء الوضع الذي كنت فيه، ولكن صعوبة فهم أمرٍ لا تُنقص من حقيقته شيئاً.

حين انتهت الدكتوراة ونترز من طرح بعض الأسئلة لاختبار

سلامة ذاكرتي، أخبرني أنني سأعود إلى المنزل على كرسي متحرك. لن أكون قادرة على المشي لبضعة أسابيع ريثما يتعافى حوضي، وحتى يحين ذلك الوقت، سيتوجب عليّ بدء مرحلة الاستشفاء بتروؤ وبطء شديدين. سأحتاج إلى العلاج الطبيعي لتمارين عضلاتي المتضررة، وسيلازمني الألم... طوال الوقت تقريباً.

قالت الدكتورة ونترز: «ستكون رحلة علاجك طويلة لكن منتظمة في آن واحد. أنا متأكدة أنك ستكونين قادرة على الركض حول الحي قريباً».

ضحكت وقلت: «في الحقيقة، لم يسبق لي أن قمت بالركض حول الحي من قبل. يبدو أنه الوقت المناسب للبدء بذلك، بما أن ساقاي لا تتحركان».

هَمَّت بالوقوف وقالت: «أنت تمزحين، لكنني عالجت مرضى لا يحبون الرياضة، وما إن استعادوا قدرتهم على المشي حتى بدأوا بالتمرن على سباقات الماراثون. هنالك شيء يدفع الناس لاكتشاف إمكانياتهم عندما يفقدون مؤقتاً القدرة على الحركة».

رَبَّت على يدي وتوجهت نحو الباب.

- «لا تنسي إخبار الممرضات بأي شيء تحتاجينه، وأنا موجودة في حال كان لديك أي أسئلة أخرى».

قلت: «شكراً»، ثم التفتُ نحو غابي.

- «عظيم. لا يكفي أنني غير قادرة على الذهاب إلى دورة المياه لوحدي، بل سأنعت بالكسل إن لم أبدأ بالحلم في خوض سباقات الماراثون وأحذية نايك».

- «أعتقد أن هذا ما كانت تعنيه، نعم. لقد قالت إن لم تبدئي

بالاستعداد لماراثون لوس أنجلوس من هذه اللحظة، فإن حياتك ستذهب هدرًا، ومن الأفضل أن تنسحي». -

«الدكتورة ووترز فظة حقًا أحيانًا».

ما كدت أفرغ من الكلام حتى سمعت طرقًا على الباب. حسبت للحظة أن الدكتورة ووترز عادت وسمعت حديثي عنها، فاستبدّ بي الخوف. لم أقصد ما قلت، صدقًا. لقد كنت أمزح. إنها لطيفة حقًا وأنا أحبها.

إنه إيثان.

- «هل تسمحان لي أن أتسلل إلى الغرفة؟ هل الوقت مناسب؟».

أخرج باقة كبيرة من أزهار الزنبق من وراء ظهره.

قلت: «مرحبًا».

أنا أحب أزهار الزنبق. تساءلت ما إذا كان يتذكر ذلك أم أن اختياره كان مجرد صدفة.

- «أهلاً».

كانت تحيته بصوتٍ خافت كما لو أن التحدث بصوتٍ مرتفع قد يؤذيني. مكث واقفًا عند الباب.

- «هل هذا...؟ هل أنا...؟».

ردت غابي: «لا بأس، ادخل وتفضل بالجلوس».

ثم تركت مكانها لتجلس على الناحية الأخرى.

دنا مني وناولني باقة الورد. أخذتها منه واستنشقت عطرها، ثم

ابتسم لي كما لو أنني الفتاة الوحيدة في هذا العالم.

وأنا أنظر إليه، بدأت أسترجع الذكريات. بدت لأول وهلة

وكانها حلم، ولكن كلما تذكرت أكثر، بدت أكثر وضوحًا.

تذكرت غابي عندما أعطتني هاتفها، تذكرت حين نظرت إليه ورأيت رسالة كاثرين.

أنا ذاهبة مع إيثان إلى منزله. هل هذه فكرة سيئة؟

واريت وجهي بين الأزهار بدلاً من النظر إليه مباشرة، فانتشيت بعطر رائحة الزنبق، خاصة أن كل شيء في المستشفى كان معقماً وغير معطر، والهواء نفسه راكد. استنشقتها مجدداً بقوة لأحاول الانتشاء بأكبر قدر ممكن من حياتها وحيويتها، لكن المفارقة أن هذه الأزهار مقطوفة، أي، بمعنى أدق، ميتة.

قلت في نفسي: إنه لا يأخذ علاقتنا على محمل الجد. ليس من تفسير آخر لاصطحابها إلى منزله. ما حدث مع مايكل يتكرر الآن. والعبرة أنني بحاجة إلى أن أتعلم مواجهة حقيقة المواقف. كاد أن يقبلني، ثم عاد إلى المنزل بصحبة فتاة أخرى. قلت بكل امتنان: «رائحتها رائعة».

مكتبة

t.me/soramnqraa

جلس على الكرسي المجاور للسرير.

- «كيف حالك؟»

- «أنا بخير. حقاً».

حدق بي لبرهة.

أعطيت الأزهار لغابي: «هل يمكنك أن تأخذها معك؟ ليس لدي أي مكان حتى...».

- «سأذهب لأبحث عن ماء وشيء ما لأضعها فيه، موافقة؟».

كانت تحاول العثور عن مبرر لتتركنا بمفردنا، وقد حصلت على مبرر جيد في وقته تماماً. خرجت من الباب وعلى وجهها ابتسامة عريضة.

أخذ نفساً عميقاً ثم قال: «إذا».

- «إذا».

بقي كلانا صامتاً، نعبر عما يجول بخاطرنا بالنظرات. كنت أستطيع أن أرى القلق في عينيه وأشعر بالألم يعتصر قلبه لرؤيتي ممددة على سرير المستشفى، كما أنني أعرف أيضاً أن لا ذنب له في استيائي كلما تذكّرت اصطحابه لكاثرين إلى منزله. فنحن لم نكن مرتبطين ولم يُقدم أحد منا وعوداً للآخر.

علاوة على ذلك، هي ذكرى مؤلمة بالنسبة إليّ، لأنها خطرت للتو في ذهني المضطرب. أما بالنسبة إليه، فهي شيء حصل منذ بضعة أيام ولا قيمة له الآن.

تكلم كلانا في نفس الوقت.

سألني: «كيف حالك حقاً؟».

وسألته: «كيف هي أحوالك؟».

ضحك: «هل سألتني للتو عن أحوالي؟ كيف حالك أنت؟ هذا هو السؤال المهم. لقد قلقت عليك جداً».

- «أنا بخير».

- «هل تعلمين كم خفت عليك؟ وكم كان قلبي سينفطر لو اضطررت للعيش في هذا العالم من دونك؟».

أعلم أنني يجب أن أصدقه، وأعلم أنه يقول الحقيقة، لكن حقيقة الأمر أنني أشعر بالقلق من إفراطي في تصديقه، وأنني سأسوق الحجج بسهولة لتصديق ما أريده عنه. لم أعد أرغب في التصرف كما كنت أفعل في السابق. لم أعد أصدق الأقوال وأغفل الأفعال، ولم أعد أريد أن أرى فقط ما أرغب في رؤيته.

- أريد أن أكون واقعية ولو لمرة واحدة. أريد أن أكون متزنة وأن أتخذ قرارات ذكية.
- لذلك، عندما ابتسم لي إيثان وأشعروني وكأن العالم كله ملك لي، وعندما اقترب مني لدرجة أنني شعرت بدفع جسده وشممت رائحة عطر مسحوق الغسيل كما اعتدت ذلك في المدرسة الثانوية، كان عليّ تجاهل ذلك، لمصلحتي.
- «أنا بخير حقاً، لا تقلق علي. هي بضع عظام مكسورة، ولكنني بخير».
- أمسك بيدي فأجفلت قليلاً. رأى ذلك فسحب يده.
- «هل يعاملونك بلطف؟ سمعت أن طعام المستشفى ليس شهياً».
- «أجل، الطعام لا مذاق له. مع أن حلوى البودينغ لا بأس بها».
- «هل قالوا كم من الوقت ستبقين هنا؟ أريد أن أعرف متى سيكون باستطاعتي التنزه معك في المدينة».
- ضحكت بلباقة. هذه العبارات هي نقطة ضعفي. عبارات الغزل هذه تنال مني.
- «سيطول بي المقام لفترة هنا. قد تضطر للبحث عن فتاة أخرى لتسكع معها في المدينة».
- ابتسم لي: «لا أظن. أفضل انتظارك».
- لا، أنت لا تفضل ذلك.
- وددت لو عادت غابي بالأزهار، ولكن لا أثر لها.
- «حسناً، لا تفعل».

كانت نبرتي مهذبة ولكنها خالية من أي دفء. أعتقد أن برودة حديثي أفصحت له عن نواياي.

- «حسناً، ربما حان وقت المغادرة. أنت بحاجة إلى الراحة، ويجب عليّ أن أذهب إلى العمل...».

- «نعم، بالطبع».

توجّه نحو الباب ثم التفت.

- «تعلمين أنني سأفعل أي شيء لأجلك، أليس كذلك؟ إذا احتجت إلى أي شيء...؟».

أومأت: «شكراً».

أوماً لي وأطرق ببصره إلى الأرض ثم رفعه نحوي مجدداً. كان يهّم بقول شيء ولكنه لم يفعل. نقر على إطار الباب بيده ثم خرج. عادت غابي بعد مغادرته مباشرةً.

- «أنا آسفه، لم أقصد التنصت عليكما ولكنني عدت بالأزهار منذ مدة وسمعتكما تتحدثان، فلم أشأ...».

- «لا بأس»، قلت بينما كانت تضع الأزهار على الطاولة المجاورة للباب. تساءلت أين وجدت هذه المزهريّة، إنها أنيقة، والأزهار جميلة. كان معظم الرجال سيكتفون بإحضار القرنفل. نظرت إليّ: «أنت مستاءة من موضوع كاثرين».

- «كنت تسترقين السمع إذاً».

- «لم أقل أبداً إنني لم أفعل، كل ما قلته هو أنني لم أقصد فعل ذلك».

ضحكت وقلت موضّحة: «أنا لست مستاءة من موضوع كاثرين».

كل ما في الأمر أن هذا أكّد لي أن إقامة علاقة معه من جديد . . . قد لا تكون فكرة جيدة».

أمسكت بيدي للحظة وقالت: «حسناً».

التقطت جهاز التحكم وقمت بتشغيل التلفاز. حملت غابي حقيبتها.

- «هل ستذهبين؟».

- «نعم. عليّ أن أعود إلى المكتب لحضور اجتماع. لكن عائلتك على وشك الوصول. أرسلوا لي رسالة نصية منذ بضع دقائق قائلين إنهم يركنون السيارة. سوف تقضين بعض الوقت معهم، وعندما أنتهي من العمل، سأذهب لأحضر ملابس من أجل الغد وأعود إلى هنا لحفلة نومنا المسائية».

- «لست مضطرة لقضاء الليلة هنا».

عبست في وجهي كما لو أنني أكذب.

ضحكت: «أنا جادة. يستطيع والداي أو سارة قضاء الليل معي، مع أنني لا أرى داعياً لذلك. عودي إلى منزلك واقضي بعض الوقت مع مارك. أنا بخير».

أطلت أُمي برأسها: «مرحباً حبيبتي!». ثم رأت غابي وصاحت: «مرحباً غابرييل!».

عانقتها غابي: «مرحباً مورين. كنت على وشك المغادرة».

وقفت غابي عند الباب وقالت: «سأتصل بك لاحقاً لنتناقش في الموضوع».

ضحكت: «حسناً».

دنت أُمي مني وانضمّ إليها أبي.

قلت: «مرحباً بكما . كيف حالكما؟» .

- «كيف حالنا؟ كيف حالنا؟»، ردّد أبي بحنان ثم نظر إلى أمي . «هل سمعت ما قالته هذه الصغيرة؟ تتعرض لحادث سير وأول شيء تنطق به ما إن أصبحت قادرة على الكلام هو الاستفسار عن حالنا» .

اقترب مني وعانقني بلطف . علّق الجميع على طرحي هذا السؤال في الآونة الأخيرة، ولكن «كيف حالك؟» هو سؤال منطقي تماماً يُطرح على إنسان آخر كتحية .

استدارت أمي لتقف بجانبني من الجهة الأخرى، ثم قالت: «لا أصدق . أتسألين عن حالنا وأنت طريحة الفراش؟» .

قال أبي: «ستصل سارة خلال دقيقة» .

همست أمي: «تشعر أختك بالإحباط كلما حاولت ركن السيارة بمحاذاة الرصيف . لقد تعلمت القيادة في بريطانيا حيث تُركن السيارات على الجانب الأيسر من الطريق» .

سألتهما: «ألا تستطيع ركنها هنا في المرآب الخاص بالمستشفى؟» .

قال أبي ضاحكاً: «من الواضح أنك لم تزوري مريضاً في المستشفى من قبل . رسوم المرآب مرتفعة بشكلٍ غير معقول» .
والداي لن يتغيّرا .

دخلت سارة من الباب فسألتها أمي: «هل ركنتها؟» .

- «كل شيء على ما يرام»، ألقت سارة التحية وهي تلهث:
«مرحباً، كيف حالك؟» .

- «أنا بخير» .

قال أبي: «تبدین أفضل حالاً من البارحة. لقد تورّد وجهك قليلاً».

ثم أردفت أمي: «وتحسنّ صوتك أيضاً».

اقتربت سارة مني: «لا أستطيع أن أعبر لك عن مدى الارتياح الذي أشعر به حين أراك بخير، وحين أسمع صوتك».

امتلأت عينا أمي بالدموع، فأسرعت سارة مستدركة: «ولكن الخبر السيئ هو أن كعكتك تبدو مبعثرة. دعيني أصلحها».

أمسكت برأسي بين يديها وسحبت ربطة شعري.

- «على مهلك، هذا يؤلمني».

- «ستكونين بخير. لحظة...» توقفت، ثم واصلت: «أنت

بخير، أليس كذلك؟ لقد قالت لنا غابي إن الضرر في النصف الأسفل من جسدك فقط».

- «نعم، نعم. أكملني عملك».

أرخت شعري من بين يديها وتوجهت نحو حقيبتها.

- «شعرك يحتاج إلى تمشيط. ألا يوجد من يقوم بتسريحه

هنا؟».

أخرجت فرشاة من حقيبتها وراحت تمشط شعري. كان شعوراً جميلاً ما عدا بعض اللحظات التي كانت تعلق فيها الفرشاة بخصلات متشابكة أسفل فروة رأسي، فأجفل كلما حاولت أن تفكها.

قالت أمي وهي تجلس: «هل تذكرين؟ عندما كنت صغيرة، كان شعرك يتشابك بشكل عُقد ضخمة عندما تحاولين صنع صفائر بنفسك».

- «لا أذكر ذلك، لكن إذا كان يشبه خلع سارة لفروة رأسي الآن، فأفهم لماذا محوت هذه الذكرى من ذهني».

كانت سارة خلفي، إلا أنني متيقية أنها قلبت عينيها.

- «نعم، كنت لا تحبين أن أسرح شعرك. طلبت منك أن تكفي عن العبث بشعرك إذا كنت لا تريدني أن أفك تشابكه. ثم أخبرني أنك تريدني قصه بالكامل ورفضت ذلك».

وضعت سارة الفرشاة من يدها ورفعت شعري لتصففه على شكل كعكة عالية.

- «هل يمكنك رفعها أكثر؟ لا أحب أن أشعر بها عندما أضع رأسي على السرير».

تركت شعري لينسدل وحاولت تسريحه من جديد.

قالت أُمي: «حسناً، لأختصر القصة...».

مازحها أبي: «لقد فات الأوان على ذلك».

رمته بنظرة حادة، نظرة اعتادت الزوجات أن يرمين بها أزواجهن منذ الأزل، ثم أكملت: «على أي حال، لقد ذهبت إلى المطبخ في غفلة مني وقصصت شعرك كله».

تذكرت فجأة صوراً لي بشعري القصير.

- «آه صحيح. أعتقد أنك أخبرني بهذه القصة من قبل».

- «كان قصيراً جداً، يكاد يصل لفوق أذنيك! هرعت إلى المطبخ ورأيت ما فعلته وسألتك: لما فعلت ذلك؟ كان جوابك: لا أدري. لقد شعرت برغبة في فعل ذلك».

قال أبي بفخر: «هذه هي هانا الصغيرة. نزوات جامحة. لا

أعرف عبارة تصفك بشكلٍ أدق من «لا أدري». لقد شعرت برغبة في فعل ذلك». ثم راح يضحك.

كان هذا السلوك بالضبط ما أحاول تغييره في نفسي.

قالت أمي: «حسناً يا دوغ، ولكن ليس هذا هو المغزى من القصة».

رفع أبي يديه ساخراً: «أعتذر. لقد فاتتني العبرة من القصة. اتصلي بالشرطة!».

- «هل يجب أن تقاطع كل قصة أحاول سردها؟ ما أود قوله هو أنه اضطررنا إلى اصطحابك إلى صالون الحلاقة لنقص شعرك على شكل تسريحة بيكسي القصيرة التي لم تكن شائعة بين الأطفال. لم يكن عمرك يومها أكثر من ست سنوات».

هذا ما أتذكره، صوراً لي بشعر قصير ملتصق برأسي.

قالت سارة: «هلا أوجزتِ يا أمي. عندما تفرغين من رواية قصتك، سأكون في الرابعة والتسعين من عمري». هالتني سخرية سارة من أمي. لا أجرؤ أبداً أن أقول لأمي شيئاً كهذا.

قالت أمي: «حسناً. لقد كان شعرك جميلاً يا هانا، فاتناً حتى. كانت النساء في سوق جيلسون يستوقفنني ليسألن من أين استوحيْتُ فكرة قص شعرك هكذا، فكنت أُعطينهم رقم صاحبة صالون الحلاقة، التي نقلت صالونها لاحقاً من فالي إلى بيفرلي هيلز. آخر ما سمعته هو أنها هي من قامت بقص شعر ذلك الطفل في فيلم جييري ماغواير. هذه هي نهاية القصة».

قالت سارة: «كانت القصة أسوأ مما ظننت. ها قد انتهيتُ من شعرك!».

سألتُ أمي وأبي: «كيف أبدو؟».

ابتسما لي، وردّ أبي: «أنت فتاة رائعة الجمال».

قالت سارة لأمي مازحة: «سينظر الناس بإعجاب إلى كعكة هانا، ويوماً ما ستدعوني أنجلينا جولي لأصفف كعكة شعرها».

ردت أمي قائلة: «لم يكن الهدف من القصة مصفّفة الشعر! وإنما الهدف هو أن عليك أن تثقي دائماً بهانا. حتى لو بدا أنها ارتكبت خطأ جسيماً، فهي في الواقع متقدمة عليك بخطوة. هذا هو المغزى. ستكون الأمور دائماً على ما يرام مع هانا، أتعلمين؟ وكأنها ولدت تحت نجمة محظوظة».

أعتقد أحياناً أن قصص أمي يجب أن تُرفق بورقة شرح لأنها تصبح جميلة حين تُشرح لك.

قلت: «أعجبتني قصتك كثيراً. شكراً لأنك رويتها لي. كنت قد نسيت أحداثها».

قالت أمي: «احتفظت بالصور في مكان ما. سأبحث عنها عندما نعود إلى المنزل وأرسلها لك. لقد بدّوتِ رائعة حقاً، لهذا أنصحكِ دوماً أن تقصي شعرك قصيراً».

سألتُ سارة: «ولكن كيف سيكون حالها من دون كعكتها؟».

أجبت: «صحيح، أنا لا أساوي شيئاً من دون كعكتي».

تدخل أبي قائلاً: «إذاً أخبرينا يا هانا. لقد قال الأطباء إنك ستستعيدين عافيتك تماماً، ولكن واجبي كأب أن أقلق بشأن ما تشعرين به الآن».

أضافت أمي: «جسدياً ونفسياً».

- «أنا بخير. أتناول جرعات منتظمة من مسكنات الألم.

صحيح أنني لا أشعر بالراحة ولكنني بخير».

لا داعي لإخبارهم بشأن الجنين. لقد أخرجت الفكرة من رأسي تماماً، ولا أشعر بأنني أخفي عنهم شيئاً حتى.

سألتي أمي بصوت مختنق: «أحقاً أنت بخير؟».

وضع أبي ذراعه حولها.

لا أدري كم مرة ينبغي أن أكرر أنني بخير حتى يصدقوني. ربما

لن يصدقوني ما لم يكن هذا صحيحاً في المقام الأول.

قالت أمي: «لا بد أنك كنت خائفة جداً».

فاضت عينا أمي بالدموع، فشد أبي طوق ذراعه حولها، لكنه لم

يستطع أن يوازي الدمع الذي انساب على وجهه. أما سارة فأشاحت بنظرها بعيداً عبر النافذة.

كل هذه الدعابات والكلام عن تسريح الشعر والذكريات العائلية

القديمة لا تعدو كونها محاولات لإخفاء اللوعة التي كانوا يشعرون

بها. كانوا قلقين وحزينين، وبدا عليهم الإجهاد والتعب.

وبصراحة، كان هنالك شيء في مشاعرهم يخفف من آلامي.

لا أذكر متى كانت آخر مرة شعرت فيها أنني فرد أساسي من

هذه العائلة. فمئذ أكثر من عشر سنوات وأنا أشعر أنني ضيفة في

عائلي، حتى أنني بالكاد أتذكر كيف كانت علاقتنا حين كنا نعيش

في نفس المكان، ونفس البيت، ونفس المدينة. ولكن وجودهم

ثلاثتهم أمامي الآن، وما ظهر من حبهم لي، جعلني أشعر أنني فردٌ

من هذه العائلة، فردٌ لا غنى عن وجوده.

شعرت بعاطفة قوية نحوهم فقلت: «كم أتمنى لو كنتم تعيشون هنا». لم أقل ذلك من قبل قط، ولا أدري لماذا قلته. «كثيراً ما أعاني من الوحدة، وأنا... أشتاق إليكم حقاً».

دنا أبي مني وأخذ بيدي: «إننا نشاق إليك كل يوم. كل يوم، هل تعلمين ذلك؟».

أومأت برأسي على الرغم من أنني لست متأكدة إن كانت نعم هي الإجابة الأكثر صدقاً.

قالت أمي: «كونك بعيدة عنا لا يعني أننا لا نفكر فيك دائماً». أومأت سارة برأسها وأشاحت بوجهها لتكفكف دموعها، ثم وضعت يدها على ركبتي ونظرت في عيني ثم ابتسمت: «بِغَضِّ النظر عن مشاعر هذين الاثنين، أنا أحبك بجنون».

انتقل كارل وتينا للعيش في باسادينا منذ بضع سنوات. لقد باعا المنزل الذي كانا يملكانه حين كنّا في المدرسة الثانوية، واكتفيا بمنزل صغير على الطراز المعاصر في شارع هادئ كثير الأشجار.

كانت الساعة حوالي الثامنة عندما وصلت برفقة غابي ومارك إلى منزلهما لأن مارك تأخر في العمل. بدا أنه يتأخر كثيراً في العمل مؤخراً، أو يعمل حتى ساعة متأخرة من الليل. لطالما ظننت أن أوقات عمل طبيب الأسنان ثابتة نوعاً ما. ولكن مارك كان يضطر دوماً لإنجاز عمل عاجل ما.

ركنا السيارة في ممر المنزل ثم توجهنا إلى المدخل. لم تكلف غابي نفسها عناء الطرق على الباب بل دخلت مباشرة.

رأتنا تينا من المطبخ، وأقبلت نحونا بوجه بشوش وابتسامة عريضة وذراعين مفتوحين. عانقت غابي ومارك ثم التفتت إليّ.

- «هانا مارتن!».

أخذتني في حضنها بقوة، وهزنتني يمنة ويسرة تماماً كما تفعل الأمهات مع صغيراتهن.

- «مرحباً يا تينا، اشتقت إليك!».

أفلتتني من حضنها ونظرت إليّ بتودّد.

- «وأنا أيضاً يا عزيزتي، وأنا أيضاً. ادخلي لتلقي التحية على كارل، فهو لا يطيق الانتظار لرؤيتك».

انطلقتُ، وبعيْتُ غابي ومارك مع تينا. كان كارل واقفاً في الفناء الخلفي، يسحب شرائح لحم من المشواة. هذه نقطة في صالح لوس أنجلوس: الطقس يساعد على الشواء طوال العام.

سأل وهو يضع شرائح اللحم على طبق ويغلق المشواة: «هل أتوهم؟ هل من أمامي هي هانا مارتن؟».

كان كارل يرتدي قميص بولو أخضر وسروالاً باللون الكاكي. كان يبدو دائماً وكأنه في طريقه إلى لعب الغولف، مع أنني لست متأكدة إن سبق له لعب الغولف من قبل.

فتحت ذراعي قائلة: «وحيدة وفريدة زمانها».

أقبل عليّ وعانقني بقوة حتى كدت لا أستطيع التنفس بسبب ضخامة بنيته وقوة قبضته. وجعلني للحظة، أفتقد والدي.

قدمت له بعض الزهور التي كنت قد احضرتها.

- «أوه، شكراً جزيلاً لك! لطالما أردت... زهور الأقحوان؟».

- «زنابق».

أخذها من يدي: «أنا لا أعرف أي شيء عن الزهور، ولا أبتاعها إلا عندما أقترف خطأ ما».

ضحكت. أشار إليّ لأحمل طبق شرائح اللحم، فحملته وتوجهنا إلى الداخل.

دخلنا المنزل عبر باب المطبخ، حيث كانت تينا تسكب النبيذ لغابي ومارك، فقطاعهم قائلاً: «لقد ابتعت لك هذه الزنابق للتو يا تينا. على الرحب والسعة». ثم غمزني.

- «واو يا حبيبي، يا لك من رومانسي. من الجميل معرفة أنك أحضرتها بنفسك، ولم تتصرف بفضاظة وتأخذ الزهور التي أحضرتها لنا هانا».

عانق كارل غابي ثم صافح مارك وربّت على ظهره وردّ قائلاً: «نعم، كان سيكون ذلك تصرفاً فظيماً».

أنزلت غابي حقيبتها عن كتفها وأخذت حقيبتني مني ووضعتهما في الردهة.

قالت لي تينا: «يمكنك خلع حذائك أيضاً، ولكن خبئي».

نظرت إليها بارتباك.

قالت: «باركر».

- «باركر؟».

ثم صرخ كارل: «باركر!»، فركض كلبٌ ضخّم الجثة من فصيلة سانت برنارد من أعلى الدرج نحو المطبخ.

قلت: «يا إلهي! باركر!».

ضحكت غابي وركض باركر نحو مارك، فترجع مارك إلى الخلف مبتعداً.

- «نسيْتُ إحضار دواء الحساسية. آسف ولكن من الأفضل ألا أقرب منه».

سألته: «هل لديك حساسية من الكلاب؟».

وهو يومئ لي، رمقتني غابي بنظرة لم أفهم معناها لأنها جلست

بحركة سريعة على الأرض لتداعب ظهر باركر. فرح باركر وانقلب على ظهره لتمسح له على بطنه.

خاطبتنا تينا: «والآن! كان من المفترض أن تكون وجبة العشاء الليلة شرائح اللحم مع البطاطس، ولكن بما أنكم هنا يا صغار، قرر كارل التفتن، لذا سنتناول شرائح اللحم مع صلصة التشيمي تشوري، والبطاطس المهروسة بالثوم، وكرنب بروكسل، وذلك لأنني... ما زلت أمّا، وأحرص على أن تأكلوا الخضراوات».

حرص والدادي على أن أتناول الخضراوات حتى بلغت الرابعة عشرة، ثم استسلما بعد ذلك. ولطالما أعجبنى ذلك منهما، ولكن حين عشت مع كارل وتينا، كان تناول الخضراوات أشبه بإرغامي على بلع أقراص الفيتامين كل ليلة.

والآن، كبرت ابنتهما لتعمل كنانة رئيس لمؤسسة غير ربحية، وتزوجت من طبيب أسنان. فمن الواضح أن أسلوبهما كان صائباً. جلسنا جميعنا إلى الطاولة، وبدأ كارل على الفور بطرح أسئلة أب على أبنائه.

سألني وهو يقطع شريحة لحم: «حدثينا عن آخر أخبارك يا هانا».

- «حسناً».

فتحت عيني على اتساعهما وتنهدت، غير متأكدة من أين أبدأ.

- «لقد عدتُ!».

رفعت ذراعي عالياً وفتحت يدي كنوع من التأثير. وتمنيت للحظة أن يكون هذا كافياً، ولكن أسماعهم كانت تنتظر المزيد.

- «آه، ثم ماذا بعد؟».

أخذ كارل يقدم ويوزع الأطباق على الطاولة، وحين وصل
طبقي وجدته مليئاً بكربن بروكسل. ستعطيني تينا إن لم أكله كله. أنا
متأكدة من ذلك.

- «و... كنت في الغالب أتنقل من مدينة إلى أخرى في الآونة
الآخيرة. بقيت في شمال غرب المحيط الهادئ لفترة. وفي نيويورك
أيضاً».

قضمت تينا قطعة من شريحتها وقالت: «أخبرتنا غابي بأنك
كنت تعيشين في نيويورك، هل كانت مذهلة؟ هل حضرت أيّاً من
عروض برودواي؟».

ضحكت قليلاً دون قصد: «لا، لم أحضر أيّاً منها».

لم آت على ذكر مايكل، ولم أحدثهما عن الفوضى التي
وضعت نفسي فيها. صحيح أنهما ليسا والديّ، ولكنهما كانا
يعاملانني وكأنني ابنتهما، لذا يهمني رأيهما فيّ كثيراً.
- «لم تناسبني نيويورك».

شربت جرعة من النبيذ الذي وضعاه أمامي، ثم أعدته بسرعة
إلى مكانه على الطاولة. رائحته كريهة وطعمه لم يعجبني.

لاحظت غابي عدم ارتياحي فتدخلت: «هانا فتاة الساحل
الغربي كما تعلمون، وتنتمي إليه مثلنا».

قطع كارل شريحته وقضم منها: «أتفق مع ذلك».
يمضغ طعامه وفمه مفتوح أحياناً.

- «لطالما كان شعاري: اذهب حيث تسطع الشمس، وحده
الأحمق من يذهب للعيش في المناطق الباردة».
أدارت تينا عينيها نحوه.

نظر إلى مارك: «ما الذي تفعله يا مارك؟ لماذا تشرب النبيذ مع شريحة اللحم هكذا؟».

ارتبك مارك قليلاً. أدركت لأول مرة أنه يهاب كارل نوعاً ما، ولكن لم يكن من الصعب معرفة السبب، فقد كان والد زوجته رجلاً مهيباً.

ضحك مارك: «هذا ما وجدته أمامي. أنا لا أدقق في الأمور». نهض كارل عن الطاولة وذهب إلى المطبخ، ثم عاد ووضع بيرة أمام مارك.

ضحك مارك قائلاً: «حسناً!».

بدا مارك متحمساً لشرب البيرة أكثر من النبيذ الذي قدمته له تينا، أو لعله كان يريد إرضاء كارل وحسب. أخذ مارك يحك معصميه ومؤخرة عنقه بشدة، لا بد أنه تحسس من باركر. عاد كارل ليجلس في مكانه ويحتسي البيرة: «بكل بساطة، البيرة هي مشروب الرجال».

ردت غابي: «لا توجد علاقة تربط جنس الشخص وما يفضله من المشروبات يا أبي، فبعض الرجال يفضلون شرب مارتيனி التفاح وبعض النساء يفضلن شرب خمر البوربون. لا علاقة لأحدهما بالآخر».

قال كارل بتأمل: «سأعترف لك بأنني لا أعرف ما هو مارتيனி التفاح، لكن أنتِ على حق تماماً، لقد تصرفت بتزمت وأنا آسف». بعد أن عدت إلى منزلهم الآن، أستطيع أن أتذكر السبب الذي جعل غابي تشعر دوماً بالحاجة للتحدث والتعبير بدقة ووضوح عن المسائل الجنسية. كان لدى كارل بعض الأفكار القديمة بخصوص

النساء والرجال، ولكنه يقوم دائماً بتصحيحها بنفسه كلما تحدثت غابي عنها.

تكلمت تينا وأخذت الحديث لوجهة أخرى: «إذاً يا هانا، ما هي خطتك؟ هل ستبقي في لوس أنجلوس لبعض الوقت؟». ابتلعت قطعة اللحم التي كنت أمضغها: «نعم، آمل ذلك». سألني كارل: «هل هنالك وظيفة تنتظر؟».

تدخلت غابي لتدافع عني: «لا تكثري من الأسئلة يا أبي». قال كارل مدافعاً عن نفسه: «لقد طرحت سؤالاً فقط». هزرت رأسي: «لا، ليست هنالك وظيفة حالياً».

نظرت إلى كأس النبيذ أمامي. لا أستطيع أن أجبر نفسي على شرب قطرة أخرى منه. لا أريد أن أشم رائحته مجدداً. تناولت كأس الماء الذي بجانبه وشربت.

«ولكنني سأعثر على وظيفة! فهي من ضمن قائمة أولوياتي. سيارة ووظيفة وشقة. هذه هي الأعمدة الأساسية للحياة العملية». سألني كارل: «هل تملكين المال لشراء سيارة؟». قالت غابي: «بحقك يا أبي!».

لم يتدخل مارك في الحديث بتاتاً، كان مشغولاً بحك ذراعيه. بدا لي أنه ينأى بنفسه عن العديد من الأمور.

«لقد عاشت الفتاة معنا لمدة سنتين يا غابي! وأعدّها ابنتي التي ضاعت مني ثم عادت. بإمكانني سؤالها إن كانت تحتاج المال لشعري سيارة».

ثم التفت إلي: «أليس بإمكانني فعل ذلك؟».

كانت علاقتي بعائلة هدسون غريبة. فمن ناحية، هما ليسا والديّ ولم يربياني، ولم يتفقدا أحوالي بانتظام، ولكن من ناحية أخرى، كانا دوماً متأهبين لمد يد العون كلما احتجت لشيء. لقد اعتنيا بي خلال أحد أكثر الأوقات تأثيراً في تكوين شخصيتي. والحقيقة أن والديّ ليسا هنا، ولم يأتيا إلى هنا منذ فترة.

قلت: «لا بأس بذلك، لقد ادخرت بعض النقود التي تكفي لتسديد دفعة أولى لسيارة أو لتأمين شقة حتى. وفي حال استطعت العثور على خيارات رخيصة لكليتهما، فقد يكون باستطاعتي الحصول عليهما معاً».

قال لي كارل: «أفهم أن لديك خمسة آلاف دولار تقريباً». هزت غابي رأسها وابتسم مارك. لعله سعيد لأنه لم يعد محور الاهتمام.

تحدثت تينا قبلي: «لِمَ لا نؤجل المسائل المهمة إلى بعد العشاء يا كارل؟».

وجّه كلامه لي: «هل ضايقتك يا هانا؟ هل يزعجك كلامي؟». بحقك! ماذا عساي أن أقول؟ نعم، الحديث عن إفلاسي وقلة استعدادي للحياة يُضايقني بعض الشيء. مَنْ ذا على هذا الكوكب عندما يُسأل بشكل مباشر هل هو متضايق، سيسارع بالقول إنه كذلك؟ إنه سؤال مريب. سؤال يدفعك لإرضاء مُحاورك، ويمنحه بالتالي حرية التدخل بأمورك الشخصية.

قلت: «لا بأس بذلك، حقاً».

التفت كارل نحو غابي وتينا: «قالت لا بأس بذلك».

فردت تينا: «حسناً، حسناً. من يريد المزيد من النيذ؟».

رفعت غابي كأسها بينما لم أشرب من كأسى قطرة واحدة.

أجبت: «شكراً، لا أريد المزيد».

نظرت تينا إلى طبقي: «هل أنهيت طعامك؟ لدي طبق حلوى مذهل لأقدمه».

أتى الجميع على طعامهم بالكامل ولم يتركوا سوى بعض الفتات. أنهيتُ كل ما في طبقي كذلك، ما عدا جميع حبات كرنب بروكسل.

لكن بصراحة، انتابني قلق صبياني من أن تعاتبني إن أكلت الحلوى دون أن أنهي تناول الخضار، لذلك أسرع في تناولها وأنا أقول بين اللقمة والأخرى: «يبدو ذلك رائعاً، لقد انتهيت تقريباً».

ذهبت تينا إلى المطبخ، وبدأ كارل يسأل مارك كيف تسير أموره في ممارسة طب الأسنان، لكن تينا نادته ليساعدها في فتح زجاجة نيذ أخرى.

عندما ابتعدا إلى حيث لا يمكنهما سماعنا، قالت لي غابي: «أنا آسفة أن والدي يلاحقك بالأسئلة».

التقطت آخر حبة كرنب بشوكتي ووضعتها في فمي ثم مضغتها بسرعة قبل أن أبتلعها.

- «لا بأس بذلك، لست قلقة من أسئلة والدك بقدر قلقي مما ستظنه أمك إن لم أنهِ تناول الخضراوات».

ضحكت غابي: «أنت محقة في ذلك».

انضم مارك إلى حوارنا قائلاً: «في إحدى المرات، لم أضع في طبقي أيّاً من الجزر المطبوخ الذي أعدته، فأخذتني جانباً في وقت

لاحق وسألتنني إن كنت لا أخشى على نفسي من الإصابة بنقص في الفيتامين أ».

شربت جرعة ماء أخرى. أظنني أكثر من أكل الكرنب لأن معدتي أخذت تنتفخ، وبدأت أشعر بالغثيان. وضعت يدي على معدتي: «ما كان يجب أن أكل بهذه السرعة، أشعر فجأة...».

ضحكت غابي: «أوه، لقد تعلمت ذلك من قبل».

- «لا، هذا... لا أشعر أنني بخير فجأة».

سألني مارك: «أتشعرين بالغثيان؟».

- «أجل».

تجشأت. تجشأت ثانية. وأضفت: «غثيان شديد».

عادت تينا تحمل النبيذ وبرفقتها كارل يحمل طبقاً كبيراً من لفائف قرفة طرية ذات رائحة زكية.

غمزتنني تينا وملأت ابتسامة واسعة وجهي.

سأل كارل: «هل نعرف ما تحبه هانا؟».

ثم وضع الطبق أمامي.

- «أنتِ من سياًخذ أول قطعة، لا أتوقع منك أقل من اختيار القطعة المغطاة بأكبر كمية من الكريمة».

أخذت نفساً عميقاً مستنشقة رائحة القرفة والسكر، وفجأة، شعرت برغبة جامحة في التقيؤ.

دفعت الكرسي من تحتي بقوة، وركضت نحو الحمام، وأغلقت الباب ورائي. ما إن وقفت أمام المرحاض حتى بدأت بالتقيؤ. شعرت بالإعياء وبالدوار قليلاً. كنت مُرهقة.

جلست أمام المرحاض وشعرت بالراحة عندما لامس جلدي برودة أرضية الحمام. لا أعلم كم مضى من الوقت على جلوسي هناك. استفتقت من شرودي مذعورة عندما طرقت غابي باب المرحاض، ثم دخلت عليّ قبل أن تنتظر إذني.

- «هل أنت بخير؟».

وقفت وشعرت أنني أفضل حالاً الآن.

- «نعم، أنا بخير».

حركت رأسي بقوة لأستجمع قواي.

- «ربما لدي حساسية من كرنب بروكسل».

قالت مبتسمة: «أوف... ألن يكون ذلك أمراً رائعاً؟».

تماسكت ونظفت فمي بغسل الفم، وعُدت إلى الطاولة بعد بضع دقائق.

قلت: «أنا آسفة على ما حدث. أظن أن جسمي أُصيب بصدمة من تناول الخضراوات».

ضحكت تينا: «هل أنت متأكدة أنك بخير؟».

طمأنتها: «أجل، أشعر بأني طبيعية تماماً».

أخذت غابي حقيبتها ومعطفي: «ولكن أعتقد أن علينا أخذها إلى المنزل».

شعرت أن بإمكانني مواصلة السهرة، ولكن ربما كان من الأفضل العودة إلى المنزل وأخذ قسط من النوم.

حك مارك جلده مجدداً ثم أضاف: «صحيح. لأكن صريحاً معكم، أنا أيضاً أشعر بالتعب قليلاً بسبب الحساسية من الكلب».

لا أدري إن كان أحد غيري قد انتبه لغابي وهي ترمق مارك خفية. كانت منزوعة لكونه يتحسس من الكلاب. أظن أن بعض المنغصات البسيطة في الزواج تضايق أكثر من غيرها.

قالت تينا: «أوه، نحن متأسفان. سنحرص من الآن فصاعداً على الاحتفاظ بدواء لك هنا في حال نسيت إحضاره في المرة القادمة».

رد مارك قائلاً: «أوه، شكراً. مع أن هذه الأدوية لا تنفع كثيراً».

ثم استرسل لخمس دقائق كاملة في شرح كل أعراض حساسيته وأي الحالات التي ينفع معها الدواء وأيتها لا ينفع معه شيء. غير أن طريقة حديثه عن الموضوع تجعلك تظن أن الحساسية من الكلاب أشبه بالإصابة بمرض عضال. رباه، حتى أنا منزوعة من حساسيته الآن.

قال لنا كارل ونحن نسير نحو الباب: «تسعدنا استضافتكم عندنا».

قالت تينا: «أوه! دعيني أعطيك بعض لفائف القرفة لتأخذها معك يا هانا. موافقة؟».

- «سيسعدني ذلك، شكراً جزيلاً لك».

- «حسناً، ثانية واحدة».

هرعت نحو المطبخ ولحقت بها غابي. وقفتُ مع كارل بجوار الباب بينما وقف مارك بجانب الدرج، ثم استأذن ليذهب إلى الحمام قائلاً: «لقد بدأت عيناى تدمعان».

بعد أن تأكد كارل من ذهابه، أخذني جانباً وقال لي:

- «اشترى سيارة».

- «هاه؟».

- «اشترى سيارة واسكني مع غابي ومارك حتى تدّخري بعض المال لتؤمنى مبلغ الوديعة».

- «أجل، تبدو هذه هي الخطة الأفضل في الوقت الحالي».

- «وعندما يصبح لديك سيارة، تواصلني مع مكتبي».

أخرج بطاقة عمله من محفظته وناولني إياها.

دكتور كارل هدرسون - طبيب أطفال.

- «أوه، لست متأكدة أنني...».

- «لدينا وظيفة استقبال سيئة. سيئة للغاية، ويتعين عليّ

فصلها».

- «أوه، أنا آسفة».

- «إنها تكسب سنوياً أربعين ألف دولار بالإضافة إلى

العلاوات».

نظرت إليه.

- «عندما نفصلها، سنبحث عن شخص قادر على الرد على

الاتصالات، وتنظيم المواعيد، ويكون واجهة لمكتبنا».

- «أوه».

كان كارل يعرض عليّ الوظيفة.

- «أخبريني إذاً عندما تصبحين مستعدة لمباشرة العمل،

سأحتفظ بالموظفة لبضعة أسابيع لأتأكد أن الوظيفة ستكون لك».

- «حقاً؟».

أوماً برأسه: «لن أفكر بالموضوع مرتين. أنت تستحقين أن يكون لديك شخص يعتني بك». تأثرت بكلامه.

- «واو، شكراً لك».

- «حين يسألونك عن الراتب، اطلبي خمسة وأربعين ألف دولار. سيدفعون لك على الأرجح اثنين وأربعين أو ثلاثة وأربعين ألف دولار، بالإضافة إلى العلاوات والإجازات وكل الميزات الأخرى».

- «لست مُدرّبة على العمل في عيادة طبيب».

هز رأسه قائلاً: «أنت ذكية. ستتعلمين بسرعة».

عادت تينا وغابي من المطبخ وهما تحملان لفائف القرفة المغلفة بورق القصدير وحافظات بلاستيكية معبأة ببقايا طعام العشاء، ثم عاد مارك من الحمام.

توجهت غابي نحو الباب وقالت: «هلا ذهبنا؟».

ناولتني بعض حافظات الطعام لأحملها وفتحت الباب الأمامي. ركض باركر نحونا محاولاً مداعبتي برجليه الأماميتين، لكنني أبعدته. قفز مارك بعيداً عنه كما لو أنه كان يحترق.

قالت تينا: «يمكنك تسخينها في المايكرويف أو في الفرن على حرارة 180 درجة».

قال كارل: «لا تنسي أن تخبريني بشأن ما تحدثنا عنه».

كانت كل عبارات الشكر التي خرجت من فمي عاجزة عن التعبير عن المشاعر التي أكنّتها لهما.

قلت مجدداً: «بكل صدق، شكراً لكما».

عانقتني تينا وودعتني: «مرحباً بك في أي وقت».

عانقتُ كارل وعانقتُ تينا كلاً من غابي ومارك. دام العناق بضع ثوانٍ أخرى، ولم تنس غابي أن تودع باركر بحرارة قبل أن تغادر.

جلس مارك في مقعد السائق، وجلست غابي في المقعد المجاور له بينما استلقيت في المقعد الخلفي.

سألت غابي: «كيف تشعرين؟».

أجابها مارك: «أنا بخير».

ثم أدرك أن السؤال كان موجهاً لي، فسكت.

قلت: «أنا بخير».

والحق أنني كنت بخير فعلاً.

عندما غادرت منزل عائلة هدسون للذهاب إلى الجامعة، لم يخطر لي أبداً أنني سأعود ثانية.

كنت أقول للناس دوماً: «عائلتي في لندن، عائلتي في لندن»، ولكن كان عليّ أن أقول لهم «لدي عائلة في لوس أنجلوس أيضاً، تعيش في منزل جميل في شارع هادئ كثير الأشجار في باسادينا».

15

غادرت عائلتي عند حوالي الساعة التاسعة مساءً بعد إلحاحي عليهم أن يناموا في فندقهم. كانوا يرغبون في قضاء الليل معي، ولكن في الحقيقة لم يكن بوسعهم فعل شيء سوى الجلوس بجانبني والنظر إليّ. كما أنني سئمت من التظاهر بالجلد، وكنت في حاجة إلى الاختلاء بنفسي لبعض الوقت. أصبحت وحيدة الآن أنعم بالهدوء والطمأنينة. أستطيع سماع أزيز الكهرباء في الصغير الخافت لأجهزة المرضى الآخرين.

أهداني أهلي وأصدقائي الكتب من هنا وهناك لمساعدتي على تمضية الوقت، كما تلقيتُ المزيد من الكتب والزهور كل يوم. تناولت كتاباً من المجموعة التي كدّستها غابي وبدأت في مطالعته. كانت بدايته بطيئة وأسلوبه وصفيّاً بحتاً. لا بأس أن تكون الأحداث بطيئة والأسلوب وصفيّاً في الأيام العادية. ولكن هذا لم يكن مناسباً لي الآن. لذا وضعته جانباً وأخذت كتاباً آخر، ثم تابعت البحث في كومة الكتب حتى عثرت على كتاب سلس ومشوّق أستطيع قراءته رغم ذهني المشوّش.

كانت القصة أشبه بهدية قُدِّمَتْ لي . غصت في أحداثها فنسيت للحظات أين أنا ومن أكون ، إلى أن وصل هنري للاطمئنان عني .
- «أما زلت مستيقظة؟» .

أومأت له ، فاقترب مني .
حدقت في وشمه مجدداً . لقد كنت مخطئة في السابق ، ليس الاسم إيزابيل بل إيزابيلا . تغيرت صورة صاحبتة في ذهني فوراً لتتحول من امرأة شقراء نحيفة وجميلة إلى امرأة سمراء جذابة بشعرها البني الغامق . رباه ، أحتاج أن أهتم بشؤوني الخاصة .
لفّ مقياس ضغط الدم حول ذراعي وسألني : «ألا تنامين على الإطلاق؟ هل أنت مصابة دماء؟ ما الذي يحدث هنا؟» .

ضحكت وألقيت نظرة على الساعة ، إنها بعد منتصف الليل بقليل . الوقت لا يعني شيئاً في المستشفى ولا أهمية له مطلقاً . عندما كنت في حياتي العادية ، وأمارس أعمالي اليومية في المجتمع ، كنت أقلّب عينيّ كلما سمعت أحدهم يقول : «الوقت هو مجرد مفهوم ابتكره البشر» ، ثم أتابع إنجاز ما سجّلت في قائمة المهام . ولكنني كنت مخطئة وكانوا على صواب ، فالوقت لا يعني شيئاً . وقد تجلّت هذه الحقيقة لي بأوضح ما يمكن وأنا على سرير مستشفى .

- «لا . أنا بخير . نمت الليلة الماضية ما لا يقل عن تسع ساعات بعد أن رأيتك» .

- «حسناً . أخبريني إذا طرأ أي تغيير على نومك ، فهو عامل مهم في عملية الشفاء» .

- «أكيد . فهمت» .

بدا هنري أكثر وسامة اليوم مما كان عليه البارحة . أعتقد أن

وسامته ليست من ذلك النوع الذي يروق لجميع النساء، فتقاسيم وجهه ليست متناسقة، وأنفه كبير بعض الشيء نسبةً إلى وجهه، كما أن عينيه صغيرتان، ولكن كل هذا... يناسبه بشكل ما.

وضع ملفي في الجيب المعلق على سريري.

- «حسناً إذاً، سأراك...».

قاطعته: «إيزابيلا، هل هي زوجتك؟».

شعرت بشيء من الحرج لقولي ما قلته في الوقت الذي كان يهيم فيه بالمغادرة، ولكن ماذا يمكن أن أفعل؟ فقد حدث ما حدث.

تراجع عائداً نحوي، وفي هذه اللحظة خطرت لي فكرة النظر إلى إصبعه والتأكد إن كان يضع خاتم زواج. لا وجود لخاتم. ولكنني تعلمت من تجربتي السابقة أن عدم وجود خاتم لا يعني عدم وجود زوجة، ولذلك ظلّ سؤالني قائماً.

هز رأسه: «لا، لا، لست متزوجاً».

- «أوه».

لم يخبرني هنري من تكون إيزابيلا، وأعتقد أنه لو أراد إخباري، فكان سيفعل. لذا... كان هذا مُحرجاً.

- «أعتذر عن تطفلي. أنت تعرف كيف هو الحال هنا. تشعر بالملل، فتفقد القدرة على تمييز ما هو مناسب لسؤال شخص غريب».

ضحك هنري: «لا، لا، أنا لا أمانع ذلك إطلاقاً. أعتقد أن أي شخص يقوم بوشم اسم بخط كبير على ساعده سيكون مدعاة للتساؤل. ولأكون صريحاً معك، أنا مندهش من أن الناس لا يسألونني عنه أكثر».

ضحكت: «حسناً، شكراً لاطمئنانك عني...». ولكن هذه المرة هو من قام بمقاطعتي.

- «كانت أختي».

- «أوه».

- «نعم. توفيت منذ حوالي خمسة عشر عاماً».

وجدت نفسي أنظر إلى يديّ ثم رفعت عيني لأنظر إليه.

- «أنا آسفة لسماع ذلك».

نظر إليّ بتمعّن: «شكراً لك. أشكرك».

لم أعرف ما يجب عليّ قوله لأنني لا أريد أن أتطفل عليه، ولكنني كنت أريده أن يعرف أنني سعيدة بالاستماع إليه. ماذا سأقول له؟ دفعني فضولي لأسأله كيف توفيت، ولكنه بدا سؤالاً غير لائق، ولم أستطع التفكير في أي شيء آخر، لذلك اكتفيت بالتحديق فيه.

- «تريدين سؤالاً عن سبب وفاتها؟».

شعرت بالخجل فوراً من كوني إنسانة متطفلة لا تستطيع أن تخفي أفكارها حتى.

- «نعم. قرأت أفكاراً. سؤال فظيع، أليس كذلك؟ بل هو كئيب ولا داعي له، ولكن أول شيء فكّرت فيه كان كيف توفيت؟ إنني فظيعة».

هزرت رأسي خجلاً من نفسي.

- «يمكنك أن تبصق في وجبة فطوري إن أردت. سأفهم ذلك تماماً».

جلس هنري على الكرسي وهو يضحك.

- «لا، لا بأس بذلك. أمر غريب، أليس كذلك؟ فهو أول

سؤال يتبادر إلى الذهن، توفيت؟ كيف توفيت؟ ولكنه في نفس الوقت يبقى سؤالاً قاسياً.

هزرت رأسي قائلةً: «صحيح! أنا آسفة حقاً».

ضحك مني: «لا بأس، لقد كانت في السادسة عشرة من العمر عندما ارتطم رأسها بأرضية المسبح».

- «هذا مُريع. أنا آسفة جداً».

- «نعم. لم يكن من المُفترض أن تغطس ولكنها كانت في السادسة عشرة، وأنتِ تعلمين... يقوم الأطفال في هذا السن بأفعال طائشة. نُقلت على عجل إلى المستشفى وفعل الأطباء ما بوسعهم. ظننا حقاً أنها ستنجو، ولكن... هناك بعض الأمور التي لا يمكن النجاة منها. بقينا نترقب استيقاظها ولكن هذا لم يحدث أبداً».

- «واو».

اعتصر الحزن قلبي لما أصابه هو وعائلته، ولما أصاب أخته.

نقضي الكثير من الوقت في الانزعاج من تواجدنا في المستشفى أساساً، لدرجة أنه يصعب علينا الإدراك أن بعض الأشخاص لا يغادرونه إلا إلى قبورهم. كان يمكن أن ينتهي بي الحال مثل أخته. كان يمكن ألا أستيقظ أبداً.

ولكنني اسيقظت. أنا واحدة من أولئك المحظوظين الذين كُتبت لهم النجاة.

فكرت للحظة فيما كان سيحدث لو أنني وقفت على مسافة أبعد قليلاً في الطريق أو أبعد قليلاً عن حافته. ماذا لو ألقنتي السيارة نحو اليسار بدلاً من اليمين؟ أو أنها كانت تسير أسرع بعشر كيلومترات في الساعة؟ لربما لم أكن لأستيقظ أبداً. كان يمكن أن يكون هذا اليوم

يومَ جنازتي . كم هذا غريب ! وكم يبدو غير معقول على الإطلاق !
يمكن للفرق بين الحياة والموت أن يكون مُربكاً في بساطته وتفاهته ،
وقد يتمثل في خطوة تأخذها في أحد الاتجاهين .

هذا يعني أن وجودي هنا اليوم على قيد الحياة هو نتيجة قيامي
بالخيارات الصحيحة ، مهما بدت بسيطة وتافهة وقتها ، إلا أنني
اتخذت القرارات الصحيحة .

قلت له : «أنا آسفة جداً لما عانيتَه وعائلتك . لا يمكنني تخيل
ما شعرتُم به» .

أوماً برأسه مُتقبلاً تعاطفي : «في الحقيقة ، هذا هو السبب الذي
دفعني لأصبح ممرضاً . كنت في المستشفى برفقة والديّ ، ننتظر
سماع خبرٍ عنها . شعرت بالرغبة في أن أكون داخل الغرفة لأقدم يد
العون ، لأقوم بشيء ما ، وللمشاركة بدلاً من الجلوس منتظراً أحدهم
ليفعل أو ليقول شيئاً . أردت أن أبذل قصارى جهدي في تقديم
المساعدة لأشخاص آخرين يمرون بنفس الموقف الذي مرت به
عائلي في ذلك الوقت» .
- «أتفهم ذلك تماماً» .

تساءلت عما إذا كان يدرك مدى نبل وسمو ما قاله ، وكم بدا
صادقاً .

- «كانت الذكرى العاشرة لوفاتها منذ بضع سنوات ، وقد كنت
في حالة ذهول ، وأهملت أموراً كثيرة في حياتي وقتها . وفي ذلك
الوقت ، كان والديّ قد انفصلا وعادا إلى المكسيك مسقط رأسهما ،
لذا أحيت ذكرى وفاتها وحدي ووشمت اسمها . لقد أشعرني ذلك
بالارتياح ، فقمْتُ به» .

ضحكت وقلت: «هذه العبارة تلخص قصة حياتي. لقد أشعرتني ذلك بالارتياح، فقمْتُ به».

- «ربما يجدر بك وشمها».

ضحكت مجدداً: «لا أعرف ما إذا كنت ممن يحبّون الأوشام، فأنا لم أحسم أمري بشأنها. لكن أعترف أن وشمك لافِت للنظر. كان أول شيء لاحظته حين دخلتَ إلى هنا».

ضحك: «وليس مظهري الجميل المُذهل؟».

- «معذرةً. كان هذا ثاني شيء لاحظته».

رَبَّتْ هنري بيده على سريري ووقف ليغادر.

- «تأخرت. أنظري إلى ما فعلت».

- «أنا آسفة. مع أنه أنت مَنْ يجب أن تعتذر لي لأنك قمت بتشتيت انتباهي عن راحتي التي أنا بأمس الحاجة إليها».

ابتسمت له.

هز رأسه: «أنت محقّة. أين كان عقلي؟ فتاة جميلة تطرح عليّ سؤالاً فأرتبك فجأة ولا أُلقي بالاً للوقت. سأعود للاطمئنان عليك لاحقاً».

ثم غادر الغرفة.

وجدت نفسي غير قادرة على كبح الابتسامة التي علت وجهي. هزرت رأسي وضحكت من سخافتي. ولكنني كذلك فكرت للحظة أن أبقى مستيقظة طوال الليل لأرى متى سيعود مجدداً.

هذا جنون، قلت في نفسي. لا بد أنه لطيف مع جميع مرضاه، وثناؤه على جمال النساء جزء من عمله. أنا وحيدة وضجرة في هذا

المكان، أتشوّق لحدث يضيفي بعض الإثارة على أيامي الرتيبة. هذا كل ما في الأمر.

أطفأت المصباح المجاور وانزلت على السرير حتى شعرت أن رأسي في وضع مريح على الوسادة.

من عادتني أن أخلد إلى النوم بسهولة كلما أردت ذلك. هي ميزة فيّ لطالما أعجبتني. لا يعرف الأرق إليّ سبيلاً أبداً.

16

عندما شارفنا على بلوغ منزل غابي ومارك، كنت قد قررت قبول الوظيفة، بعد أن تناقشنا بخصوصها طوال الطريق. قالت غابي إنها فكرة رائعة بلا أدنى شك.

- «أعلم يقيناً أن أبي لطيف مع موظفيه، وأن العيادة بأكملها تركّز بشكلٍ كبير على الروح المعنوية للمرضيين والموظفين. كما أن والدي يحبك، لذلك ستكونين المفضلة لديه».

بعد أن تمّينا بعضنا لبعض ليلة سعيدة ودخل كل واحد منا غرفة نومه، بدأت أستوعب أنني حصلت على عرض عمل. فرصة للحصول على وظيفة حقيقية. لا أدرك أحياناً كم تثقل الهموم صدري ولا أشعر بوطأتها إلا بعد زوالها. وهذه الليلة، أشعر بحرية أكبر مما كنت عليه في الصباح.

استلقيت على السرير واتصلت بإيثان لأزفّ له الخبر السعيد. كاد يطير فرحاً من أجلي، ثم أخبرته عن بقية السهرة.

- «لا بد أن لدي حساسية من كربن بروكسل. بالكاد استطعت تمالك نفسي لأصل إلى دورة المياه، ثم تقيأت عشائي بالكامل».

- «ماذا؟ أما زلت تشعرين بالإعياء؟ انتظريني، أنا قادم».

- «لا، أنا بخير هنا. لا داعي لقدمك».

- «أنا أرغب بذلك. إنه عذر جيد لأقابلك. أنا قادم، ولا

تستطيعين منعي».

ضحكت لأنني كنت أعلم في قرارة نفسي أنني لن أقضي الليل

هنا. كنت أنتظر إيثان لاصطحابي فحسب.

- «حسناً. أجل، أجل، تعال لتأخذني! أنا متشوقة لرؤيتك».

«أنا قادم الآن».

بعد حوالي نصف ساعة على عودتنا إلى المنزل، كنت في

طريقي إلى الخارج للذهاب مع إيثان.

دخلت غرفة المعيشة لأخذ حقيبتني فرأيت غابي بملابس النوم

في المطبخ، تشرب كأساً من الماء.

- «هل أنت ذاهبة إلى مكان ما؟».

- «أمسكت بي».

- «كنت أعرف أنك ستفعلين ذلك. توقعت أن تطلبي منّا

إيصالك إلى شقته، لقد استغرقت وقتاً أطول مما كنت أعتقد».

- «على الأقل، أنا شخص يصعب التنبؤ بتصرفاته».

التفت نحو الباب، فصاحت: «انتظري».

أخذت لفائف القرفة من فوق الطاولة وأحضرتها إليّ.

- «أرجوك خذي هذه معك واتركيها في شقة إيثان، فعندما

أراها أمامي لا أستطيع كبح رغبتني في التهامها كلها».

ضحكت: «وهل تظنين أنني أستطيع ذلك؟».

- «أنت تجذبين لفائف القرفة أينما ذهبت. أما أنا، فلا أستطيع العيش هكذا».
- أخذت لفائف القرفة منها: «سأبعث رسالة شكر لوالديك».
- سمعت صوت سيارة إيثان تتوقف.
- نظرت غابي إلي وكأنها أغبى فكرة سمعتها على الإطلاق.
- «سيعتبرون ذلك إهانة. سيكون هذا أشبه بكتابتي رسالة لهما لأشكرهما على تربيتي. كفي عن هذا».
- ضحكت.
- «ها اذهبي. إنه بانتظارك في الخارج».
- عانقتها ووعدتها أن أراها في الغد.
- خرجت من الباب الأمامي فوجدت سيارة إيثان مركونة أمامي.
- وقفت أراقبه لبرهة قبل أن ينتبه إليّ ويسحب المفتاح ويفتح بابه.
- «تبدين رائعة».
- ابتسمت له ثم بدأت أضحك حينما خطر لي أن تكون غابي قد سمعته. يمكنني تخيلها وهي تفتح النافذة وتصرخ في الشارع: «حسناً، ولكن ليس هذا المكان الذي تكمن فيه قيمة المرأة!».
- ابتسمت ومشيت نحو السيارة بينما كان يفتح لي الباب. عانقته ثم ركبت، وبعدها جلس في مكانه وانطلقنا.
- امتلاأت السيارة برائحة اللفائف فسأل إيثان:
- «أهو طبق كامل من لفائف القرفة؟».
- «أجل. إذا كنت لطيفاً معي، فسأسمح لك بقطعة أو قطعتين».
- «لن أعرف معك لحظة خالية من لفائف القرفة أبداً».
- «أبداً».

أمسك إيثان يدي عند إشارة وقوف، ثم قَبَلَ خدي عند إشارة حمراء.

أشعر بأنني على سجيتي معه، وأحب نفسي معه. حتى الآن، أنا أحب الشخص الذي أنا عليه في هذه المدينة. أشعر بأنني استعدت شخصية هانا القديمة، وهي أريح بكثير من شخصية هانا التي كانت في نيويورك.

فجأة، ظهر كلب صغير يركض وسط الشارع.

انحرف إيثان بالسيارة بسرعة إلى جانب الطريق ليتفادى دهسه. استمر الكلب في الركض نحو الرصيف الآخر. كان الوقت متأخراً بحيث لم تكن هناك أي سيارات خلفنا. أوقف إيثان السيارة.

صاح: «علينا الإمساك بذلك الكلب»، في اللحظة التي وضعت فيها يدي على مقبض الباب استعداداً للقفز خارجاً وملاحقته. ترحلنا من السيارة وركضنا وراء الكلب منتبهين إلى الطريق وإلى احتمال عبور سيارات.

لمحته على بعد بضعة أمتار أمامي.

- «إنه على الجانب الأيمن من الشارع، بجانب مكب القمامة، هل تراه؟».

أتى إيثان نحوي يبحث عنه، ثم تسلل نحوه ببطء حتى اقترب منه وقال: «مرحباً يا صاح».

ولّى الكلب هارباً في الشارع غير مبالي بما حوله.

تسلل إيثان نحوه محاولاً الإمساك به، ولكن ما إن رآه الكلب حتى ركض في الاتجاه الآخر. أسرعْتُ قليلاً لأقطع الطريق عليه عند الجانب الآخر ولكنه سبقني. كانت فروته المتسخة بنية وبيضاء،

وحجمه أكبر بقليل مما ظننت حين وقعت عليه عينيّ من بعيد. صنف من كلاب الصيد على ما أعتقد. صغير لكن مشاكس، شعره أشعث لكن قصير.

هناك سيارة قادمة. حاول إثان مجدداً الاقتراب منه والإمساك به، لكن من دون جدوى. ظن الكلب أننا نلاعبه.

اقتربت السيارة، فأصابني هلع شديد أن يعود الكلب للركض وسط الشارع. حين أصبحتُ على بعد بضعة خطوات منه، راح الكلب يقفز بمرح نحو الناحية الأخرى.

صرخت بأعلى صوتي وكأنني أنبح، فوجم في مكانه. استدرت وبدأت بالجري على أمل أن يطاردني، وفعلاً راح يركض خلفي مثلما كان يركض فراراً مني قبل قليل. عندما وصل إلى قدميّ، أخذ يثب نحوي، فما كان مني إلا أن انحنيت بسرعة والتقطته. تجاوزتنا السيارة المسرعة، فشعرت براحة لا توصف.

كانت أنثى، من دون طوق، ومن دون صفيحة تعريف.

أقبل إثان نحوي راكضاً وأنا أحمل الكلبة بين ذراعيّ.

قال: «رباه. كادت تُسحق تحت عجلات السيارة».

- «أعلم، ولكنها بخير. لقد أنقذناها».

تكوّرت فوق صدري وأخذت تلعق يدي.

قال إثان: «من الواضح أنها كلبة قاتلة مُتمرسة».

ضحكت: «نعم، أنا متأكدة أنها الآن تتحيّن الفرصة لتهجم

علينا».

قال: «إذاً، لا صفيحة تعريف ولا طوق ولا أي شيء».

- «لا. أظن أننا سنضطر لأخذها إلى طبيب بيطري غداً، فقد

تكون الشريحة مزروعة فيها. وربما نضع بعض الإعلانات ليتعرف عليها أصحابها».

- «حسناً. وفي هذه الأثناء...».

- «لا يمكننا تركها في الشارع. هل لديك مكان لتنضم إليك سيدتان هذه الليلة؟».

أوماً برأسه: «يمكننا إيجاد مكان لها بالتأكيد».

سرنا عائدين نحو السيارة، وحين وصلنا، فتح إيثان الباب لكلتنا.

قلت: «ربما ينبغي علينا أن نجد لها اسماً، ولو بشكل مؤقت». قال وهو يتجه نحو باب: «ألا تعتقدين أننا نستطيع مناداتها بالكلبة فقط».

- «لا، أعتقد أنها تستحق اسماً راقياً. أسطورياً. مهيباً».

- «اسم كبير لكلبة صغيرة».

أومات: «بالضبط».

بدأ إيثان بالقيادة. فگرنا للحظة، ثم صحت «شارلمان». إنها «شارلمان الصغيرة».

- «شارلمان⁽¹⁾ كان رجلاً، ولدنا هنا كلبة».

- «ولكن ألا يبدو الاسم يناسب أنثى أكثر؟».

ضحك إيثان: «نعم، أنت على حق. حسناً، سيكون اسمها شارلمان إذاً. سنجد صاحبك غداً يا شارلمان ونجعله سعيداً جداً. ولكن أنت لنا هذه الليلة».

(1) شارلمان (748-814): ملك الفرنجة وحاكم أمبراطوريتهم.

عندما دخلنا من الباب الأمامي لشقة إيثان، وضعتها على الأرض أخيراً. راحت تركض على الفور من غرفة إلى أخرى. وقفنا مدهوشين من طاقتها، إلى أن ركضت نحو السرير وقفزت عليه، ثم استقرت في إحدى زواياه.

- «لا يمكنني الاحتفاظ بها... أعلم أنك لم تطلي مني ذلك، ولكن أريد أن أكون واضحاً بشأن هذا الأمر، فصاحب العمارة يحظر تربية الحيوانات الأليفة».

هززت رأسي: «لا، أنا أعلم. سنجد أصحابها الحقيقيين غداً. سأستقل حافلة في الصباح الباكر وأخذها إلى طبيب بيطري».

- «يمكنني أن أعيرك سيارتي وأطلب من أحد زملائي أن يقلني معه إلى العمل».

- «لا داعي لذلك. بما أنني سأعمل مع كارل، فسأحتاج لشراء سيارة على أي حال. سأقوم بتسليمها للطبيب البيطري في الصباح وأستقل سيارة أجرة أو حافلة للذهاب إلى بعض وكالات بيع السيارات وحل هذا الموضوع».

- «ستوظفين. وستشتري سيارة».

- «أجل».

- «أنت تثبتين جذورك هنا».

- «أظن ذلك».

ابتسم لي فحدقت فيه طويلاً.

قال مازحاً: «بما أن الكلبة ستنام معنا في السرير، لا أعتقد أننا سنشغل الليلة».

ابتسمت: «سأتمكن أخيراً من التركيز على عقلك».

ضحك وخلع قميصه، ثم خلع سرواله وألقى به على الكرسي. سحب الأغطية واستلقى على السرير بسرواله الداخلي. خلعت ملابسي ورفعت قميصه من الأرض، ثم ارتديته واستلقيت على السرير بجانبه.

- «سأحاول السيطرة على نفسي».

ضحكت وحشرت نفسي بجانبه. تمددت شارلمان وسط السرير الذي كان بالكاد يتسع لثلاثتنا، لكننا تدبرنا أمرنا.

أطفأ إيثان نور المصباح.

- «أوه انتظر. أضئ المصباح مجدداً».

- «حسناً».

أضاء المصباح، فوثبت من السرير وأمسكت القائمة التي سبق أن كتبتها ظهر هذا اليوم. تناولت قلماً وشطبت «الحصول على وظيفة».

رفعتها من أجل أن يراها.

- «بقي لدي مهمتان فقط».

استيقظت حوالي الساعة الثانية ظهراً لأجد مفاجأة جميلة تنتظرني .

صاحت تينا أثناء دخولها إلى الغرفة برفقة كارل : «مفاجأة!» .
وصلت غابي على إثرهما ونظرة الاعتذار بادية على وجهها .
أحضرت تينا مزهرية مليئة ببعض أجمل الزهور التي رأيته في حياتي .

زهور، زهور، زهور . هل سيُقتل أحد ما إذا أحضر لي الشوكولاتة؟

قالت غابي : «لقد أخذنا مني وعداً ألا أخبرك بقدومهما» .

أخذ كارل يجيل النظر بي ويقترب مني .
- «المفاجآت أفضل» .

انحنى وعانقني بلطف في حين وقفت تينا خلفه تماماً ، وما إن ابتعد حتى حلت مكانه . إن رائحتها كالفاينلا .

- «أشكركما على قدومكما» .

قالت تينا : «أتمزحين؟ لقد اضطرت غابي لمنعنا من زيارتك

قبل اليوم. لو كان الخيار بيدي لأتيت منذ أيام، ولما غادرت الغرفة مطلقاً».

وضعت المزهريّة على الطاولة بجانب المزهريات الأخرى. جلس كارل على الكرسي المجاور لسريري، وسألني: «كيف حالك؟».

كانت نظراته لي تشي بالحنان والتعاطف والخبرة. لست متأكدة إن كان يسألني كصديق أو أب أو طبيب. - «أنا بخير».

قال وهو يمعن النظر في أصابع قدمي: «حركي أصابع قدميك لأراها»، ونظر باهتمام إلى نهاية السرير. نهزته غابي قائلة: «أبي! أنت لست طبيبها. الدكتورة ونترز تقوم بعمل رائع».

رد كارل: «لا مانع أن يكون للمريض أكثر من طبيب يهتم به. حاولي تحريك أصابع قدميك يا هانا». لا أريد أن أحاول تحريك أصابعي. قالت غابي: «لاحقاً يا أبي، حسناً؟ أنت تزعج هانا». - «هل أزعجك يا هانا؟».

كيف أجيب على سؤال كهذا؟ نعم أنت تزعجني؟ في الحقيقة نعم، كان يزعجني. الحياة أقصر من أن يقضيها المرء في اختلاق الأكاذيب.

- «نعم، قليلاً. إن بقائي في هذا السرير وتعاملي مع جسدي أشبه بالجحيم حالياً. وأفضل أن أمتنع عن التفكير بأصابع قدمي لبضع دقائق».

نظر كارل إلى عينيَّ وأوماً، ثم التفت ونظر إلى غابي .
رفع يديه قائلاً: «أنا أعذر! سنؤجل هذا لوقتٍ لاحق». .
اعتقدت أنه قد أنهى كلامه، لكنه واصل قائلاً:

- «أحرصى فقط على أن تختبري تلك الطيبة بين الحين
والآخر. تأكدي من أنها تعمل بجد لأجلك وأنها تعتبرك من
أولوياتها».

- «سأفعل ذلك».

ثم غمز لي وغمزت له بالمقابل .
قالت تينا: «هل أخبرتك غابي عن كلبنا باركر؟ أنا مفتونة به
تماماً. وأينما ذهبت، أجعل الناس ينظرون إلى صورته» .
دنت مني وهي تحمل هاتفها وتبتسم لغابي. لم يكن يهمها أن
أرى صور باركر، بل كانت تحاول تغيير الموضوع فحسب .
قالت وهي تمرر صورة لباركر تلو الأخرى في غرف مختلفة من
منزلهم: «أحاول إقناع غابي بالحصول على كلب سانت برنارد مثله
تماماً» .

ردت غابي: «أعلم، ولكن مارك يعاني من حساسية تجاه
الكلاب. إنها مشكلة كبيرة» .

تجاذبنا أطراف الحديث لبعض الوقت، وتبادلنا آخر أخبارنا،
وسخرنا من غابي نحن الثلاثة، ثم قررا المغادرة. أقدر زيارتهما
وعدم بقائهما لوقتٍ طويل. إنهما يدركان تماماً كيف يمكن لتحلق
الناس حول المريض في المستشفى أن يزيد وضعه سوءاً.

قالت تينا: «حين تغادرين المستشفى وتشعرين بأنك على ما
يرام، أريد التحدث إليك بشأن دعوى قضائية» .

- «دعوى قضائية؟».

نظرت تينا إلى غابي لتستأذنها في مواصلة الحديث، فأشارت لها غابي أن تواصل.

- «أطلعني غابي على الحادث والمرأة التي قامت بصدمك، وأنا بدوري تحدثت مع صديق لي يعمل م.م.ع.».

لا أدري إن كان عليّ الشعور بالخجل أو بالفخر لأنني، وبفضل كل الحلقات التي تابعتها من مسلسل قانون ونظام، أعرف أن الم.م.ع هو اختصار لمساعد المدعي العام. قلت: «حسناً».

- «لقد احتجزوا المرأة التي صدمتك بتهمة الصدم والفرار».

- «حسناً. ذلك أمر جيد، صحيح؟».

قال كارل مشيراً برأسه: «نعم، جيد جداً».

فقالت تينا: «نريدك أن تعلمي شيئاً. فاتورة تكاليف علاجك ستكون عالية، وأنا متأكدة أنك فاتحت والدك بالموضوع، ونحن لا نرغب في التطفل على أحد، ولكننا نريدك أن تعلمي أننا سنساعدك في دفعها إذا احتجت ذلك».

- «ماذا؟».

قال كارل: «إذا احتجت ذلك فقط. نريدك أن تعرفي أننا لن نبخل عليك بالمال إن احتجت إلينا».

قالت تينا: «وسنساعدك في رفع دعوى قضائية على تلك المرأة إذا قررت ذلك».

غمرني كرم عائلة هدسون ورعايتهم لي.

- «يا إلهي، أنا... أنا لا أعلم ما يجب عليّ قوله».

أمسكت تينا يدي: «لا تقولي شيئاً. ما يهمنا هو أن تعرفي أننا سندعمك دائماً».

أضاف كارل: «بالنسبة إلينا، أنت عضو فخري لعائلة هدرسون، ولكنك تعرفين ذلك، أليس كذلك؟». نظرت إليه وأومات، بكل صدق.

عندما همّ كارل وتينا بالانصراف، رافقتهما غابي إلى خارج الغرفة. عند عودتها، وجدتني أحّدق في السقف بينما حاول ذهني استيعاب كل ذلك. لم أفكر بالفواتير الطبية من قبل، ولا بالشخص الذي تسبب لي بكل هذا.

هنالك مَنْ تسبب لي بكل هذا.

هنالك مَنْ يستحق أن يُلقى اللوم عليه.

هنالك من حرمني الطفل الذي لم أكن أعلم بوجوده في أحشائي.

سألّني غابي: «هل أنت بخير؟».

نظرت إليها وهزّزت رأسي لأتوقف عن التفكير: «نعم. نعم أنا بخير. والداك... أعني، إنهما مذهلان».

جلست غابي على الكرسي: «إنهما يحبانك».

- «هل تعتقدين حقاً أن عليّ مقاضاة تلك المرأة؟».

أومات غابي: «أجل، بلا أدنى شك».

- «لست ممن يحبّذون رفع الدعاوى القضائية».

ما الذي أعنيه بهذا بالضبط؟

- «لقد رأيت ما حدث يا هانا. تلك المرأة صدمتك بينما كنت

تقفين على خط المشاة وكانت إشارة المشاة مُضاءة. لا مجال

للتشكيك فيما حدث. كانت تعلم أنها صدمت شخصاً، ومع ذلك لم تتوقف وواصلت طريقها. ولأن تلك المرأة فرّت من مسرح جريمة كان من الممكن أن تكون مميتة، ولأنها لم تقم بأي محاولة لمساعدتك أو طلب الإسعاف، فهي لا تستحق السجن فحسب، بل يجب عليها أن تكفر عن جريمتها أيضاً». تابعت غابي غاضبة: «إذا سألتني عن رأيي، فأنا أرى أنها يجب أن تذهب إلى الجحيم».

- «رباه، يا غابي».

هزت كتفيها: «لا يهمني كيف يبدو كلامي. أنا أكرهها».

حاولت للحظة أن أضع نفسي مكان غابي. لقد رأت السيارة تصدمني ورأيتني أسقط أرضاً، وأفقد الوعي، وعلى الأرجح أنها ظنت أنني سأموت في تلك اللحظة أمام عينيها. فشرّطت بنفسي فجأة أكره تلك المرأة أيضاً، لأنها جعلتها تمر بكل هذا. وجعلتني أمر بكل هذا. أكرهها لكل ما تسببت به.

- «حسناً. هل ستهتمين بالأمر؟ أعني، هل يمكن أن تخبري والدتك أنني موافقة؟».

- «بالطبع».

- «من المؤسف أن مسلسل قانون ونظام لا يغطي الدعاوى المدنية، لربما كنت سأصبح على دراية بها بما يكفي لأمثل نفسي في القضية».

ضحكت غابي ثم نهضت عندما دخلت سارة برفقة والديّ. كانت سارة ترتدي سروالاً أسود من الكتان مع قميص من القطن الأبيض وسترة رقيقة. حتى وإن لم تكن تحمل معها حقيبة سفر، كان مظهرها سيوحي بأنها متوجهة إلى المطار.

قالت غابي وهي تُقبّل خدي: «حسناً إذًا، سأتركك بين أيادي أمينة وأعود غداً».

عانقت أفراد عائلتي ثم انصرفت.

لم تخبرني عائلتي بأنهم سيعودون إلى لندن اليوم، لذا تفاجأت بعض الشيء. ولكن كي أكون صادقة تماماً، لقد شعرت بارتياح كبير. أنا أحب عائلتي، ولكن بقاءهم يحتاج لطاقة لا أملكها الآن. وفكرة أنني لن أحتاج للاهتمام بشأنهم غداً، وأني سأكون وحدي مع غابي، أبشرت بيوم جيد.

- «هل ستسافرون؟»، سألتهم بنبرة حزينة تتناسب مع الموقف، باذلة ما بوسعي لكي يبدو ما قلته حسرة لا سؤالاً.

جلست أُمِّي بجواري: «سارة فقط ستسافر يا عزيزتي. أنا ووالدك لن نبرح مكاننا».

شعرت بابتسامتي تتحول إلى عبوس، فتداركت الأمر ورسمت ابتسامة عريضة على وجهي. أنا ابنة شنيعة لأنني أرغب برحيلهما.

- «هذا جيد».

تركت سارة حقيبتها عند الباب وأتت إليّ من الجانب الآخر. كان يتابع برنامج المحك! على التلفاز.

قالت سارة: «أنا آسفة جداً لأنني مضطرة للمغادرة. لقد طال غيابي عن التمارين ولا أستطيع تفويت المزيد منها، قد أفقد دوري». قلت في تلميح لوالدي: «أوه، لا بأس بذلك. سأكون على ما يرام. لا داعٍ لأن يبقى معي أحد».

تلميح.

صرف أبي انتباهه أخيراً عن التلفاز: «أنا وأمك لن نغادر في وقت قريب بالتأكيد. لن نترك هانا الصغيرة وهي لا تزال تتعافى». ابتسمت وأنا غير متأكدة مما يجب عليّ قوله.

تساءلت إن كان يناديني بهانا الصغيرة كما لو أنني ما زلت طفلة لأنه عرفني فقط عندما كنت صغيرة، ولم يعرفني جيداً كفتاة راشدة. أم هي طريقة يقنع بها نفسه بأنني لم أغير كثيراً منذ انتقالهم إلى لندن، كما لو أن الزمن توقف في تلك الفترة ولم يفته شيء؟ قالت سارة: «ستقلع طائرتي بعد ساعات قليلة، ولكن لا يزال لدي بعض الوقت للقضاء معك».

عاد أبي لمتابعة المحك! بحماس متجدد. تابعنا جميعاً أجوبة أحد المتنافسين الذي اختار موضوع «الاختصارات البريدية».

قالت سارة: «آه، هذا ممل للغاية». تمنيت لو أنهم يُبدّلون القناة. لا أريد مشاهدة المحك! أفضل قانون ونظام.

كان صوت مقدم البرنامج أليكس تريبيك لا لبس فيه. - «هذه الولاية تقع في الغرب الأوسط، وهي الولاية الوحيدة التي يتكون اختصارها البريدي من حرفين، وهما عبارة عن حرف جرّ».

رفع أبي يده عالياً وقال: «أوريغون!». هزت أُمي برأسها: «دوغ، لقد قال ولاية تقع في الغرب الأوسط، وأوريغون تقع في شمال غرب المحيط الهادي».

وددت أن أخبره أن اختصار أوريغون ليس حرف جر أساساً،
ولكنني لم أفعل.

أجاب المتنافس: «ولاية إنديانا؟».

- «هذا صحيح».

ضرب أبي على ركبته: «كنت قريباً من الجواب الصحيح».
لم يكن قريباً. لم يكن قريباً على الإطلاق. إنه ساذج أحياناً.
ساذج تماماً.

قالت له سارة: «نعم يا أبي، كنت قريباً».

والطريقة التي قالت بها ذلك، والراحة التي يعبرون بها عن ما
يجول في خاطرهم، جعلاني أشعر وكأنني غريبة كلما اجتمعنا في
غرفتي في المستشفى.

لا أستطيع... لا أستطيع فعل ذلك. لا أريد أن تبقى عائلتي
هنا. أريدهم أن يتركوني أتعافى، في هدوء وسلام.

من المفترض أن أحظى بالهدوء في المستشفى. من المفترض
أن أرتاح، لكن وجودهم كان مُتعباً لي. هذه ليست راحة.

بعد انتهاء برنامج المحك! بقليل، وصلت سيارة سارة لتقليلها
إلى المطار. حملت حقيبتها وأقبلت نحوي لتعانقني بلطف. كان
عناقاً فاتراً، ليس لأنه لم يكن نابعاً من القلب، بل لأنني لا يمكنني
معاينة أحد في حالتي الراهنة.

التفتت إلى والديّ وعانقتهما ودعتهما.

سألتها أمي: «هل جواز سفرك معك؟».

- «نعم، كل شيء على ما يرام».

سألها أبي: «هل سيأتي جورج ليأخذك من مطار هيثرو؟».
- «نعم».

انهالا عليها بسيل من الأسئلة، ثم تلتها عبارات الحب والاشتياق.

ثم انصرفت، وبقيت وحدي مع والدَي. لم يحدث أن بقيت وحدي مع والدَي أبداً. في هذه اللحظة، وأنا أنظر إليهما وهما ينظران إليّ، أدركت أنه ليس لديّ ما أقوله لهما. ليس لديّ ما أحدثهما بشأنه، أو أفعله معهما، أو أحتاجه منهما، أو أعطيه لهما.

أنا أحب والدَيّ، أحبهما حقاً، ولكنني أحبهما بالطريقة التي تحب بها جدتك التي لست مقرباً منها أو عمك الذي يعيش في مدينة أخرى.

هما ليسا سندي وشبكة أمان في هذه الحياة.
ويجب أن يرحلا.

قلت بكل لطف استطاع صوتي التعبير عنه: «وأنتما يا رفاق، لا تترددا في العودة إلى منزلكما أيضاً».

قالت أمي: «هذا هراء. نحن هنا من أجلك وسنكون معك في كل خطوة نحو التعافي».

قلت: «نعم، ولكنني لست بحاجة لأن تفعل ذلك». على الرغم من أنني حاولت أن أجعل كلامي عفويّاً قدر الإمكان، إلا أنه خرج من فمي جافاً وحاداً.

نظرا إليّ وهما لا يعرفان كيف يرّدان، ثم انفجرت أمي بالبكاء.
- «أمي أرجوك لا تبكي. أنا لم أقصد...».

مسحت دموعها: «لا، لا بأس. هل تعذريني للحظة؟ أنا...
أحتاج إلى أن أحضر بعض الماء».

نهضت وغادرت إلى الردهة.

كان عليّ أن أغلق فمي وأجاملهم لوقت أطول.

قلت لأبي: «أنا آسفة».

لم ينظر إلي وأطرق إلى الأرض.

- «أنا آسفة حقاً لأنني قلت ذلك».

هزّ رأسه وهو لا يزال لا ينظر إليّ: «لا، لا تتأسفي».

ثم رفع رأسه والتقت عيناه بعينيّ.

- «نحن نعلم أنك لا تحتاجيننا، نعلم أنك كوّنتِ حياة كاملة

لنفسك من دوننا».

شبه حياة.

- «أنا...».

- «لست مضطرة لأن تقولي شيئاً. والدتك تواجه صعوبة في

تقبّل كل هذا أكثر مني، ولكنني سعيد حقاً لأنك أبديتِ رأيك

بصراحة. ينبغي علينا أن نتحدث بحرية وأن نكون صادقين بعضنا مع

بعض».

اقترب مني وأمسك بيدي.

- «لقد أخفقنا، أنا والدتك. لقد أخفقنا».

عينا أبي خضراوان رائعتان. كونه أبي، أنا لا أدقق فيه كثيراً،

ولكن عندما ينظر إليّ بحرقة كما يفعل الآن، يكون من الصعب

تجاهلهما. كانا بلون وريقات العشب الخضراء والزمرد الداكن.

- «عندما انتقلنا للعيش في لندن، أدركت أنا وأمك أننا اقترفنا خطأً جسيماً بعدم إحضارك معنا. ما كان علينا أن نسمح لك بالبقاء في لوس أنجلوس. ما كان علينا تركك».

نظرت بعيداً. بدأت عيناه الخضراوان تلمعان، وصوته يرتجف. لم أستطع تحمّل ذلك، فنظرت إلى يديّ.

تابع: «في كل مرة كنا نتصل بك، كنا نغلق السماعة ونجهش بالبكاء. ولكنك كنتِ تبدين دوماً بخير، لذلك بقينا نعتقد أنك فعلاً بخير. أظن أن ذلك كان خطأنا الأكبر، أن نصدّق كلامك ونترك لك حرية التصرف. أعني... كنت تبدين سعيدة مع عائلة هدسون، وكانت علاماتك الدراسية جيدة، وقُبلت في جامعة جيدة».

- «صحيح».

- «ولكن عندما أنظر إلى الماضي الآن، أستطيع أن أرى أن كل ذلك لا يعني أنك كنت على ما يرام». انتظرته ليوضح كلامه أكثر.

قال: «إنه أمر صعب أن تعترف بأنك خذلت طفلتك. أتعلمين؟ إن الكثير من أصدقائي الذين يعيشون وحدهم الآن يقولون إن اليوم الذي تُدرك فيه أن أطفالك لم يعودوا بحاجة إليك هو بمثابة لكمّة في البطن. صحيح أنني لا أبوح بهذا أبداً، لكن إن كان مجرد التفكير بأن طفلي لم تعد بحاجة إليّ يشعرني بالألم، فمعرفة أن طفلي احتاجت إليّ ولم تجدني بجانبها... هو أمر لا يُحتمل».

قلت: «لقد دام ذلك سنتين فقط، وعلى أي حال كنت سأذهب إلى الجامعة وأترك البيت».

- «ولكن هذا كان سيحدث وفقاً لشروطك وخيارك، وكنت

ستعرفين يقيناً أنه مهما حدث، سيكون باستطاعتك العودة إلى البيت. لا أعتقد أننا أوضحنا لك هذه الفكرة بما يكفي، فكرة أننا موطنك». لم أستطع منع نفسي من البكاء. أردت حبس دموعي وحاولت جاهدة أن أحتفظ بها لنفسي وعدم السماح لها بأن تنهمر. نجحت في ذلك للحظة، ولكن كما في أي صراع، لا بد أن ينهزم أحد الخصمين. والمهزوم هنا هي أنا، فقد فازت الدموع عليّ.

أمسكت بيد أبي وضغطت عليها. أعتقد أنها المرة الأولى منذ فترة طويلة لا أشعر فيها بالحرج أمامه. شعرت بأنني على سجيتي. ربّت على يدي ورفع عينيه لينظر إليّ، ثم مسح دموعي وابتسم لي.

- «هناك شيء كنت أناقشه مع والدتك، وكنا سنطلعك عليه حين تتحسن حالتك، ولكنني أريد التحدّث معك بشأنه الآن».

- «حسناً...».

- «نعتقد أنه ينبغي عليك الانتقال للعيش في لندن».

- «أنا؟».

أوماً برأسه: «لا شك أن تعرضك لحادث سيرٍ كاد يفقدك حياتك قد يدفعك إلى إعادة النظر بأشياء كثيرة في حياتك. ودعيني أقول لك شيئاً، حقيقة أنني كدت أفقد ابنتي في حادث سير وضع الأمور في نصابها الصحيح فجأة. ينبغي علينا أن نكون عائلة مجدداً. أنا محظوظ لكوني والدك ولوجودك في حياتي، وأريد دوراً أكبر لك فيها. كما أن أملك تشاطرنّي الرأي. كان يجدر بنا أن نطلب منك ذلك منذ سنوات، ولكننا افترضنا أنك تعلمين أننا نريدك أن تكوني معنا. لكن لا أريد افتراض أي شيء بعد الآن. أنا أطلب

منك أن تأتي . أرجوك . نحن نطلب منك أن تنتقلي للعيش معنا في لندن» .

كل هذا يفوق قدرتي على الاستيعاب . لندن . وأبي . وأمي التي تبكي في الردهة . وسرير المستشفى و... كل شيء .

أطرقت لأتهرب من نظراته ، آملة أن أجد الرد المناسب حين أرفع نظري مجدداً . أحتاج أن أنظر بعيداً طويلاً بما يكفي حتى أعرف ما سأقوله .

ولكن ذهني لم يسعفني بشيء .
ففعلت ما أفعله دائماً حين تصيبني الحيرة ، غيرت مسار الحوار .

- «لا أعلم يا أبي . المناخ هنا أفضل» .
ضحك وابتسم لي ابتسامة عريضة : «أنت لا تحبين الجو الغائم والأمطار؟» .

هززت رأسي .
- «أتعدينني بأنك ستفكرين في الأمر؟» .
- «أعدك» .
- «من يدري ، ربما تكون لندن المدينة التي كنت تبحثين عنها طوال الوقت» .

إنه يمزح . هو لا يعلم أهمية هذا الأمر بالنسبة لي .
أدركت حينها كم هو غريب أنني لم أتوصل إلى هذه الفكرة بنفسني . في كل أسفاري وفي كل المدن التي تنقلت بينها ، لم أضع نصب عينيَّ أبداً المدينة التي تعيش فيها عائلتي . هل يعني هذا أنها ليست المكان المناسب لي؟ أم هي إشارة على أن لندن هي المدينة

التي عليّ أن أكون فيها؟ أريد أن أتبع قدري، ولكنني لا أريد الذهاب إلى لندن في الآن نفسه.

- «سأطرح عليك سؤالاً وأريد منك إجابة صريحة. لا تقلقي بشأن مشاعري ومشاعر والدتك، أريدك أن تقلقي بشأنك فقط وما تحتاجينه».

- «حسناً».

- «أنا جاذ يا هانا».

- «حسناً».

سألني بنبرة رزينة فجأة.

- «هل ستسهّل مغادرتنا الأمور عليك؟».

ها هو قد رمى إليّ طوق النجاة، إلا أنني مترددة في الإمساك به. لا أعرف ما إذا كان بإمكانني تحمّل قول ذلك بصوت عالٍ، أن أقول لأبي إنني أريده أن يغادر، خاصةً بعد المحادثة التي دارت بيننا للتو.

تدخل والدي قبل أن أتمكن من ترتيب جوابي.

- «أنا لست قلقاً بشأن مشاعري أو مشاعر والدتك. أنا قلق بشأنك. أنتِ هاجسي الوحيد وكل ما يهمني. كل ما أحताجه منك هو معلومات كافية تساعدني على اتخاذ القرار الأنسب لابنتي. ما الذي تحتاجينه؟ هل تحتاجين لبعض الهدوء والراحة في الوقت الحالي؟».

نظرت إليه وشعرت بشفتيّ ترتجفان. لا أستطيع قول ذلك. لا أستطيع حمل نفسي على قوله.

ابتسم أبي ابتسامة فهمت منها أنه لن يجبرني على الرد وأن صمتي كان خير جواب. أوماً لي برأسه: «سنودّع بعضنا الآن إذاً. أعلم أن هذا لا يعني أنك لا تحيينا».

- «أنا أحبكما بالفعل».

- «ونحن نحبك كذلك».

لقد قلنا هذه الكلمة بعضنا لبعض مراراً، ولكن هذه المرّة، هذه المرّة بالذات، أشعر بها نابعة من أعماق قلبي.

- «حسناً، دعيني أذهب لأخبر والدتك».

- «أوه، أنا آسفة»، قلت وأنا أضع وجهي بين يديّ. شعرت

بخجل فظيع.

- «لا تتأسفي. إن أمك أقوى مما تظن أحياناً، ولا تريد شيئاً

سوى مصلحتك».

خرج إلى الردهة. بقيت وحدي لبعض الوقت فشعرت بالتوتر

وبدأت بالبكاء.

سرعان ما فُتح الباب ودخل والداي. لم تقوَ أمي على قول أي

شيء، اكتفت بالنظر إليّ ثم هرعت نحوي لتطوقني بذراعيها.

- «سنغادر الآن».

- «حسناً».

- «أحبك. أحبك كثيراً. بكيت يوم ولدت ست ساعات

متواصلة لأنني لم أحب أحداً بهذا القدر في حياتي، ولم أتوقف عن

ذلك أبداً، أتفهمين ما أقوله؟ لم أتوقف أبداً».

- «أعرف ذلك يا أمي، وأنا أحبك أيضاً».

مسحت دموعها وضغطت على يدي، ثم أفسحت المجال
لوالدي كي يعانقني.

- «أنا فخور بك، فخور بالشخص الذي أنت عليه اليوم».
- «شكراً يا أبي».

انتهى الأمر عند هذا الحد، ثم خرجا من الباب.
عاد أبي ثانية: «أوه، كدت أنسى».

حمل أبي علبة كان قد أحضرها معه ووضعها على الطاولة
عندما دخل الغرفة، ثم أعطاني إياها.

فتحت العلبة. كان بداخلها لفائف قرفة من بريموس. التصقت
طبقة الكريمة فيها بالعلبة وبدأ عجنيها بالتفكك.

قلت: «لقد تذكرت هديتي المفضلة».

يا لها من بادرة لطيفة. أعلم أنني سأبدأ بالبكاء إن لم يغادر في
هذه اللحظة.

غمز لي وقال: «لا يمكن أن أنسى شيئاً كهذا».

ثم خرج من الباب لينضم إلى أمي وأختي. سيأخذون سيارة
أجرة إلى مطار لوس أنجلوس ثم يطفرون عبر البلاد وفوق المحيط
الأطلسي ليهبطوا أخيراً في مطار هيثرو.
وأنا سأظل هنا.

ويمكنني أن أقول بصدق إنني حتى هذه اللحظة، لم أدرك أبداً
كم كان والداي يحبانني دائماً.

منذ أن غادر إيثان إلى عمله وأنا جالسة مع شارلمان أحاول معرفة الطبيب البيطري الذي سأخذها إليه ومسار الحافلة التي سأسلكه .

تقيأت مجدداً هذا الصباح بعد مغادرة إيثان بوقت قصير . شعرتُ بالغثيان عندما استيقظت ، وظننت بعد ذلك أنني أصبحت أفضل حالاً ، ففتحت ثلاجته لأرى ما إذا كان هناك شيء للفقور . وجدت بعض اللحم المقدد ، وما إن أخرجه وشممت رائحته حتى تشنجت معدتي وتقيأت ، فأنتهى بي الأمر إلى الشعور بتحسن كبير . شعرت بجوع مفاجئ بعد ذلك ، وتذكرت لفائف القرفة .

أحضرت قطعة لي وقطعة لشارلمان ، ولكنني تراجع عن إعطائها قطعة كاملة ، فهي لا تزال صغيرة . فأخذت نصف قطعة ووضعتها على الأرض ، وأضفت النصف الآخر إلى طبق . التهمته في ثلاث قضمات كبيرة ، ثم أكلت القطعة الأخرى .

عندما كنت صغيرة ، وفي المناسبات القليلة التي تقيأت فيها ، كنت أشعر بالجوع بعدها مباشرة . كان الأمر وكأن جسدي تخلص من كل شيء سيئ وأراد استبداله بشيء لذيذ . كنت أستيقظ في

الصباح الباكر وأذهب إلى «دنكن دونتس» لأستنشق رائحة دونت القرفة لأنها أقرب شيء لما كنت أشتهيه. بعض العادات لا تتغير.

جلست مع شارلمان فوق الأريكة. إنها مسترخية في حضني بينما أحاول فهم ما إذا كان يُسمح باصطحاب الكلاب في الحافلات العامة أم لا. بحثت على الإنترنت لكن لم أعثر على جوابٍ قاطع، فأغلقت حاسوبي وقررت أن أذهب وأرى بنفسي. في حال لم يسمحوا بصعودها على متن الحافلة، فسأفكر في حل آخر.

أوصدتُ باب شقة إيثان وتوجهت إلى الخارج. بدايةً، كنت بحاجة إلى شراء طوق وحبل مقود لشارلمان إذا كنت سأتنقل معها في أنحاء المدينة. مشيت نحو متجر تارجت الذي لا يبعد كثيراً عن شقة إيثان، حاملة شارلمان بين ذراعيّ.

توقعت أن يمنعي أحد العاملين من الدخول، ولكن لم يكثرث أحد. كانت الخطة أن أدّعي أنها كلبة مساعدة، ولكنني لم أضطر إلى ذلك. أخذت طوقاً وحبلأً وتوجهت نحو صندوق المحاسبة. رمقتني أمينة الصندوق بطرفي عينيها ولكنها لم تقل شيئاً، تصرفت كما لو أنه من الطبيعي تماماً أن أحمل كلباً داخل متجر. بشكل عام، أرى أنك حين تقوم بشيء لا يُفترض بك أن تقوم به، فأفضل طريقة هي التصرف كما لو أنه ما يُفترض أن تقوم به تماماً.

بعدما وضعت الطوق حول عنقها وربطت الحبل، قررت أن أطبق النهج ذاته في الحافلة. وقفت أنتظر وصولها بكل ثقة. وعندما وصلتُ، صعدت وسط حشد من الناس على أمل ألا ينتبه إلينا السائق، ولكن لم يحالفني الحظ.

صاح سائق الحافلة: «لا يمكنك الصعود بهذا الكلب إلى هنا».

- «إنها كلبة مساعدة» .

- «هي لا تحمل إشارة تبيّن ذلك» .

هممتُ بالإجابة ولكنه قاطعني .

- «وهذا لا يهم على أية حال . لا يُسمَح بوجود الكلاب هنا» .

- «حسناً» .

أردت أن أتجادل معه قليلاً وأرى إن كان بإمكانني إقناعه بالسماح لنا بالركوب، لكن ذهني لم يسعفني، كما أنني كنت أعيق تحرك الركاب .

- «شكراً»، قلت وأنا أنزل من الحافلة .

سأصطحب هذه الكلبة إلى الطبيب البيطري حتى ولو كان ذلك آخر شيء أقوم به في حياتي .

عدت إلى متجر تارجت، وأنا أحمل مجدداً شارلمان بين ذراعي بكل ثقة . توجهت مباشرة إلى قسم اللوازم المدرسية واشترت حقيبة ظهر، ثم ذهبت إلى نفس أمينة الصندوق لعلمي أنها لن تقول شيئاً .

- «لا يفترض بك إدخال الكلاب إلى المتجر . حسابك أربعة عشر دولاراً وتسعة وثمانون سنتاً» .

تظاهرت بأنني لم أسمع الجملة الأولى، ودفعت المبلغ .

- «شكراً لك» .

خرجت من المتجر بسرعة ومشيت نحو زاوية الشارع ثم وضعت الحقيبة على الرصيف . رفعت شارلمان ووضعتها داخل الحقيبة، ثم أغلقت سحابها وأبقيت فتحة صغيرة في الأعلى لكي تستطيع التنفس منها .

مشيت نحو محطة الحافلات وانتظرت حافلة أخرى. حين وصلت، صعدتُ كأني أحمل حقيبة مليئة بالكتب وليس كلبة صيد صغيرة. سلوكي المحترم هذا وصمت شارلمان فتحا لنا الطريق. جلست على مقعد في آخر الحافلة ووضعت الحقيبة بالقرب من قدمي برفق، وفتحت سحابها قليلاً. نظرت إلى شارلمان فوجدتها جالسة تنتظر بكل هدوء داخل الحقيبة، ولا تصدر أي صوت.

أبقيتها بالقرب من قدمي، فنامت معظم الرحلة. وحين كانت تستيقظ، تنظر إليّ ببراءة بوجهها اللطيف وعينيها الكبيرتين. شَعُرُ وجهها أكثر شعوثه من بقية جسدها. إنها بحاجة للاستحمام. كنت سعيدة لأنها لم تحاول الخروج من الحقيبة للعب أو الوثب في حضني. لديها وجه يدفعك لفعل المستحيل لإرضائها، وأنا لا أريد أن نطرد من الحافلة.

مررنا بعدة شوارع، ومضى وقت طويل على وجودنا في الحافلة. وما إن بدأت أتوجس من أننا ركبنا الحافلة الخطأ وأنا تكبدنا كل هذا العناء عبثاً، حتى لاحت العيادة البيطرية أمامي.

ضغطت الزر طلباً للنزول، فتباطأت الحافلة. وقفت وحملت الحقيبة بهدوء ثم توجّهت إلى الواب المزدوج في آخر الحافلة. وقفت أمامه وانتظرته ليُفتح، وعندها بدأت شارلمان بالنباح.

حدقت في الباب راجية أن يُفتح، لكنه لم يفعل. كل مَنْ في الحافلة يحدقون فيّ. أستطيع أن أشعر بنظراتهم عليّ، ولكنني رفضت النظر إلى أي أحد للتأكد من ذلك.

وبينما كان السائق يلتفت لتحديد مصدر الصوت، فُتح الباب أمامي فوثبت خارج الحافلة. وبمجرد أن أصبحنا على الرصيف،

أخرجت شارلمان من الحقيبة تحت أنظار بعض الركاب من وراء النوافذ. حدّق بي السائق، لكن انطلقت الحافلة بعد ذلك في شوارع لوس أنجلوس بسرعة الحلزون. وقفتُ مع شارلمان حرتين كالعصافير، على بعد مبنى واحد من العيادة البيطرية.

- «لقد نجحنا! خدعناهم جميعاً!».

وضعت رأسها على كتفي ولعقت خدي. أنزلتها أرضاً وأحكمت قبضتي على حبلها وسرنا في طريقنا نحو العيادة ثم دخلنا إلى الردهة.

هنالك كلاب في كل مكان. رائحة العيادة أشبه بزرية للكلاب. لماذا لدى القطط والكلاب هذه الرائحة النفاذة؟ لا تكون الرائحة بهذا السوء في الحالات المنفردة، ولكن ما أن تجتمع هكذا حتى تصبح رائحتها... لاذعة.

قلت لموظفة الاستقبال: «مرحباً».

أجابت: «كيف يمكنني مساعدتك؟».

- «وجدت كلبة في الشارع البارحة وأريد معرفة ما إذا كانت لديها شريحة تعريف مزروعة في جسمها».

- «حسناً، نحن مشغولون قليلاً الآن، ولكن وقّعي هنا وسأرى إذا كان بالإمكان فحصها في أقرب وقت ممكن».

أشارت لي إلى لوحة مثبتة على الحائط. تحت خانة اسم الحيوان، كتبت شارلمان، وتحت خانة اسم صاحب الحيوان كتبت اسمي، بالرغم من أن اسمها الحقيقي ليس شارلمان ولست صاحبها. نادتني موظفة الاستقبال: «سيدتي؟».

- «نعم؟».

- «لن نتمكن من خدمتك قبل الساعة السادسة».

- «السادسة؟».

- «نعم، أعتذر منك. لدينا بعض الإجراءات الطارئة، لذلك نحن مشغولون طوال فترة بعد الظهر. يمكنك أخذ الكلبة إلى منزلك حتى يحين موعدها».

فكرت بإعادة شارلمان إلى داخل الحقيبة، والصعود إلى الحافلة، ثم القيام بذلك مجدداً هذا المساء. ليس لدي أدنى شك بقدرتي وقدرة شارلمان على مواجهة العقبات، ولكن في نهاية المطاف، سيكتشف سائقو حافلات لوس انجلوس أمرنا.

- «هل يمكنني تركها هنا ثم العودة لمقابلة الطبيب البيطري عند الساعة السادسة؟».

يحزنني أن أفكر بأنها ستبقى هنا من دوني، ولكن أليس هذا ما أسعى إليه؟ أنا أحاول العثور على صاحب شارلمان الحقيقي، لأنني لست صاحبها.

هزت موظفة الاستقبال رأسها.

- «آسفة، ولكن عيادتنا تمنع ذلك. غالباً ما يأتي أشخاص ويتركون الكلب ثم لا يعودون، ونضطر حينها إلى وضع الكلب في ملجأ».

- «حسناً، فهمت».

همست في أذني: «أستطيع إقناع المختصين البيطريين بإيجاد مكان لها في الأقفاص إذا قمت بإيداع مبلغ من المال لدينا أو بطاقتك الائتمانية حتى، لتأكد أنك ستعودين».

قلت لها بنبرة مازحة: «هل هذا يعني أنك تريد ضمانات؟».

أومات برأسها بأدب، لكن بصرامة.
أخرجتُ المحفظة وسحبت منها بطاقتي الائتمانية بينما وقفت
الموظفة أمامي ومدت يديها لتأخذ شارلمان. في الحقيقة، وجدت
تركها هنا أصعب بكثير من ترك بطاقتي الائتمانية.
خاطبتِ الموظفة شارلمان: «لا تقلقي. سنعتني بك جيداً لبضع
ساعات بينما تنجز ماما بعض المهام».
- «أوه عذراً، ولكنني لست... ماما».
كدت أضحك من فكرة أن أكون أم أي أحد، أو أي شيء.
ماما.

قالت: «أوه أعلم ذلك. ولكنك صاحبته في الوقت الحالي،
لذا...».

- «حتى وإن كنت، فأنا لا أريد إرباكها».
ثم أخذت محفظتي وخرجت من الباب الأمامي دون أن ألتفت
لأحد لأن هذا كان أغبى شيء تفوهت به على الإطلاق. ليست
المشكلة أنني لا أريد إرباك الكلبة، بل المشكلة هي أنني لا أريد
إرباك نفسي.

أمسكت هاتفي لأبحث عن وكالات سيارات هذه المنطقة. لا
داعي لإضاعة الوقت. وجدت ثلاث وكالات على بعد كيلومترين
ونصف تقريباً، فمشيت باتجاهها.

سأشطب مهمة أخرى من قائمتي اليوم.
وبذلك، سأصبح قريباً شخصاً فعالاً في المجتمع.

19

اتصلتُ بغابي بعد مغادرة عائلتي مباشرة وأخبرتها بأن أبي طلب مني الانتقال إلى لندن. سألتني عن رأيي في الموضوع، فقلت إنني لست متأكدة بعد.

بالرغم من أنني لم أعش لفترة طويلة في نفس المكان مع غابي، إلا أنني لا أستطيع تخيل العيش بعيداً عنها مجدداً.

قالت لي: «أنت تمرين بالكثير حالياً. حاولي فقط أن تنالي قسطاً من النوم، وحين تصبحين مستعدة، سننظر في إيجابيات وسلبيات هذه الفكرة».

عندما أغلقتُ الهاتف، فعلتُ ما طلبته مني بالضبط واستغرقت في نوم عميق.

استيقظت منذ قليل ونظرت إلى الساعة: إنها تشير إلى الثانية صباحاً.

قال هنري وهو يدخل إلى غرفتي: «لقد استيقظتِ. كنت نائمة حين أتيت في وقت سابق».

- «هل كان شخيري أفضل أو أسوأ من شخير غابي في تلك الليلة؟».

- «أوه، كان أسوأ من شخيرها بكثير».

ضحكت: «ألا يمكنكم فعل شيء بشأن ذلك، عملية جراحية مثلاً؟».

قال وهو يتجه نحوي: «لا تهتمي بشأن ذلك، لقد عانيت الكثير، ألا تظنين ذلك؟».

مكتبة

t.me/soramnqraa

أخذ يدوّن شيئاً ما في ملفي.

- «كيف هو وضعي الآن؟».

وضع الملف من يده وأغلق قلمه.

- «إنه جيد. أعتقد أنهم سيُجلسونك على كرسي متحرك في

الغد لتصبحي قادرة على التنقل».

- «واو! حقاً؟».

غريب كيف أن الحياة تنقلك بسرعة من يوم تعتبر فيه المشي من المسلّمات، إلى يوم تطير فيه فرحاً لمجرد أن شخصاً ما سمح لك بالجلوس على كرسي متحرك.

- «نعم. أمر مثير، أليس كذلك؟».

- «بالطبع!».

- «هل أحضر لك أحدهم بعض المعجنات؟».

زراق ملابسه الطبية الداكن جميل جداً. لا أعني أنه يناسبه تحديداً، ولكنني لاحظت أن ملابس بقية الممرضين والممرضات إما وردية أو زرقاء فاتحة. أما لون ملابسه الأزرق الداكن فهو أكثر جاذبية. لو كنت ممرضة لارتديت ملابس باللون الأزرق الداكن طوال اليوم.

لا أصدق أنني نسيت أمرها. أمسكت بالعلبة على الفور.

- «نعم، أحضر لي والدي لفائف القرفة».

قال: «أوه يا إلهي، إنها نقطة ضعفي. لا أحب الحلويات كثيراً ولكنني أحب لفائف القرفة بصفة خاصة».

كنت متلهفة جداً في التعبير عن حبي للفايف القرفة لدرجة أنني أخذت أتلعشم.

- «هذا ما... أنا... أنت تحب؟ ... وأنا أيضاً».

ضحك مني.

- «ما أعنيه هو أنني أحب لفائف القرفة. أنا مُدمنة عليها».

- «لا يوجد شيء من هذا القبيل».

بعد حديثنا عنها، أصبح من المستحيل عدم تناول بعض منها على الفور، ففتحت العلبة وأخذت قطعة.

- «هل تريد بعضاً منها؟».

- «أوه، لا شكراً».

«هل أنت متأكد؟ أحضرها والدي من بريموس. برأيي هم يعدّون أفضل لفائف قرفة في لوس أنجلوس».

وضع قلمه داخل جيبه: «تعلمين؟ نعم... سأخذ قطعة صغيرة».

ناولته العلبة فأخذ قطعة صغيرة.

- «أوه، هيا! خذ قطعة حقيقية».

ضحك وأخذ قطعة أكبر.

- «أنا متأكد أن إحدى القواعد الأساسية للتعامل مع المرضى

هي: لا تأخذ طعامهم».

ضحكت: «لا أحد مثالي».

قال وهو يمضغ: «صحيح. يا إلهي، كم هي لذيذة».

- «أليس كذلك؟ لا أريد التباهي أمامك، ولكنني أعتبر نفسي خبيرة في لفائف القرفة».

- «لقد بدأت أصدق ذلك».

- «ربما ينبغي عليّ أن أبدأ في التلميح لزوّاري أن يحضروا معهم المزيد من لفائف القرفة، وبذلك سأتمكن من تخزين كمية كافية».

- «هذا مغرٍ. هل تشعرين بأنك على ما يرام؟».

أعادني سؤاله إلى الواقع، فتذكرت من نكون حقاً، ولماذا نحن هنا.

- «نعم، أنا بخير. أشعر أنني أتحسن شيئاً فشيئاً كل يوم».

- «هل تشعرين أنك مستعدة لاستعمال الكرسي المتحرك غداً؟ سيحملونك وستتحركين للمرة الأولى منذ الحادث، وقد يكون ذلك مؤلماً. هل أنتِ مستعدة لذلك؟».

- «هل تمزح معي، أنا مستعدة لأي شيء».

- «هذا ما ظننته».

توجه نحو الباب ثم توقّف.

- «إذا كنت تحبين لفائف القرفة كما أحبها، أراهن أنك تحبين حلوى التشوروس أيضاً. هل تناولتها من قبل؟».

نظرت إليه بغضب مفتعل: «هل تمزح معي؟ تسألني إن كنت قد تناولت التشوروس من قبل؟ أنا من لوس أنجلوس، بالطبع تناولتها».

- «أوه حسناً. المعذرة أيتها المتحذلة».

بدأت بالضحك: «متحذلة؟».

ضحك أيضاً وقال: «لا أعلم لماذا قلتها. لقد خرجت من فمي وحسب. أنا مندهش مثلك».

ضحكت لدرجة أن عينيّ راحت تدمع واهتز جسدي كله . عندما يكون جسمك مكسوراً ، تدرك كم منه تُستخدم للضحك ، ولكنني لم أستطع التوقف ، بل لا أريد التوقف .

قال : «نظقي لهذه الكلمة كان غريباً بعض الشيء» .

التقطت أنفاسي : «بعض الشيء؟» .

ضحك من نفسه معي .

شعرت بالألم حاد في ساقي فجأة . ألم حاد وعميق ومخيف . توقف ضحكي بالفور وبدأت أصرخ .

هرع هنري نحوي .

لم يتوقف الألم . كان قوياً لدرجة لم أستطع معها التنفس ولا الكلام . نظرت إلى قدميّ ورأيت أصابع قدمي اليمنى متشنجة ولا أستطيع إرخاءها .

قال لي مطمئناً «لا بأس ، أنت بخير» . ثم اتجه نحو كيس المحلول الوريدي وأضاف : «أنت بخير . ستكونين على ما يرام خلال لحظات ، أعدك بذلك» .

عاد ليقف بقربي ، ثم أمسك بيدي ونظر في عيني : «انظري إلي ، هيا انظري . سيختفي الألم خلال لحظات . أنت تعانين من نوبة تشنج . عليك فقط أن تتحملوها وستكونين بخير» .

نقلت نظري إليه وحدثت في وجهه رغم الألم . أخذ كلانا ينظر في عيني الآخر .

- «ستغلبين على الألم ، ستغلبين عليه» .

ثم بدأ الألم يتلاشى ، وأصابع قدميّ تستقيم ، وجسدي يرتاح . وأصبح بإمكانني التنفس بسهولة من جديد .

ترك هنري يدي ليمسح على ذراعي حتى كتفي .

- «هل أنت بخير؟ لا بد أن تكوني قد تألمت كثيراً» .

- «نعم ، نعم أنا بخير» .

- «من الجيد أننا سنحرك جسدك قريباً ، فهو يحتاج للحركة» .

- «نعم» .

- «لقد أبليت بلاءً حسناً» .

- «شكراً» .

- «هل ستكونين بخير؟ أعني لوحدك؟» .

- «نعم ، أظن ذلك» .

- «إذا حصل ذلك من جديد، اضغطي على الزر وسأحضر فوراً» .

رفع يده من فوق كتفي برفق وخفة حتى أنني بالكاد لاحظت ذلك ، ثم أزال شعرة كانت على وجهي .

- «خذي قسطاً من الراحة ، سيكون غداً يوماً حافلاً» .

- «حسناً» .

ابتسم وتوجه نحو الباب ، وفي اللحظة الأخيرة أطلّ برأسه ثانية .

- «أنت بطلّة حقاً ، هل تعلمين ذلك؟» .

- «لا بد أنك تقول ذلك لكل مرضاك» .

وعندما انصرف ، تساءلت هل يقول ذلك لكل مرضاه حقاً؟ أم

أنه يختص مثل هذه العبارات لي وحدي؟

20

قال لي البائع ونحن جالسان إلى مكتبه، وكنت قد اتخذت قرارى بالفعل: «سيدتي، هل أنت متأكدة أنك لا تريدين شراء سيارة جديدة؟ سيارة مميزة؟ سيارة تناسب... شخصيتك؟».

كنت أفكر في شراء سيارة تويوتا كامري مستعملة. أما البائع فحاول إقناعي بشراء بربوس ذات لون أحمر فاقع. للأمانة، كنت أفضل البريوس الحمراء. وكان هناك فترة في حياتي كنت سأقول فيها «ليكن ما يكون»، وأنفق كل مالي كدفعة أولى ثم أتدبر أموري لتسديد باقي الدفعات، فقط لأنني أحب تلك البريوس الحمراء.

ولكنني أحاول الآن اتخاذ قرارات جديدة تأخذ حياتي نحو مسار أفضل.

قلت: «الكامري تفي بالغرض».

كنت قد جربت قيادتها وسألت البائع كل الأسئلة. طلب تسعة آلاف وخمسمائة دولار ثمناً لها، واقترحت سبعة آلاف وخمسمائة دولار. رفعت المبلغ إلى ثمانية آلاف دولار. كان يراجع مديره بشأن السعر باستمرار. وفي النهاية، أقبل المدير مشتكياً من ضآلة السعر الذي اقترحته.

- «إذا بعته لك بأقل من ثمانية آلاف وخمسمائة دولار، فلن أجنبي أي ربح من الصفقة، ونحن بحاجة إلى الربح كما تعلمين. لا يمكننا أن نبيع سياراتنا دون أن نربح شيئاً».

- «حسناً، أظن أننا لن نتوصل إلى اتفاق».

نهضت من فوق الكرسي وحملت حقيبتي.

قال المدير: «لا تتصرفي بجنون يا عزيزتي».

بسبب أمثال هذا الحقير، لا تكفّ غابي عن الحديث عن حقوق النساء والمساواة بين الجنسين.

- «اسمعني، قلت لك إنني سأدفع ثمانية آلاف دولار لا غير. هذا عرضي الأخير».

كارل مفاوض بارع، وشرس. عندما كنّا في السنة الأخيرة من الثانوية، كان يأخذني أنا وغابي للقيام بكل مفاوضاته، لتتعلم أساليب التفاوض. كنا نساوم الميكانيكيين والبائعين والسباكين ومن لا يخطر لكم على بال. كان كارل يجعلنا نتفاوض معهم على الأسعار مباشرة. فعندما كانت سيارته الجيب تحتاج إلى إطارات جديدة، ذهب إلى الورشة لأتفاوض مع صاحبها بينما كان ينتظرني في الخارج عند الزاوية. وعندما كنت أخرج وأخبره بالسعر الجديد، كان يهز رأسه ويحثني على الحصول على سعر أفضل، وكنت أحصل عليه دائماً. وكنت فخورة بنفسي حقاً عندما قبل صاحب الورشة أن يقوم بتنظيف سيارة الجيب مجاناً، نظراً إلى إلحاحي على الموضوع. وفي إحدى المرات، تمكنت غابي من إقناع الكهربائي الذي أصلح سخان الماء أن يخفض سعره خمسمائة دولار، فأخذنا كارل وتينا في تلك الليلة إلى مطعم بينيهانا لنحتفل بذلك النصر.

كان كارل يقول دائماً إن الأشخاص الذين لا يتفاوضون ليسوا سوى مغفلين، ونحن لسنا كذلك.

قلت للمدير: «سأشتري سيارة اليوم، ولكن ليس بالضرورة أن تكون من معرضكم».

قلّب المدير عينيه: «حسناً، حسناً. سنتفق على ثمانية آلاف ومائة دولار».

صافحته ثم بدأوا بإعداد الوثائق. دفعت ثلاثة آلاف دولار مقدّماً وغادرت الوكالة ويدي على مقود السيارة. لقد أنفقت للتو معظم مالي، ولكن لا بأس في ذلك، ما دام لديّ خطة.

ابتعدت عن وكالة السيارات لمسافة ثم أوقفت السيارة على جانب الطريق، ورحت أضرب بيدي على المقود وأصرخ بملء صوتي لأطرد كل التوتر الموجود بداخلي.

سأفعلها. سأبني حياة لنفسِي. سأفعلها.

اتصلت بكارل في عيادته.

- «مرحباً!».

نبرته لطيفة وسعيدة لسماع صوتي.

- «قولي لي إنك ستقبلين الوظيفة».

- «سأقبل الوظيفة».

- «مذهل. سأحوّل الخط إلى جويس لتتحدثني إليها. إنها

مسؤولة الموارد البشرية لدينا. ستخبرك بموعد مباشرة العمل والراتب والعلاوات وكل تلك الأمور الجيدة، وسيخيب ظني بك إن لم تقنعنيها بالحصول على اثني وأربعين ألف دولار سنوياً على الأقل».

ضحكت: «اشتريت للتو سيارة بثمانية آلاف ومائة دولار بدل تسعة آلاف وخمسمائة دولار. سأقوم بذلك، أعدك».

- «هذا ما أريد سماعه!».

- «كارل، أنا مُمتنة لك على هذه الفرصة، صدقاً».

- «شكراً لك». في الحقيقة، لقد جاء كل شيء في وقته. تأخرت روزالي ساعة ونصفاً هذا الصباح ولم تكلف نفسها عناء تبرير تأخرها، كما اشتكت منها مريضة الأسبوع الماضي وقالت إنها شتمتها، وهو ما نفته روزالي. لذلك، أنا مصرّ على فصلها، وسعيد أنك ستوفرين علينا عناء التدقيق في السير الذاتية للبحث عن بديل لها».

ضحكت: «حسناً. أنا متحمسة لبدء العمل معك يا... رئيس».

ضحك وحوّل الخط إلى جويس. تحدثنا لما يقارب نصف الساعة. قالت إنها ستعطي روزالي إشعاراً بالفصل، وبالتالي سأبدأ العمل بعد أسبوعين، ولكن في حال قررت روزالي عدم البقاء لهذين الأسبوعين، فيمكن أن أباشر العمل في وقت أقرب. كان جوابي أنني لا أمانع في ذلك.

أضافت جويس: «لهذا السبب، يُفضّل توظيف أحد المعارف أحياناً. كمسؤولة الموارد البشرية، ينبغي عليّ التدقيق مع جميع المتقدمين للوظيفة، ولكن الحقيقة هي أن المعرفة الشخصية تجعل من السهل التحلي ببعض المرونة».

عرضت عليّ راتباً بمبلغ أربعين ألف دولار في السنة، وبنفس أسلوب شرائي للسيارة، تفاوضت معها حتى أقنعتها بأربعة وأربعين ألفاً، بالإضافة إلى التأمين الصحي.

قالت: «والخبر السار هو أننا نتكفل بتقديم التأمين الصحي لكامل أفراد عائلتك بتكلفة منخفضة جداً».

- «أوه، لن تضطروا للتكفل بأحدٍ غيري».

- «حسناً. وسيكون لديك إجازة مدفوعة الأجر لمدة أسبوعين في السنة، وإجازة الأمومة بطبيعة الحال، إذا لزم الأمر».

ضحكت: «لن يلزم الأمر».

ضحكت أيضاً: «فهمت».

أنهينا المكالمة بمناقشة التفاصيل الصغيرة، وسرعان ما اتفقنا على كل شيء.

- «مرحباً بك في عيادة هدرسون وستوكس وجونسون لطب الأطفال».

- «شكراً لك. يسعدني الانضمام إليكم».

كنت أعلم أن إيثان لا يزال في عمله، ولكنني لم أستطع مقاومة الرغبة في الاتصال به.

- «ما الأخبار يا جميلتي؟».

تفاجأت أنه ردّ على المكالمة.

- «هل لديك بعض الوقت؟».

- «بالطبع. لحظة، سأخرج من المكتب».

أستطيع سماعه وهو يخرج من الباب ويعم الهدوء حوله.

- «ما الأمر؟».

قلت له: «أنصحك ألا تجرب التفاوض معي أبداً، فلقد قمت للتو بمساومة بائع السيارات حتى خصم لي ألفاً وأربعمئة دولار،

- وأقنعت مسؤولة الموارد البشرية بأن تزيد راتبي أربعة آلاف دولار.
ببساطة، أنا قوة لا يُستهان بها».
- ضحك إيثان: «لديك سيارة ووظيفة...».
- «صدقت».
- «وهل عثرتِ على منزل شارلمان؟».
- «لا يستطيعون فحصها قبل الساعة السادسة، لذا ذهبت لشراء
السيارة، وسأعود إليها الآن. أفكر بقضاء وقتي في غرفة الانتظار،
في حال تمكّن الطبيب من فحصها في وقت أبكر».
- «في السادسة؟».
- «نعم، إنها هناك الآن. اضطررت لترك بطاقتي الائتمانية
ليسمحوا لها بالبقاء حتى أعود».
- ضحك إيثان مجدداً: «ماذا؟ تركتي لهم ضمانات؟».
- «هذا ما قلته بالضبط!».
- ضحك: «اسمعي، سأغادر عملي بعد نصف ساعة. أين أنتِ
بالضبط؟ سأتي إليك».
- «أوه، سيكون هذا رائعاً! أنا في غرب لوس أنجلوس،
والعيادة تقع قبالة محطة مترو سيبولفيدا».
- «يا إلهي، إنها بعيدة عن منزلي. هل ذهبت بالحافلة إلى
هناك؟».
- «نعم».
- «مع شارلمان؟».
- «لنقل إن حقبة ظهر أدت المهمة».
- ضحك إيثان: «هل آتي إليك ونذهب لتناول عشاء مبكر؟ أعرف

مطعماً مكسيكياً بالقرب من العيادة البيطرية. سأشتري لك البوريتو للاحتفال!».

- «موافقة!».

تهتُ أكثر من مرة وأنا في طريقي إلى المطعم. ثم سلكت ممراً ضيقاً لكن صادفتني شاحنة كبيرة قادمة من الجهة المعاكسة، فاضطرت أن أرجع بالسيارة إلى الوراء ببطء وأن أبحث عن طريق آخر. لكنني وصلت في النهاية. هذه هي أنا باختصار: أصل في النهاية.

ركنت سيارتي في موقف سيارات المطعم، ووجدت إيثن منتظرني عند المدخل. مكتبة سُر من قرأ قال متفاجئاً: «أهذه هي السيارة الجديدة؟ أعجبتني، لكنني لم أتوقعها كذلك. كنت متيقناً من أنك ستشتري سيارة ذات لون أحمر قرمزي».

ضحكت لكلامه: «أميل حالياً إلى اتخاذ قرارات عملية، كمواعدة رجل مستقر والالتزام بوظيفة بدوام كامل...». أضاف: «وإنقاذ كلبة ضالة».

ضحكت وصححت كلامه بينما كنّا نتوجه إلى المطعم: «أنا أساعد شارلمان على إيجاد عائلتها الحقيقية فحسب، ولكن الرجل المستقر والوظيفة بدوام كامل فهما...». كنت على وشك إنهاء الجملة بالقول: «قراران دائمان»، ولكنني عدلت عن ذلك بسرعة.

ما زال الوقت باكراً جداً للتحدث عن مدى جدية علاقتنا أنا وإيثن. صحيح أن هناك ماضياً بيننا وقد أصبح علاقتنا دائمة، ولكننا بدأنا بالتواعد من جديد للتو. أعتقد أن أفضل شيء هو أن أطلق

العنان لخيالي لتصور المستقبل، ولكن دون أن أعبر عن ذلك بكلمات.

وهذا يعني أنني أعتقد أن إيثان قد يكون حقاً الشخص المناسب لي. ولكنني أفضل الموت على قول ذلك بصوت عالٍ. لحسن الحظ، بدا أن إيثان يتفق معي تماماً لأنه نظر إليّ وأمسك بيدي ثم ضغط عليها وقال: - «أفهم ما تعنيه».

سألنا المضيفة إن كنا نرغب بالجلوس إلى طاولة طعام أو عند البار، فاخترنا البار وطلب إيثان طبقاً من الجواكامولي. قال لي عندما انصرفت النادلة: «أنا جد فخور بك». - «شكراً لك. أنا فخورة بنفسي أيضاً. أعني، لا يعجبني الحال الذي أوصلتني إليه عاداتي القديمة، وأشعر الآن بأنني متحمسة تماماً لفتح صفحة جديدة».

أعتقد أن أموري كانت تسير نوعاً ما على ما يرام بفضل وجود أناس يؤمنون بي، فغابي وعائلتها وإيثان يشجعونني كثيراً لدرجة أنني أشعر بنفسي قادرة على تحقيق كل ما أبادر به. في المدن الأخرى، كنت أفكر إلى نظام داعم. صحيح أنه كان لديّ العديد من الأصدقاء وبعض الأحباء أحياناً الذين يهتمون بي، لكن لم يكن هناك شخص يؤمن بي حقاً حين لم أكن أوّمن بنفسي. أما الآن فلديّ هؤلاء الأشخاص، وأعتقد أنني بحاجة إليهم إلى جانبي لأحقق النجاحات في حياتي. أعتقد أنني ممن يحتاجون إلى أناس في حياتهم. ولأن عائلتي تركتني وتدبّرت أموري لوحدي، لطالما اعتقدت أنني أميل إلى الوحدة وأنني لست بحاجة إلى أحد.

قال لي : «أحترم ذلك» .

وضع النادل طبق الجواكامولي أمامنا . تناولت رقاقة ذرة وغمستها فيها ، ولكنني أعدتها إلى الطبق قبل أن أتمكن من وضعها في فمي حتى . رائحتها كريهة .

- «يا إلهي . هل هي فاسدة؟» .

ردّ إيثان حائراً : «آه ، أتعنين الجواكامولي؟» .

- «شمّ رائحتها ، إنها غريبة» .

- «حقاً؟» .

غمس فيها رقاقة وقربها من أنفه ثم أكلها .

- «لا . طعمها لذيذ» .

شممتها مجدداً ولم أستطع تحمّلها . وضعت يدي على معدتي .

- «هل أنت بخير؟» .

- «نعم ، ولكن عليّ أن أبتعد عنها» .

- «تبدين شاحبة . وجبينك يتعرّق قليلاً» .

غمرتني موجة من الغثيان ، مثل الليلة الماضية تماماً . أحسست بالحموضة والانقباض في حلقي . لم أكن متأكدة أنني سأتحمل ذلك لفترة طويلة ، فهرولت بسرعة نحو الحمام ولكنني لم أتمكن من الوصول إلى المرحاض ، فتقيأت في المغسلة ، إلا أنه حمام خاص لحسن الحظ .

لحق بي إيثان وأغلق الباب خلفنا .

قلت له : «هذا حمام للنساء» .

رد علي : «أنا قلق عليك» .

قلت : «أنا بخير» . رغم أنني بدأت أشك في ذلك حقاً .

- «قلت إنك تقيأتِ البارحة أيضاً».

- «نعم، وهذا الصباح أيضاً».

- «هل تظنين أنك مصابة بالزكام؟ هل يُفضَّل أن تذهبي إلى الطبيب؟ أعني، ما الذي يجعلك تقيئين طوال الوقت؟».

في اللحظة التي طرح فيها السؤال، أدركت أنني لست مصابة بالزكام.

أدركت تماماً الآن لماذا تسير الأمور في حياتي على ما يرام. فالكون يرتب كل شيء أمامي بطريقة مثالية لكي أستطيع التدحرج نحوه وإفساده بالطريقة التي أقوم بها دائماً.

إنه إعصار هانا التقليدي.

أنا حامل.

21

استيقظت على صوت أحدهم يتحسس طريقه في الظلام ولكنني لم أتبين من يكون، كنت أسمعه فقط.
سألت: «هنري؟».

نهض طيف عن الأرض.
- «آسف. لا يمكنني العثور على هاتفني، وظننت أنني قد أكون أوقعته هنا».

قلت له: «من الغريب أن تحوم حولي وأنا نائمة».
- «لم أكن أحوم، بل أزحف».
ضحكت: «هذا أسوأ بكثير».
سألني: «أنتِ لم تريه، أليس كذلك؟ أقصد هاتفني».
هززت رأسي بالنفي.
- «اللعة».

شاهدته يسحب بعض ربطات الشعر التي يضعها حول معصمه وهو شارد الذهن.
أشرتُ إلى رأسي: «لقد وعدتني أنك ستشرح لي قصة ربطات الشعر».

ما زلت أستعمل الربطة التي أعطاني إياها للحفاظ على كعكتي .
لحسن الحظ، يمكنني الآن تصفيفها بنفسني مع القليل من الجهد،
لكنني ما زلت لا أملك مرآة. ولذلك لا يمكنني التأكد من أنها تبدو
مصففة .

ضحك: «ذاكرتك جيدة. يواجه الكثير من المصابين في
حوادث السير صعوبة في تذكر التفاصيل الصغيرة» .

هزرت كتفي: «ماذا عساي أقول؟ لطالما كنت متفوقة على
الجميع» .

- «عندما كنت أعمل في تكساس، كنت أعثر على ربطات
الشعر في جميع أنحاء المستشفى» .

وجدت نفسي أبتسم وهو يجلس. أردته بجانبني .

- «لم أرغب بالتخلص منها لأنها بدت وكأنها قد تكون مفيدة
لأحد ما، فبدأت بجمعها. ولكن لم يطلبها أحد مني قط، فأصبح
لدي كمية كبيرة منها. وذات يوم، طلب مني رئيسي القيام بشيء ما،
ولم يكن لدي ورقة لأكتب عليها، فقامت بوضع ربطة حول معصمي
لتذكرني بذلك، واعتمدت هذه الطريقة بعد ذلك. ثم بدأت أستعملها
لتذكرني بعدة أشياء في نفس الوقت. وهكذا، إذا كانت هنالك أربعة
أشياء أحتاج أن أتذكرها، أضع أربع ربطات، وإذا كان لدي شيان
يجب أن أقوم بهما وقام أحدهم بتكليفني بمهمة ثالثة، أضع ربطة
أخرى» .

- «كم مرة توقفت لتحقق بمعصمك محاولاً أن تتذكر ما هي
المهمة التي تمثلها ربطة ما؟» .

ضحك: «أعترف أنه ليس نظاماً مثالياً» .

- افتترضْتُ أنه ظن أنه رأى هاتفه لأنه انحنى إلى الأمام قليلاً
لبعض الوقت، ثم نهض من جديد، لكن لا بدّ أنه كان مخطئاً.
- «على أية حال، هذا هو نظام الترتيب المعتمد على ربطات
الشع الخاص بي».
- «وزيادة على ذلك، لديك ربطة شعر لتقدمها إلى كل امرأة قد
تحتاجها».
- «صحيح. ولكن لم تطلبها مني أي امرأة أخرى غيرك».
- ابتسمت له.
- «كيف حالك الآن؟ بخير؟ هل تشعرين بأبي تشنجات؟».
- «لا، لا أشعر بأبي تشنجات».
- «جيد».
- جال ببصره في الغرفة مجدداً باحثاً عن هاتفه.
- قلت: «يمكننا الاتصال به. أعني هاتفك».
- أمسكت الهاتف الخاص بالمستشفى، كان بالقرب مني على
الطاولة الجانبية، وسحبته نحوي ثم رفعت السماعة.
- «ما رقمك؟».
- لم أتمكن من تفسير تعابير وجهه.
- فسألته: «ما الأمر؟».
- «لا يمكنني تزويدك كمريضة بمعلومات الاتصال الخاصة بي،
فهذا مخالف للقوانين».
- شعرت ببعض الحرج، فوضعت السماعة في مكانها لحفظ ماء
وجهي.
- «أوه، حسناً. يمكنك الاتصال به بنفسك وسأغلق عيني».

ضحك وهز رأسه: «لا فائدة من ذلك لأنه على الوضع الصامت».

بدا وكأن كلينا أراد تغيير الموضوع ولكننا لم نعرف كيف.

اقترح هنري: «لقد جربت تطبيق «ابحث عن هاتفني»».

- «أوه، فكرة جيدة».

- «أظهر التطبيق أن هاتفني موجود في مستشفى أنجليس

بريسبيتيريان».

ضحكت: «يا لها من مساعدة».

- «حسناً، في حال رأيته...».

- «إذا رأيته سأضغط على جرس الممرضين الصغير».

- «وأنا سأركض إليك».

لم يتبق شيء نتحدث بشأنه ولكنه لم يغادر الغرفة. نظر إلي،

والتقت أعيننا للحظة أطول من اللازم. أشحت بعيني أولاً، وإذ

شتت انتباهي ضوء أزرق خافت بدأ بالوميض بإيقاع بطيء.

صاح: «أخيراً!».

رحت أضحك بينما كان يجثو على الأرض. عندما نهض

مجدداً وفي يده الهاتف، وقف إلى جانبي وليس في نهاية السرير

حيث كان سابقاً.

- «كنت أعلم أنني سأجده».

بشكل فطري، وجدت نفسي أمد يدي لألمسه، كما لو كان

صديقاً لي، لكنني تذكرت فجأة أنه ليس صديقي وأن لمس ذراعه أو

يده برفق قد يكون غريباً. فتظاهرت بأنني أريد مصافحته عالياً،

فابتسم وضرب كفي بكفه بحماس.

- «أحسنّت» .

تساءلت للحظة كيف كانت لتكون الأمور لو أنني كنت قادرة على المشي، ولم نكن في مستشفى بل في حانة في مكان ما، ولو كنت أرتدي قميصي الأسود المفضل وسروالي الجينز الضيق. تساءلت كيف كانت لتكون الأمور لو كنت أحمل جعة في يدي والأضواء خافتة لأن الناس يرقصون من حولنا، لا لأنهم نائمون. هل كان سيلقي عليّ التحية ويقدم لي نفسه؟ هل كان سيدعوني للرقص معه؟

- «على أية حال، عليّ أن أذهب الآن ولكن سأعود للاطمئنان عليك قريباً. لا أحب الابتعاد عنك لساعات طويلة دون أن أتأكد من أنك ما زلت تتنفسين» .

ثم غادر قبل أن أودعه حتى .

لا أعلم . ربما، وربما فقط، لو أننا التقينا في حفل عشاء، لكنّا قضينا الليلة بأكملها نتسامر معاً، وفي آخر الليل، كان سيعرض عليّ أن يرافقني إلى سيارتي .

22

سألني إيثان: «ما بك؟ مم تشكين؟ هل ستتقيئين مجدداً؟ ما الذي يمكنني فعله؟».

هززت رأسي بهدوء: «لا. أنا على ما يرام الآن». لقد أتتني الدورة الشهرية قبيل سفري إلى لوس أنجلوس. أتذكر أنها أتتني. وأتذكر أنني كنت سعيدة لأنها انتهت أبكر من المعتاد. أتذكر ذلك. أتذكر ذلك.

- «أنا بخير. أظن أن كرنب بروكسل لا يزال يسبب الاضطراب في معدتي».

- «حسناً. ربما ينبغي علينا العودة إلى المنزل».

هززت رأسي: «لا. دعنا نقضي الوقت معاً حتى يحين موعد الذهاب إلى الطبيب البيطري والتحدث معه بخصوص شارلمان». - «هل أنت متأكدة؟».

ألقيت نظرة على هاتفي. وددت الخروج من هنا بسرعة وشراء جهاز كشف الحمل، ولكن لا توجد طريقة يمكنني أن أتخلص بها من إيثان دون أن يسأل عما يجري. ولا يمكنني أن أخبره بشيء الآن، لا يمكنني أن أخبره بشكوكي حتى تتحول إلى يقين.

- «حسناً إذاً، إذا كنت فعلاً تشعرين بأنك بخير».

- «أنا بخير».

هنا بدأ الكذب.

- «سأخرج قبلك، حتى لا يرانا أحد ويظن بنا شيئاً».

تفاجأت بدعابته، ووجدت نفسي أضحك بصوت عالٍ.
ابتسمت له وقلت: «حسناً».

تسلل خارجاً بينما بقيت في دورة المياه لبعض الوقت.

أخذت نفساً عميقاً، محاولة التحكم بعقلي وجسدي، ثم
أمسكت هاتفني وبدأت البحث في غوغل عن الشيء الوحيد الذي قد
يُقنعني أنني مُخطئة بشأن مخاوفي. الدليل الوحيد الذي قد يُثبت أنني
لست حاملاً.

كتبت في خانة البحث: هل يمكن أن تأتيني الدورة الشهرية
وأنا حامل؟

«لا يمكن أن تأتيك العادة الشهرية إذا كنت حاملاً...».

تباطأ خفقان قلبي وبدأت أهدأ. قد يكون كل شيء على ما
يرام.

«ولكن قد تعاني بعض النساء من نزيف مهبلي أثناء الحمل».
ذهبت إلى صفحة أخرى.

«لم تكن ابنة عمي تعلم أنها حامل إلا بعد مضي أربعة أشهر،
وذلك لأن دورتها الشهرية أتمها بانتظام طيلة فترة الحمل».
ثم صفحة أخرى.

«قد تشعرين بأعراض تشبه الدورة الشهرية في بداية حملك
نتيجةً لنزيف الانغراس، أي حين تنغرس البويضة في جدار الرحم».

هراء.

«يكون هذا التزيف أخف ويدوم لمدة أقصر من الدورة الشهرية». أغلقت هاتفها وتهاوت أرضاً.

لقد حملت بالرغم من كل ذرة منطق أمتلكها، وليس من الرجل الوسيم والجذاب والمثالي الذي بدأت أُصدق أنه الشخص المناسب لي، بل من الوغد المتزوج والأب لطفلين في نيويورك. تمالكت أعصابي، فلا فائدة من الغضب والانهيار الآن. أخذت نفساً عميقاً، فتحت الباب، خرجت من دورة المياه، ثم ذهبت لأنضم إلى إيثان على الطاولة.

- «كيف سنقضي وقتنا؟ هل نهرب بعيداً عن الجواكامولي المقزز هذا ونبحث عن بعض لفائف القرفة؟».

سيهجرني رجلي المثالي الذي ينتهز أي فرصة أمامه ليُحضر لي لفائف القرفة. سوف يهجرني.

هزرت رأسي: «أتعلم ماذا؟ دعنا نطلب بعض البوريتو». - «فكرة رائعة».

نادى النادل وطلب البوريتو. تحدثنا عن عمله وألقينا النكات وأكلنا رقائق التورتيلو.

مع كل رقاقة تناولتها وكل دعاية ألقيتها، كنت أدفع هاجس الحمل إلى أعماق عقلي، أدفن مشاكلتي عميقاً وأركّز على مَنْ يجلس أمامي.

أنا بارعة في التظاهر بأن كل شيء على ما يرام. أنا بارعة في إخفاء الحقيقة، حتى أنني كدت أُصدق نفسي للحظة. فبحلول الوقت الذي انتهينا فيه من العشاء، كنتَ لتعتقد أنني نسيْتُ كل شيء.

توجهنا نحو سيارتنا واتفقنا على اللقاء عند البيطري .
قال إيثان وهو يغلق لي باب سيارتي : «أنت مثالية، أتعرفين ذلك؟» .

حين قالها، اتضح لي كم أنني لم أنسَ شيئاً أبداً .
- «لا تقل ذلك، هذا غير صحيح» .
- «أنت محقّة. أنت جميلة أكثر من اللازم. أحتاج إلى فتاة أقل جمالاً منك» .



عندما وصلنا إلى العيادة البيطرية، وجدنا الطبيب في انتظارنا .
أخذنا إلى غرفة الفحص ثم أحضر أحد المختصين البيطريين شارلمان
التي ركضت نحوي مباشرة .

التقطتها وحملتها بين ذراعيّ : «ها أنت يا صغيرتي!» .

سألنا البيطري : «إذاً، أنتما من وجداها؟» .

أجاب إيثان : «أجل، كانت تركض في الشارع» .

بدا الاستياء على ملامح البيطري .

- «ليست لديها شريحة، ولم يتم خصيها، وتعاني من سوء التغذية. يُفترض أن يكون وزنها أكثر من وزنها الحالي بكيلو أو كيلو ونصف. قد يبدو هذا هزياً، ولكنه مهم لكلبة بهذا الحجم...» .

كان البيطري رجلاً طويلاً قامته اشتعل شعر رأسه ولحيته الكثّة
شيباً .

قال إيثان : «نعم، هذا عجز مهم» .

سألته : «هل لديك فكرة عن عمرها؟» .

- «أسنانها لم تبرز كلها بعد، وهذا يعني أنها لا تزال جروءة».
- «حسب اعتقادك، كم يبلغ عمرها بالضبط؟».
- «أربعة أو خمسة أشهر على الأكثر. وغالب الظن أنها تعيش مع شخص لا يعتني بها كثيراً...».
- قلت موافقة: «صحيح».
- «أو ربما كانت مشردة في الشارع منذ فترة».

وجدت صعوبة في تصديق ذلك، فالكلاب التي تعيش في الشارع لا تركض وسط الطريق لأن ذلك يتعارض مع مبدأ البقاء للأصلح. فإذا ركض كلب وسط الطريق في ظلمة الليل، فهذا يعني أنه لن يعمر طويلاً في الشوارع القاسية... أو في أي مكان آخر. واصل البيطري: «في معظم الأحيان، لا يقوم الناس بخصي كلابهم، ويتفاجؤون عندما تحمل».

يا للعجب!

- «قد يكون الاعتناء بكلبة مُرضعة وقطيع من الجراء مرهقاً عندما لا تتوقع ذلك».

صحيح.

- «وأحياناً يقوم الناس بإيوائهم حتى يأتي يوم ولا يعودوا يستطيعون تحمل ذلك، فيقومون بإفلات الجراء في الشارع».
- رباه.

نظرت إلى إيثان، الذي بدا مستاءً مما يسمعه، غير مدرك أن كلام البيطري بدا وكأنه يعنيني. معه كل الحق في ذلك، فأنا مستاءة أيضاً. أعلم أن بعض الأشخاص شريرون ويقتربون أموراً فظيعة،

خاصة في حق الحيوانات التي لا حول لها ولا قوة، ولكن عندما أنظر إلى شارلمان، لا أستطيع استيعاب تلك القسوة. فأنا بالكاد أعرفها وأشعر بأنني مستعدة لفعل أي شيء لأجلها.

قال إيثان: «ليس هنالك أي أمل إذاً، أعني فيما يتعلق بالعثور على صاحبها».

هز البيطري كتفيه: «ليس من خلال هذه الطريقة على الأقل. يمكنكما وضع منشورات في المنطقة التي وجدتماها فيها، أو الطرق على الأبواب بحثاً عن صاحبها. ولكن في حال كنتما تُفكران بالاحتفاظ بها، فسأنصحكما بفعل ذلك بدلاً من البحث عن صاحبها الأصلي، هذا إذا كان هناك صاحب من الأساس».

رد إيثان: «أوه، نحن لم نكن نفكر...».

قاطعته: «وإن كنا كذلك، هل نستطيع ترتيب موعد معكم لتهتموا بكل ما تحتاجه؟ الخصي وزرع الشريحة؟».

أجاب البيطري: «بالطبع. كما أنها ستحتاج إلى مجموعة من اللقاحات. ويمكننا مساعدتكما في زيادة وزنها أيضاً، ولكنني أظنها ستكفل بهذا بنفسها إذا توفر لها الطعام».

قال إيثان: «حسناً. شكراً جزيلاً على مساعدتك».

مد يده ليصافح البيطري، ومددت يدي بدوري لمصافحته.

- «العفو. إنها لطيفة. أتمنى أن تساعدنا في توفير منزل آمن لها، وإن لم تستطيعا، يمكنكما الاتصال بمكتب الاستقبال وسنساعدكما على إيوائها في ملجأ. إنه ليس بالأمر السهل، فهناك عدد كبير من الكلاب التي تملأ المدينة، ولكننا نحاول المساعدة قدر الإمكان».

عند خروجنا من العيادة، كانت الشمس قد مالت إلى الغروب، وأصبح الهواء بارداً. حملت شارلمان بين ذراعي وحبلها حول يدي. كانت ترتجف قليلاً، ربما بسبب البرد. أو ربما لأنها تعلم أن مصيرها مجهول.

سألته: «ما رأيك؟».

- «لا أعلم».

وقفنا بجانب سيارتنا للحظة. خالجني إحساسٌ غريب بأنني أملك هذه السيارة منذ زمن بعيد، مع أنني لم أقم بشرائها إلا عصر ذلك اليوم.

- «أنا حقاً لا يمكنني تربية كلب في شقتي».

- «أعلم».

- «أعني، أريد مساعدتها، ولا أريد أن ينتهي بها الحال في الشارع، ولكن لا أرغب في تبني كلب، ولا أعلم كيف يمكنك تبنيها، لأنك...».

- «لأنني لا أملك شقة بعد».

- «صحيح».

نظر إليّ، ونظرت بدوري إلى شارلمان. لن أضعها في مأوى. لن أفعل ذلك. فمع كل ما حدث اليوم، مصيري مجهول أيضاً. أنا وشارلمان متشابهتان، كلتانا غبيتان وتائهتان، نحن من ذلك النوع من الفتيات اللواتي يركضن في الشارع دون تفكير.

قد ارتكب الكثير من الأخطاء، وقد أتصرف دون تفكير، وقد أكون لا أدرك أنني حامل في الوقت الذي يجب أن يكون الأمر واضحاً بشكل صارخ، ولكنني أعلم أيضاً أنني حين أضع نفسي في

ورطة، أخرج نفسي منها. وربما يمكنني أن أخرج نفسي وشارلمان من هذه الورطة بإلقاء نفسينا فيها.

لقد ركبنا أنا وشارلمان في إحدى حافلات المدينة اليوم ونحن لا نملك سوى حقيبة ظهر وابتسامة. نحن فريق. هي لي.

- «لن أعيدها لمن أساءوا معاملتها، وهذا لا يعني أنه يمكننا العثور عليهم حتى لو أردنا ذلك. لن أرميها في الشارع أو أرسلها إلى مأوى لتُقتل فيه».

نظر إليّ إيثنان. بدا لي أنه تفهّم موقفني ولكنه لم يفهم ما أحاول الوصول إليه.

- «حسناً... ما الذي سنفعله إذا؟».

- «سأحتفظ بها. هذا ما سأفعله».

هذه ليست مشكلة إيثنان بل مشكلتي. أنا من اخترت أن أعطني بشارلمان.

لم تخف عليّ أوجه التشابه بين حالي وحال شارلمان. وقد يكون هذا التشابه جزءاً من السبب الذي دفعني للاحتفاظ بها. قد يكون تجسيدا مادياً لما أكابده عاطفياً في الوقت الحالي.

يوجد في أحشائي طفل ليس منه، وسأبني كلبة لا يرغب بها. لن ألزمه بهاتين المسألتين.

قال لي: «حسناً. يمكنها البقاء في شقتي الليلة، وغداً سنفكر معاً في خطة على المدى البعيد».

قال «معاً». سنفكر معاً في خطة على المدى البعيد.

توجّهت نحو سيارتي: «هذا جيد. سأقضي الليلة في منزل غابي».

- «ألن تنامي في شقتي؟».

هززت رأسي: «سأنام هناك. هي لن تمنع بقاء شارلمان في منزلها هذه الليلة».

بل ستمنع، فمارك لديه حساسية من الكلاب. وليس من الكياسة أخذ شارلمان إلى منزلهما، ولكنني أحتاج إلى الابتعاد عن إيثنان. أحتاج إلى البقاء لوحدي.

- «يمكنها البقاء في شقتي هذه الليلة. أنا لا أمانع ذلك حقاً».

هززت رأسي بالرفض مجدداً وابتعدت عنه. فتحت باب سيارتي ووضعت شارلمان في مقعد الراكب الأمامي وأغلقت الباب عليها.

- «لا. لا بأس بذلك. هذا هو التصرف الأنسب».

قال والأسى بادٍ على وجهه: «حسناً. إذا كان هذا ما تريدينه».

قلت له: «سأتصل بك غداً».

كل ما قاله هو «جيد».

قالها وهو ينظر إلى قدميَّ بدلاً من وجهي. إنه مستاء، لكنه حاول إخفاء استيائه بإيماءة من رأسه ثم ركب سيارته.

أطل برأسه من نافذة السيارة وقال: «سأتصل بك غداً إذا».

أضاء مصابيح سيارته وابتعد.

ركبت سيارتي ونظرت إلى شارلمان، وفجأة، انهمرت كل الدموع التي كنت أحبسها طوال هذا المساء.

- «لقد أفسدت كل شيء يا شارلمان. دمّرت كل شيء».

لم ترد عليّ ولم تنظر إليّ.

- «كان كل شيء يسير على أفضل حال، وأنا أفسدته الآن».

لعلت شارلمان رجلها وكأنني لا أكلها .

سألتها : «ماذا أفعل ؟» .

كنت أتحدث بصدق ويأس مع شارلمان لدرجة أنه لو رأي أحدهم من خارج السيارة لاعتقد أنني أنتظر رداً منها .

وربما ، على مستوى ما ، خُيل لي أنها سترد علي . ولن أكون مصدومة لو أنها نطقت فجأة وأرشدتني إلى كيفية إصلاح هذا الوضع ، بل كنت سأشعر بالراحة .

ولكن للأسف ، شارلمان لا تعدو كونها كلبة عادية ، وليست كلبة سحرية . وضعت رأسي على عجلة القيادة في سيارتي الجديدة المستعملة وأجهشت بالبكاء . بكيت ، وبكيت ، وبكيت .

تساءلت متى يجب عليّ أن أخبر مايكل .

تساءلت متى يجب عليّ أن أخبر إيثان .

تساءلت من أين لي بمصاريف الطفل .

تساءلت كيف يمكنني أن أكون بهذا الغباء .

تساءلت إن كان العالم يكرهني ، وإن كان مُقدِّراً لي أن أفسد حياتي دائماً ولا أتقدّم أبداً .

تساءلت إن كنت سأبقى أماً عزباء إلى الأبد . وإن كان إيثان سيتحدث معي مجدداً . وإن كان والداي سيأتيان ليلتقيا بطفلي أم سأضطرُّ للسفر كي أزورهما برفقته في العطل .

ثم تساءلت عما ستقوله غابي . تخيلتها تقول لي إن كل شيء سيكون على ما يرام . تخيلتها تقول لي إن هذا الطفل مُقدَّر له أن يكون . تخيلتها تقول لي إنني سأكون أماً رائعة .

ثم تساءلت إن كان ذلك صحيحاً فعلاً. إن كنت سأكون أماً رائعة حقاً.

ثم... أخيراً... تساءلت بشأن طفلي.

ونزل عليّ الإدراك كالصاعقة.

سأرزق بطفل.

وجدت نفسي أبتسم ابتسامة صغيرة وسط سيل من دموع الخوف

الثقيلة.

قلت لشارلمان: «سأرزق بطفل وسأصبح أماً».

بدت وكأنها سمعتني هذه المرة. صحيح أنها لم تنطق بطريقة

سحرية، ولكنها نهضت ومشت فوق مسند ذراعي لتجلس في

حضني.

- «سنكون أنا وأنت. والطفل. يمكننا القيام بذلك، أليس

كذلك؟».

جلستُ في حضني وغطت في النوم. وأيقنتُ أنها لو كان

بإمكانها التحدث، لأجابت بالإيجاب.

سمعت صوت قرع على الباب في الصباح الباكر. كنت لوحدي في الغرفة وقد استيقظت منذ بضع دقائق فقط. لم أكن قد انتهيت من تصفيف كعكة شعري، فبقي نصفه مُسدلاً على كفتي. أطل إيثان برأسه داخل الغرفة وقال بصوت كالهمس: «مرحباً. هل أستطيع الدخول؟». - «بالطبع».

أسعدتني رؤيته. قد أكون تأثرت بفكرة أنه لا تزال بيننا بعض المشاعر الرومانسية، لكنني أرى الآن أن هذا ليس صحيحاً. سأظل دائماً أحبه بشكل ما، وسيبقى له مكان في قلبي دائماً. لكنني لا أريد أن أبعث الحياة في حب يعود بي إلى ماضٍ أردت أن أتجاوزه. انتقلت إلى لوس أنجلوس لأترك الماضي خلفي وأسير نحو المستقبل. انتقلت إلى لوس أنجلوس لتغيير، وهذا ما سأفعله. لكن هذا لا يعني أنه لا يسعنا أن نعني شيئاً أحداً للآخر، وأنا لن نبقي أصدقاء.

ربت على جانب سريري لدعوته للجلوس، فجلس بجواري.

- «كيف تشعرين؟».

كان يحمل علبة مخبوزات بين يديه. أمل أن تحتوي على ما أفكر فيه.

سألته مبتسمة: «هل هذه لفائف قرفة؟».

ابتسم وقدمها لي.

- «لقد تذكرت أنني أحبها».

- «وكيف لي أن أنسى؟».

فتحت العلبة: «واو! إنها لفائف ضخمة».

- «أعلم. لقد رأيته منذ بضع سنوات في ذلك المخبز على

الجانب الغربي وفكرت فيك، كنت أعلم أنك ستحبينها».

- «إنها عجيبة! ينبغي بي أن أكلها بسكين وشوكة».

كان حجمها أكبر من أن أكلها لوحدي، فقررت الاحتفاظ بها

لأتناولها مع هنري في المساء.

أعدتها إلى إيثان: «هل يمكنك وضعها على الطاولة؟».

«ألا ترغبين في تناولها الآن؟».

كنت أرغب بها، ولكنني فضلت انتظار هنري. هززت رأسي

بالنفي.

- «لم تجيبي على سؤالتي. كيف تشعرين؟».

- «أنا بخير، أتحسن شيئاً فشيئاً. أمرّ بأوقات جيدة وأخرى

صعبة، ولكنك جئت في وقت جيد. سمعت أنني سأستعمل كرسيّاً

متحركاً اليوم».

رأيت تعابير وجهه تتغير، ولوهلة خاطفة، أحسست كم كان

حماسي بشأن الكرسي المتحرك يدعو للشفقة، لكنني لن أسمح

للإحباط أن ينال مني. هذه حياتي الآن. نعم أنا بحاجة إلى كرسي متحرك ولا ضير في ذلك. سأمضي قدماً مهما كانت الظروف. نظر إيثان إلى الجهة الأخرى ثم إلى الأرض، محاولاً إبعاد نظره عني.

سألته: «ما الخطب؟ ما الذي يزعجك؟».

نظر إليّ: «يبدو كل شيء عبثياً. فكرة أنها صدمتك سيارة، وأني كدت أفقدك. حين سمعت ما حدث لك، قلت في نفسي فوراً... كان يفترض أن تكون معي بدلاً من ذلك. لو كنت نجحت بإقناعك بالبقاء معي لما وقفت وسط الشارع عندما... أعني، ماذا لو كان من الممكن منع كل هذا لو كنت... تصرفت بشكل مختلف؟».

إنه لأمرٌ سخيف، أليس كذلك؟ تشبنا بالحقائق والعواقب بحثاً عن طريقة لنلوم أو نبرئ أنفسنا؟ لا دخل لإيثان بما حدث. ذهابي مع غابي ومارك إلى البيت كان خياراً اتخذته بنفسني. التسعة مليارات خيار التي اتخذتها على مدار حياتي كان يمكنها أن تغيّر مكاني الآن وإلى أين سأتوجّه. لا معنى للتركيز على خيار واحد فقط إلا إذا كان الغرض من ذلك معاقبة النفس وحسب.

قلت له: «لقد قلبت هذه المسألة بجميع احتمالاتها ونتائجها، واستلقيت على هذا السرير لعدة أيام وأنا أتساءل عما إذا كان من المُفترض أن نتصرف بطريقة مختلفة».

- «و؟».

- «و... ليس لذلك أي أهمية».

- «ما الذي تعنيه، ليس له أي أهمية؟».

- «أعني أن كل شيء يحدث لسبب معيّن، وأن هناك غاية مما حدث. لم أبق معك في تلك الليلة لأن القدر لم يشأ ذلك، لم يكن ذلك ما يُفترض أن أفعله».

نظر إليّ ولم يقل شيئاً.

- «أتعلم؟ كان من الممكن أن أبقى برفقتك تلك الليلة نسهر ونشرب ونحتفل حتى الصباح، وربما كنا سنقضي الليل كله في التجول في المدينة والحديث عن مشاعرنا واسترجاع ذكرياتنا القديمة، وربما كنا سنغادر تلك الحانة ونذهب إلى حانة أخرى ونصادف مات ديمون هناك، فيستلطفنا ويعطينا مئة مليون دولار لنشئ مصنع للفائف القرفة».

ضحك إيثان.

واصلت: «لا نعرف ماذا كان سيحدث، ولكن ما كان سيحدث لم يكن من المُفترض أن يحدث».

- «أتؤمنين بذلك حقاً؟».

- «يجب أن أؤمن به، وإلا فإن حياتي ستكون كارثة كبيرة».

وإلا سأكون قد فقدت طفلي سدى.

- «نعم، أنا أؤمن بذلك حقاً. أؤمن بأنه مقدّر لي شيء ما، وأننا جميعنا مُقدّرٌ لنا شيء ما. وأؤمن بأن الكون أو الإله أو أيّاً كان اسمه يقوم بتوجيهنا نحو الطريق الصحيح. وبالتالي، أؤمن بأنه كان مُقدّراً لي أن أختار الذهاب مع غابي، ولم يكن مُقدّراً لي البقاء معك».

بقي إيثان هادئاً ثم نظر إليّ وقال: «حسناً. لم يكن ذلك... لم يكن مُقدّراً لنا إذا».

حاولت تلطيف الجو: «إضافة إلى ذلك، لو أنني بقيت برفقتك

لانتهى بنا الحال بتبادل القُبل وإفساد كل شيء. نحن أفضل حالاً الآن. يمكننا أن نكون صديقين أخيراً. صديقان مقربان وحقيقيان».

نظر إليّ، نظر في عينيّ مباشرة ثم ساد الصمت بيننا للحظة.

تكلم إيثان أخيراً قائلاً: «هانا، أنا...».

توقف ولم يُكمل جملته حين دخل هنري من الباب.

قال هنري: «أوه، أنا آسف، لم أكن أعلم أن لديك زواراً».

أنا سعيدة لرؤيته. إنه يرتدي لباسه الطبي الأزرق نفسه الذي كان يلبسه بالأمس.

قلت له: «ظننت أنك تعمل في نوبة الليل وأن ديانا هي ممرضتي في النهار».

- «أنا أغطي نوبة، هذا الصباح فقط. إذا كنت أقاطعكما فسأعود لاحقاً».

رد إيثان: «أوه...».

قاطعت كلامه: «أنت لا تقاطع أي شيء».

استجمع إيثان نفسه ونظر إليّ: «أتعلمين؟ يجب عليّ الذهاب إلى العمل».

- «حسناً. هل ستأتي لزيارتي قريباً؟».

- «نعم، أو ربما ستخرجين من هنا خلال بضعة أيام».

- «نعم، ربما».

- «على أية حال، استمتعي بلقائف القرفة».

ضحك هنري: «هذه الفتاة تعشق لقائف القرفة بحق».

نظر إليه إيثان: «أعلم، لهذا السبب أحضرتها لها».

قمت بإجراء ثلاثة اختبارات لكشف الحمل في دورة مياه الصيدلية التي تقع في نهاية شارع منزل غابي. كان بإمكانني ترك شارلمان في السيارة وفتح النوافذ لها قليلاً، ولكنني لم أحبذ الفكرة، لذا وضعتها في حقيبة الظهر وأحضرتها معي. نبحت في الحمام مرة أو مرتين، ولكن لم يبدُ أن أحداً اهتم بذلك.

الاختبارات الثلاثة أتت بنتائج إيجابية، ولم يفاجئني ذلك أبداً. كانت الساعة قد قاربت التاسعة مساءً عندما أوقفت سيارتي أمام منزل غابي. لا بد أنها سمعت صوتها لأنها أطلت من النافذة. رأيتهما وضحكتا، تبدو كعجوز غاضبة تكاد تصرخ قائلة: «ما كل هذه الضوضاء؟».

فتحت باب المدخل وشارلمان خلفي، لأجد غابي واقفة على الجانب الآخر من الباب. شعرت بالاستياء مما أفعله، لإحضاري كلبة إلى منزل مارك رغم معرفتي أنه يعاني من الحساسية. ولكنني لم أستطع البقاء مع إيثان، كما أنني لم أستطع التخلي عن شارلمان. لذا ها نحن هنا.

كانت غابي ترتدي ملابس النوم: «هل اشتريت سيارة؟» .
سألتها: «أين مارك؟» .

كانت شارلمان خلفي، فلا أعتقد أن غابي رأتها .
قالت غابي: «إنه يعمل لوقت متأخر مرة أخرى» .
- «لدي بعض الأخبار» .

- «أعلم، لقد اشتريت سيارة» .
- «في الواقع، لدي أخبار أخرى» .
نبحت شارلمان، فنظرت غابي إليّ باستنكار .
سحبت شارلمان إلى الأمام .

- «لديك كلبة؟» .
- «سأبتناها . أنا آسفة حقاً» .
- «ستبتنين كلبة؟» .

- «هل من الممكن أن تبقى هنا لهذه الليلة فقط؟ لقد اشتريت
لمارك مجموعة كاملة من أدوية الحساسية» .

أخرجت العبوات الخمس للأدوية المضادة للهيستامين التي
اشتريتها من قسم الصيدلية الذي لا يستلزم وصفة طبية .
نظرت إليّ غابي: «آه . . . أعتقد ذلك؟» .

- «رائع . شكراً لك . لدي بعض الأخبار» .
- «لديك المزيد من الأخبار؟» .

أومأت لها برأسي . واصلت غابي التحديق بي . حدقت بها
بدوري، غير متأكدة أنها مستعدة لتلقي الخبر أو أنني مستعدة للفظه .
قلت لها: «ربما ينبغي أن نجلس» .

- «هل أحتاج إلى الجلوس لسماعه؟» .

- «أنا من يحتاج إلى ذلك».

ذهبنا للجلوس على أريكتها. حملت شارلمان وأجلستها في حضني، لكنها انتقلت بسرعة لتجلس على الأريكة. رأيت غابي تجفل من فكرة جلوس كلبة على أريكتها، فحملت شارلمان ووضعتها على الأرض.

- «أنا حامل».

إن خروج الكلمات من فمي بصوت عالٍ جعلها تحمل معها أيضاً من المشاعر. أجهشت بالبكاء ودفنت رأسي بين يديّ. ظلت غابي صامتة في البداية، ولكنني سرعان ما شعرت بيديها تمسكان بمعصمي، شعرت بها تسحب يديّ بعيداً عن وجهي وترفع ذقني لأنظر إليها.

- «أنتِ تعلمين أن كل شيء سيكون على ما يرام، أليس كذلك؟».

نظرت إليها بعينيّ الغارقتين في الدموع. أومأت لها وبذلت قصارى جهدي لأقول: «نعم».

- «هل يعلم إيثان بالأمر؟».

هززت رأسي: «لا، لا أحد يعلم ما عدا أنتِ وشارلمان».

سألتنِي: «من هو شارلمان؟».

نظرت إلى الكلبة وأشرتُ إليها.

- «أوه صحيح. هذا منطقي، لا أعتقد أنه لا يزال هنالك

أشخاص يُطلق عليهم اسم شارلمان».

بدأتُ بالبكاء مجدداً.

- «أرجوك توقفني . هذا خبر جيد».

انهمرت دموعي : «أعلم».

- «حملت من مايكل» . قالتها وكأنها أدركت هذا للتو .

- «نعم» .

بدأت شارلمان بالتذمر والقفز محاولة الانضمام إلينا على الأريكة . نظرت إليها غابي ثم حملتها ووضعتها في حضني . التفت حول نفسها وأغمضت عينيها . في الحقيقة ، إن وجودها في حضني يُشعرنني بالراحة .

- «حسناً ، كفي عن البكاء للحظة» .

انتحبت ونظرت إليها .

- «ستكفل بهذا معاً وسنكون بخير» .

- «معاً؟» .

- «لن أدعك تمرّين بكل ذلك لوحدك يا حمقاء» .

الطريقة التي تفوهت بها بكلمة حمقاء جعلتني أشعر بحبها لي أكثر من أي وقت مضى . قالتها كما لو أنني سأكون فعلاً غبية لو اعتقدت أنني لوحدي . شعرت بالراحة لمعرفتي أن هذه الفكرة سخيفة بالنسبة إليها ، سخيفة لدرجة أنها جعلت مني فتاة حمقاء .

«أتعرفين؟ بعد سنوات من الآن ستتذكرين هذا وستقولين إنه أفضل شيء حدث لك في حياتك» .

نظرت إليها مستهزئة : «سأنجب طفلاً من رجل متزوج ، وأنا متأكدة أن هذا سيدمر علاقتي مع حبيبي القديم الجديد» .

- «أولاً وقبل كل شيء ، دعينا لا نتكهن بأي شيء . أنت لا

تعلمين ما سيقوله إيثان» .

- «هل تعرفين ما أنا متأكدة تماماً أنه لن يقوله؟ «هانا، أنا متحمس جداً لتحمل مسؤولية تربية طفل رجل آخر»».

أنا على حق بالطبع، لذلك قامت غابي بتغيير الموضوع.

- أنت تعلمين ذلك، أليس كذلك؟ أنتِ إنسانة مُحِبَّة ولديك الكثير من الحب لتقديمه، كما أنك وفيَّة للأشخاص الذين تحبينهم.

هل لديك أدنى فكرة كم ستكونين أماً عظيمة؟ هل لديك أدنى فكرة إلى أي درجة سيكون هذا الطفل محبوباً؟ مقدار الحب الذي سيتلقاه من خالته غابي سيحجب الشمس».

ضحكت رغماً عني.

- «أنت قادرة على فعل هذا يا هانا. وفي يوم ما في المستقبل القريب ستدركين أن حياتك كانت بلا معنى قبل وجود هذا الطفل».

قد تكون مُحَقَّة.

- «ماذا لو فصلني والدك قبل أن يوظفني حتى؟ «مرحباً. لقد منحتني هذه الوظيفة قبل أن تعرف بحملي، والآن أنت في ورطة معي»».

- «لهذا السبب تقيأت أثناء العشاء لديهم».

- «كان ينبغي أن يكون ذلك أول دليل يلاحظه والدك».

لأكون صريحة، كان ينبغي أن يكون ذلك أول دليل ألاحظه أنا.

- «هل تدركين ما تقولينه؟ نحن نتحدث عن أبي هنا. الرجل الذي اشترى لنا الزهور في حفل تخرجنا، والذي جلس ذات يوم ليسحب بالملقط قطع الزجاج الصغيرة من قدمك حين أوقعَ مزهرية الكريستال المفضَّلة لدى أُمي».

- «أوه لا تذكريني بذلك».

- «ولكن هذا ما أقصده. أبي يحبك حقاً، بل والدادي يحبناك وسيدعمناك دائماً. هو لن يقوم بفصلك، وحين يعلم بشأن حملك سيظهر هو وأمي فرحاً وسيخبران أصدقاءهما أن جيل الأحفاد قادمٌ أخيراً».

ضحكت.

- «بالإضافة إلى أنه لا يستطيع فصلك لأنه سيكون تصرفاً غير قانوني، فهذا من بديهيات قوانين الموارد البشرية».

وفي اللحظة التي ذكرت فيها «الموارد البشرية»، تذكرتُ حديثي مع جويس. تذكرت أنها أخبرتني أن لديّ تأمين وإجازة أمومة. للحظة، شعرت أن غابي على حق وأن كل شيء سيكون على ما يرام.

- «حسناً. لا يزال لديّ وظيفة إذاً».

- «ولا يزال لديك أنا ووالديّ ومارك و...».

نظرت إلى الكلبة وابتسمت.

- «وشارلمان».

قلت: «عليّ أن أتصل بمايكل لأخبره، أليس كذلك؟».

قالت بتردد: «نعم؟ لا؟ ليست لدي أدنى فكرة. سنفكر في الموضوع معاً. سنوازن بين الإيجابيات والسلبيات».

- «حقاً؟».

قالت غابي بكل ثقة: «نعم. وسنصل إلى جواب وستتصرفين على أساسه».

جعلت غابي الأمر يبدو سهلاً.

- «وربما لن ينفصل إيثان عني؟».

- «ربما لن يفعل ذلك».

بدت لي نبرة صوتها أقل ثقة الآن.

- «لكن في حال انفصل عنك، فهذا يعني أنه ليس مقدراً لكما أن تكونا معاً».

- «هل تعتقدين أن القدر يسيّر حياتنا؟».

لسبب ما، كنت سأشعر بالراحة لو أن القدر يسيّر حياتنا فعلاً، فهذا يحررني شيئاً ما، أليس كذلك؟ إذا كان القدر يسيّر حياتنا، فهذا يعني أنه لا ينبغي عليّ أن أبالي بالعواقب والأخطاء، ويمكنني بالتالي أن أرفع يدي عن عجلة القيادة. الإيمان بالقدر أشبه بالعيش اعتماداً على القيادة الآلية.

- «هل تمزحين؟ بالطبع أعتقد ذلك. هنالك قوة عليا، سميها ما تشائين، ولكني أؤمن بوجود الرب، فهو الذي يدفعنا إلى سلك الاتجاهات الصحيحة ويبقينا على الطريق الصحيح. فإذا قال إيثان إنه لا يستطيع التعامل مع حقيقة أنك حامل، فهذا يعني أنه ليس الرجل المناسب لك، وأنه مقدّر لك أن تكوني مع شخص آخر. سنتعامل مع هذا الأمر معاً. سنتعامل مع كل شيء معاً».

أغمضتُ عينيّ للحظة، وحين فتحتهما، بدا العالم أكثر إشراقاً.

- «ماذا أفعل الآن إذا؟».

- «صباح الغد، سنشتري لك فيتامينات الحمل ونحجز موعداً

لدى طبيب نساء وولادة حتى نتمكن من معرفة عمر الجنين».

- «سيكون عمره ثمانية أسابيع على الأقل. لم أعاشر مايكل

منذ فترة».

- «حسناً، نعرف هذا الآن. ولكن سنحجز موعداً مع ذلك».
- صحتُ بصوتٍ عالٍ: «أوه، لا! لقد شربت بيّرة حين ذهبنا إلى الحانة الأسبوع الماضي».
- «لا بأس بذلك، سيكون الطفل بخير. تحدث مثل هذه الأمور. كما أنك لم تكوني ثملة. لقد رأيتك».
- أنا أمّ فظيعة. أنا أمّ فظيعة بالفعل.
- «لستِ أمّاً فظيعة، إن كان هذا ما يقلقك».
- تكاد غابي تعرف كيف يفكر عقلي أحسن مني. حملتُ شارلمان من فوق حضني وأشارت لي بالوقوف، ثم سبقتنا نحو غرفة نومي.
- «تحدث مثل هذه الأمور، ولا بأس في ذلك. ابتداءً من صباح الغد، ستتعلمين كل ما عليك التوقف عن القيام به وكل ما عليك القيام به، وستكونين بارعة في كل شيء».
- «هل تعتقدين هذا حقاً؟».
- «أعتقد هذا حقاً».
- ارتديت ملابس النوم بينما استلقت غابي على أحد جانبي السرير وبجانبيها شارلمان.
- «كم هي لطيفة شارلمان الصغيرة هذه. كيف انتهى بها المطاف في منزلي؟».
- ضحكت: «إنها قصة طويلة، قمت فيها باتخاذ قرار سريع، والآن أدرك أن هرموناتي هي التي دفعتني إلى ذلك».
- ضحكت غابي: «على أية حال، إنها لطيفة. أحب وجودها هنا».
- نظرت إلى شارلمان: «وأنا أيضاً».

- «أكره حساسية مارك السخيفة من الكلاب. دعينا نبقيا هنا طوال الليل ونرى ما إذا كان سيتحسس منها. أراهن أنه لن يشعر بشيء وأنه يتوهم حساسيته هذه فحسب».

ضحكت واستلقيت بجانب غابي على السرير. أمسكت بيدي.

- «كل شيء سيكون رائعاً».

تنفست الصعداء ثم تنهدت.

- «أمل ذلك».

- «لا. قللي معي. كل شيء سيكون رائعاً».

رددت وراءها: «كل شيء سيكون رائعاً».

ثم رددت مجدداً: «كل شيء سيكون رائعاً»، حتى أنني كدت أصدق ذلك.

أطفأت غابي المصباح.

- «إذا استيقظت في منتصف الليل مذعورة من فكرة أنك حامل، أيقظيني. سأكون هنا».

- «حسناً. شكراً لك».

حشرت شارلمان نفسها بيني وبين غابي، فتساءلت ما إذا كان مقدراً لنا أن نكون معاً، أنا وغابي وشارلمان.

- «لقد تحدثت مع مارك عن موعد إنجابنا لطفل».

- «واو، حقاً؟».

رغم أنني حامل بطفل، إلا أنني لا أفهم كيف يتخذ الناس قرار إنجابهم للأطفال.

- «نعم، ربما نقوم بذلك قريباً. يمكنني أن أستعجل الحمل

حتى يكون طفلي وطفلك بنفس العمر».

- «سنجعلهما يصبحان أقرب صديقين».

- «أكيد. أو ربما سأهجر مارك ويمكننا تربية طفلك معاً أنا وأنتِ، وبهذه الطريقة لن أحتاج للإنجاب، وسنكون أنا وأنتِ والطفل فقط».

- «مع شارلمان؟».

- «نعم. سنكون ألطف زوجتين مثليتين».

ضحكت.

قالت: «لكن المشكلة الوحيدة هي أنني لا أشعر بالانجذاب نحوكِ».

- «شعور متبادل».

- «ولكن تخيلي ذلك فحسب. سيتربى هذا الطفل تحت عيني زوجتين مثليتين من عرقين مختلفين. لا بد أنه سيحصل على القبول في كل المدارس الجيدة».

- «يا له من نسب!».

- «لطالما قلت إن القدر أخطأ بأن جعلنا نساء مستقيمات».

ضحكت وصححت كلامها: «أنا أحاول أن أؤمن بأن القدر لا يخطئ أبداً».

25

تحقق هنري من بعض الأمور في ملقي ثم وضعه جانباً .
- «تقول الدكتورة ونترز أنه يمكنك تجربة الجلوس على المقعد المتحرك» . كان يتكلم بحذر كما لو أننا نفعل شيئاً ممنوعاً .
- «الآن؟ أنا وأنت؟» .

«لا تستطيع الممرضات حمل الأثقال مثلما أستطيع أنا . لذلك أنا من سيحملك ليضعك على الكرسي» .
- «ليس بالضرورة، قد تحمل كل من تلك الممرضات الأثقال مثلك، لكنك لا تعلم لأنك لم تسألهن قط» .
- «حسناً، بغض النظر عمن يستطيع حمل ماذا، أنا من سيحملك، ولكن قبل أن أفعل ذلك، علينا أن نناقش بعض الأمور» .
- «أوه، حسناً، تفضل» .

قال إنني قد أتألم، وإنني سأعود على الأمر شيئاً فشيئاً، وإنني سأكتفي في البداية بالجلوس على الكرسي والتحرك فيه في الأرجاء قليلاً، وإن مجرد الانتقال إلى الكرسي قد يرهقني في بادئ الأمر . ثم بدأ هنري بنزع بعض الأجهزة التي أصبحت أشعر بها وكأنها

ذراعي الثالثة أو الرابعة. وأخبرني أن المحلول الوريدي سيبقى موصولاً بي أينما ذهبنا في المستشفى.

ما إن أصبح كل شيء جاهزاً حتى سألني: «هل تشعرين بأنك مستعدة؟».

- «قدر الإمكان».

استبدّ بي الخوف. ماذا لو تألمت؟ ماذا لو لم ينجح الأمر؟ ماذا لو اضطررت للبقاء في هذا السرير لبقية حياتي، ولم أتمكن من التحرك أبداً، وعشت هكذا ما حييت؟ ماذا لو ظلّت وجباتي حلوى الجيلي الخالية من السكر والدجاج الجاف؟ ماذا لو ظللت مستلقية هنا بثوب المستشفى الذي لا يُغلق من الخلف لبقية حياتي؟ يا إلهي، يا إلهي. هذا الثوب لا يُغلق من الخلف.

سيرى هنري مؤخرتي.

سألته وهو يتجه نحوي: «سترى مؤخرتي، أليس كذلك؟».

يُحسب له أنه لم يضحك من كلامي.

- «لن أنظر إليها».

جواب غير كافٍ.

- «أنا ممرض محترف يا هانا. أحسنني الظن بي قليلاً. لن

أختلس النظر لمجرد الاستمتاع بوقتي».

لم أتمالك نفسي من الضحك عندما أدركت أنه ليس لي خيار على الإطلاق إذا كنت أريد مغادرة هذا السرير.

- «موافقة؟».

- «موافقة».

أمسك بساقيّ وأدارني . دنوت منه ببطء ثم نهض واقترب مني أكثر ووضع ذراعاً حول ظهري والأخرى تحت ساقيّ .

صاح : «واحد» .

قلت معه : «اثنان» .

قلنا معاً وهو يرفعني : «ثلاثة!» .

وخلال ثوانٍ، وجدت نفسي على الكرسي المتحرك .

أنا على كرسي متحرك .

قام أحدهم بحملي ليضعني على كرسي متحرك للتو .

كنت سأنجب طفلاً، ولكنه مات .

- «هل أنت بخير؟» .

- «نعم»، قلت وأنا أهزّ رأسي لأطرد الأفكار السوداء من

ذهني . «نعم! أنا متحمسة في الحقيقة! إلى أين سنذهب؟» .

- «لن نذهب بعيداً . ما نريده اليوم هو أن تترتاحي للجلوس على

الكرسي وتعتادي عليه . سنكتفي بالتحرك قليلاً في أنحاء الغرفة» .

التفت ونظرت إليه : «أوه، بحقك . أريد الخروج من هذه

الغرفة . لقد قضيت حاجتي في آنية بجانب السرير لأيام، وأودّ رؤية

شيء آخر» .

نظر إلى ساعته : «يجب أن أطمئن على المرضى الآخرين» .

تفهمت ذلك . لديه عمل ليقوم به ، وأنا جزء منه فقط .

- «حسناً، أخبرني كيف أحرّكه إذاً» .

راح يوضّح لي كيفية تحريك العجلات وكيفية التوقف . تجولنا

في الغرفة . اندفعت بقوة حتى ارتطمت بالحائط، فركض هنري

نحوي وأمسك بي .

- «مهلاً، مهلاً».

- «آسفة. خرج عن سيطرتي».

- «نعرف الآن أنك لن تصبحي سائقة سباقات».

- «لقد تخليت عن هذه الفكرة عندما صدمتني سيارة».

كان بإمكان هنري أن يشعر بالأسف عليّ في هذه اللحظة، ولكنه لم يفعل. أعجبني ذلك. أعجبني كثيراً.

- «حسناً، لن تصبحي قائدة طائرة أيضاً. أم أنك تخليت عن هذه الفكرة أيضاً لأن صدمتك طائرة؟».

نظرت إليه بحنق: «هل تتحدث مع كل مرضاك بهذه الطريقة؟». ها هو ذا. السؤال الذي روادني على مدى أيام. طرحته عليه كما لو أنني لا أكثرث لإجابته إطلاقاً.

- «مع المشاغبين منهم فقط».

ثم انحنى وأمسك بمسند الكرسي المتحرك. أصبح وجهه مقابل وجهي وقريب منه لدرجة أنني أستطيع رؤية مسام وجهه والنقط الذهبية في عينيه. لو كان رجلاً آخر في موقف آخر، لظننت أنه سيقبلني.

ابتسم بخبث: «لو تحركت بالكرسي خارج هذه الغرفة، فأنا متأكد أن الأمر ساستغرق مني دقيقة واحدة كي ألحق بك وأعيدك إليها».

رفع ذراعيه ببطء عن مسندي الكرسي وأفسح لي الطريق.

لم أنظر إلى الباب، بل إليه.

- «إذا صادف وتدحرجت في هذا الاتجاه واندفعت مباشرة نحو

الردهة...».

- «قد لا ألاحظ ذلك إلا بعد أن تكوني قد تنفست بعض الهواء المنعش هناك».
- «لا بأس بهذا إذا؟».
- نظرت إليه وتوجهت نحو الباب.
- ضحك: «نعم، لا بأس».
- «وإذا وصلت للعتبة؟».
- هز كتفيه: «سنرى ما سيحدث».
- واصلت دحرجة نفسي إلى الأمام حتى تعبت ذراعاي.
- «ماذا لو تجاوزتها؟».
- ضحك: «ماذا لو تصرفين بصرك عني وتنظري إلى طريقك؟».
- لم يكذبُني كلامه حتى اصطدمت إحدى عجلاتي بإطار الباب.
- «أوه».
- تراجعت للخلف وغيّرت مساري، ثم دحرجت عجلاتي لأخرج إلى الردهة.
- كانت أشد ازدحاماً مما كنت أعتقد، وعدد مراكز الممرضين والممرضات أكثر بكثير مما كنت ألتحق من غرفتي. وأنا متأكدة أن الهواء هنا هو نفسه الذي أتنفسه في غرفتي، ولكنه بدا مُنعشاً أكثر هنا. كما كان شكل الردهة عادياً ومألوفاً أكثر مما تخيلته وأنا على سريرى. الأرضية تحت عجلاتي نظيفة جداً والجدران على الجانبين مطلية بلون حنطي مريح للعينين. ولكن بشكل ما، خُيّل لي أنني هبطت على المريح، إذ شعرت بغربة شديدة للحظة.
- سحب هنري مقابض الكرسي من خلفي: «حسناً أيها المستكشف ماجلان. تكفي الاستكشافات لهذا اليوم».

شكرته ونحن ندخل من الباب عائدين إلى غرفتي .

أوماً لي : « لا عليك » .

ثم دفعني نحو سريري .

- « هل أنت مستعدة ؟ » .

أومات وتهيات . أعلم أنني سأتألم حين سيحملني وحين

سيضعني على السرير .

- « هيا ابدأ » .

وضع ذراعيه تحت ساقَيَّ وطلب مني أن أحيط عنقه بكلتا

ذراعيَّ وأن أتشبث به بقوة . مال نحوي ووضع ذراعه الأخرى حول

ظهري . لامس ذقنه جبيني فشعرت بلحيته الخفيفة .

بعد أن وصلت إلى سريري بخبطة خفيفة ، ساعدني على مد

رجليَّ ثم وضع بطانية فوقي .

- « كيف تشعرين ؟ » .

- « أنا بخير ، جيدة » .

الحقيقة أنني كنت على وشك البكاء . لا أريد العودة إلى هذا

السرير . أريد أن أقف وأتحرك وأعيش حياتي وأعمل وأرى العالم .

لقد جربت متعة الخروج إلى الردهة ، ولا أريد العودة إلى هذا

السرير .

- « جيد . أظن أن ديانا ستستلم المناوبة التالية بعد ساعة تقريباً .

ستأتي لتطمئن عليك . سأخبر الدكتورة ونترز بأن الأمور سارت على

ما يرام اليوم . أنا متأكد أنهم سيحولونك لتلقي جلسات العلاج

الطبيعي في أقرب وقت . استمري على هذا النحو » .

أعلم أن قول ممرض لمریضة «استمري على هذا النحو» أمرٌ طبيعي، أعلم ذلك. وأظن أن هذا ما يُضايقني في الأمر.

وصل هنري إلى الباب متوجهاً إلى الردهة.

قلت له: «شكراً لك».

- «العفو. أراك الليلة».

بدا وكأنه شعر بالتوتر فجأة.

- «أعني... إذا كنت مستيقظة».

ابتسمت: «أعلم ما تعنيه».

لا يسعني سوى أن أشعر بأنه يتطلع للقائي. قد أكون مخطئة، ولكنني لا أظن ذلك.

- «أراك الليلة».

ابتسم لي، ثم اختفى من أمامي.

كنت متوترة لدرجة أنني لم أستطع الجلوس بسكينة وهدوء، إلا أن الجلوس كان كل ما أستطيع فعله. قمت بتشغيل التلفاز وجلست أنتظر حدوث شيء مثير للاهتمام، ولكن لم يحدث شيء.

أتت ديانا بضع مرات للاطمئنان عني، وعدا ذلك، لم يحدث شيء يُذكر.

المستشفى مكان مُمل، ومُمل، ومُمل، وهادئ، ومُعقَّم، ومُمل. أطفال التلفاز واستلقيات على جانبي قدر استطاعتي، وحاولت أن أخلد إلى النوم.

لم أستيقظ إلا عندما أت غابي في حوالي السادسة والنصف وهي تحمل البيتزا في يد ومجموعة من المجلات الأمريكية في اليد الأخرى.

- «صوت شخيرك عالٍ جداً. أقسم أنني سمعته من آخر الردهة».

- «أوه، اصمتي. لقد شبّهك هنري بالجرافة عندما نمتِ هنا في تلك الليلة».

نظرت إليّ ووضعت البيئزا والمجلات على الطاولة.

- «من هو هنري؟».

- «المرض الليلي. إنه ليس شخصاً مهماً».

في الحقيقة، أدركت أن وصفني إياه بغير المهم جعله يبدو مهماً. رفعت غابي حاجبيها بوجهي.

قلت بصوت محايد: «صدقاً، إنه المرض الليلي فحسب».

- «حسناً...».

انحنيت إلى الأمام وأخفيت وجهي المحمر خجلاً بين يديّ، ثم رفعت بصري إليها.

- «أوه، أشعر بإعجاب شديد ومخرج ومؤلم بمرضي الليلي».

أنا حامل في الأسبوع الحادي عشر. الطفل بصحة جيدة، وكل شيء يبدو على ما يرام. أكدت لي طبيبتي تيريزا ونثروب أنني لستُ أول امرأة بلغت الثلث الأول قبل أن تعلم بحملها. شعرت بالارتياح قليلاً لسماحي ذلك.

أوقفتني غابي في طريقنا نحو السيارة: «ما هو شعورك حيال كل هذا؟ تعلمين أنك لست مضطرة على الاحتفاظ بالطفل. أنت في الأسبوع الحادي عشر وهي مرحلة مبكرة».

لم تقل لي غابي شيئاً لم أكن أعرفه. كنت طوال حياتي مؤيدة للحق في الإجهاض وأؤمن بقوة بالحق في الاختيار. وربما لو لم أكن أعتقد أن بإمكانني توفير منزل وحياة كريمة لطفلي، لكنت اخترت الإجهاض. لا أعلم. لا يمكننا أن نقول ما كنا سنفعله في مواقف مختلفة، يمكننا فقط أن نعلم ما سنفعله في المواقف التي نواجهها.

قلت لها: «أعلم أنني لست مضطرة على الاحتفاظ بالطفل، ولكن هذا ما اخترته».

ابتسمت رغماً عنها.

- «أمامنا بعض الوقت قبل أن أعود إلى المكتب. هل يمكن أن أدعوك إلى الغداء؟».
- «لا داعي لذلك. عليّ أن أعود قبل أن تتبول شارلمان في جميع أرجاء منزلك».
- «لا بأس بذلك. بالمناسبة، لم يقل مارك شيئاً هذا الصباح بخصوص الشعور بالحساسية. أنا متأكدة أنها حالة نفسية. وأخطط بالفعل بإقناعه بأن تسكني أنت وشارلمان معنا. في الواقع، نحن بالقرب من مكتبه. هل نزوره ونفاجئه بوجبة غداء كبداية لحملة الإقناع؟ أريد أن أرى النظرة التي ستعلو وجهه حين تخبرينه أين كنا هذا الصباح».
- «أنا حقاً قلقة من إفساد كلتي لمنزلك».
- «ما الفائدة من امتلاك منزلٍ إن لم تسمححي ببعض الحماقات؟».
- «حسناً، ولكن لا تأتي باكية حين تلتطح أرضيتك الخشبية».
- ركبنا السيارة ومررنا ببضعة مباني سكنية فقط قبل أن تدخل غابي موقف سيارات تحت الأرض وتركن السيارة هناك. لم أرَ مكتب مارك من قبل، وخطر لي أيضاً أنني لم أرَ طيب أسنان منذ فترة.
- قلت: «أتعلمين، بما أننا هنا، سأحجز موعداً لتنظيف أسناني».
- ضحكت غابي ونحن ندخل المصعد. ضغطت زر الطابق الخامس ولكن المصعد لم يتحرك. ثم أغلق الباب وانتهى بنا الأمر بطريقة ما إلى النزول إلى أدنى مستوى في المرآب. فُتح الباب على امرأة عجوز استغرقت دهماً للدخول.

ابتسمنا في وجهها بأدب، ثم طلبت غابي الطابق الخامس مجدداً، فأضاء زر الطابق الخامس بلون برتقالي ناصع هذه المرة. سألت غابي العجوز: «أي طابق تريدین؟».

- «الثالث من فضلك».

توجهنا إلى الأعلى وفُتح الباب مجدداً عند الطابق المطلوب. قلبت غابي عينيها.

همست لي: «لو كنت أعلم أننا سنتوقف عشر مرات في المصعد لا اقترحت عليك أن نتناول الطعام أولاً».

ضحكت.

ها هو ذا مارك.

يقبل امرأة شقراء ترتدي تنورة ضيقة.

غادرت غابي حوالي الساعة العاشرة ليلاً لتعود إلى منزلها وزوجها. لم أرَ مارك منذ أن دخلت المستشفى ولم أجد غرابة في الأمر لأن علاقتنا لم تكن قوية يوماً، ولكن ما بدا غريباً هو أن غابي غالباً ما كانت تأتي إلى هنا في الليل أو خلال استراحات الغداء، لكن لم يأت مارك لزيارتي ولو مرة واحدة. كانت غابي تقول دائماً إنه يعمل لوقت متأخر جداً. كما أنه كان سيسافر لحضور مؤتمر لطب الأسنان في أنهايم نهاية الأسبوع. لا أعرف الكثير عن حياة أطباء الأسنان، لكن لطالما اعتقدت أن عملهم يسمح لهم بالعودة إلى منازلهم بحلول موعد العشاء. لكن من الواضح أن هذا ليس الحال مع مارك. على أية حال، فإن كثرة انشغاله تعود عليّ بالفائدة لأن غابي تقضي وقتها معي، وهو كل ما أرغب به حقاً.

منذ أن غادرت وأنا أقرأ المجلات التي أحضرتها لي. تعجبني هذه المجلات أكثر بكثير من المجلات البريطانية. هذا جيد لأنني قضيت معظم اليوم نائمة ولن أشعر بالتعب لبعض الوقت. دخل هنري الغرفة وهو يدفع كرسيّاً متحركاً.

- «كنت أعلم أنك ستكونين مستيقظة».

- «ظننت أنك ستأخذ إجازة هذه الليلة».

هز رأسه بالنفي: «لقد عدت إلى المنزل هذا الصباح ونمت ثماني ساعات، ثم تناولت بعض الطعام، وشاهدت بعض البرامج، وعدت إلى المستشفى قبل قليل».

- «أوه».

- «وتفقدت جميع المرضى الآخرين. وجميعهم نائمون، لذلك لن يحتاجوا إلى مساعدتي».

- «إذاً... سنبدأ درساً آخر؟».

- «أفضل أن أسميها مغامرات».

بدت في عينيه نظرة جامحة كما لو أننا سنفعل شيئاً لا يُفترض بنا فعله. كل ما كنت أفعله مؤخراً هو ملازمة الفراش، لذا فكرة فعل شيء لا يُفترض بنا فعله بدت مثيرة للغاية.

- «حسناً! دعنا نقوم بذلك. ماذا يجب عليّ أن أفعل؟».

أنزل حاجز سريري وحرك ساقِيّ. قمنا بنفس الحركات التي قمنا بها هذا الصباح، ولكن بشكلٍ أسرع وأسهل وأكثر خبرة، فأصبحت على الكرسي خلال بضع ثوانٍ.

نظرت إلى الأسفل، ساقاي أمامي، على الكرسي. أمسك هنري ببطانيتي ووضعها في حضني.

قال: «في حال شعرت بالبرد».

- «وكي لا أكشف جسدي لأحد».

- «حسناً، وهذا أيضاً، ولكنني لم أرغب بقول ذلك».

وقف خلفي وثبتت كيس المورفين بالكروسي، ثم دفعني إلى الأمام.

سألت: «إلى أين سنذهب؟».

- «أينما نريد».

خرجنا إلى الردهة.

- «إلى أين تريدان التوجه أولاً؟».

- «الكافتيريا؟».

- «هل ترغبين حقاً بالمزيد من طعام الكافتيريا؟».

- «معك حقك. ماذا عن آلة البيع؟».

أوماً لي موافقاً وتوجهنا إليها.

أنا خارج غرفتي! أنا أتحرك!

كان بعض الأطباء والممرضات يقفون خارج غرفة أو اثنتين، ولكن في العموم، كانت الممرات فارغة وهادئة باستثناء الصوت المنتظم الذي يصدر من الآلات الطبية.

لكنني أشعر كما لو أنني منطلقة رأساً على عقب على طريق سريع في كاليفورنيا في سيارة مكشوفة.

قلت ونحن نشق طريقنا حول إحدى زوايا المستشفى العديدة:

- «ما هو فيلمك المفضل؟».

قال بثقة: «العرباب».

- «إجابتك مملّة».

- «ماذا؟ لماذا؟».

- «لأنها متوقعة، كل الناس يحبّون العرباب».

- «حسناً، آسف، ولكن لا يمكنني أن أُحب فيلماً آخر لمجرد أن الجميع يحبون الفيلم الذي أحبه».
- التفت لأنظر إليه، فقابلني بتعبير ساخر على وجهه.
- «للناس فيما يعشقون مذاهب».
- «أظن ذلك. وأنتِ؟».
- «ليس لدي فيلم مفضل».
- ضحك: «لا يمكنك أن تدفعيني لاختيار فيلم مفضل إذا لم يكن لديك واحد».
- «لم لا؟ إنه سؤال منصف. كل ما في الأمر أنني لا أملك جواباً له».
- «اختاري فيلماً وحسب. فيلماً يعجبك».
- «هذه هي المشكلة، فجوابي يتغير باستمرار. أحياناً أختار الأميرة العروس، ثم أقول لا، حكاية لعبة هو فيلمي المفضل على الإطلاق، ثم في أوقات أخرى تصبح لدي قناعة أن لا فيلم بروعة ضائع في الترجمة. لذلك لا يمكنني أن أقرر أبداً».
- «أنتِ تفكرين أكثر من اللازم، هذه مشكلتك. تحاولين جاهدة العثور على الجواب المثالي في حين أن أي جواب سيفي بالغرض».
- سألته: «ما الذي تقصده؟».
- وقفنا أمام آلة بيع المشروبات الغازية، ولكنها ليست ما أريده.
- «لحظة، كنت أعني آلة بيع وجبات خفيفة وليس آلة كوكا كولا».

دفعني إلى الأمام: «معذرة أيها الملكة هانا، ملكة الردهات. إذا سألك أحدهم عن فيلمك المفضل، قل لي الأميرة العروس فحسب».

- «ولكن لست متأكدة أحياناً من أنه فيلمي المفضل حقاً».

- «ولكنه سيفي بالغرض، هذا ما أحاول قوله. هذا يذكرني بالمرّة التي سألتك فيها عن نكهة حلوى البودينغ المفضّلة لديك، وقمت بتسمية النكهات الثلاث دفعة واحدة. اختاري نكهة فحسب. لست بحاجة إلى العثور على الشيء المثالي طوال الوقت. اكتفي بالعثور على شيء واحد يفني بالغرض، ولو أنك فعلت، لكنّا نتحدث عن ألواننا المفضلة الآن».

- «لونك المفضل هو الأزرق الداكن».

- «صحيح، ولكنك عرفت ذلك من لون ملابسك الطبية، لذلك لا تقنعيني بأن لديك القدرة على التخاطر».

- «ما هو لوني المفضل؟».

وقعت عيناى على آلة بيع في نهاية الردهة. تمنيت أن يكون لدى هنري بعض النقود أيضاً لأنني لم أحضر معي شيئاً.

- «لا أعلم، ولكنني أراهن بأنه ليس لوناً واحداً، بل لونين».

قلّبت عينيّ رغم أنه لا يستطيع رؤيتي. إنه على حق، وهذا ما أزعجني في الأمر.

- «بنفسجي وأصفر».

قال بصوت ممازح: «دعيني أحمّن، يعجبك الأصفر أحياناً، ولكن عندما ترين البنفسجي يخيل إليك أنه لونك المفضل».

- «أوه، أصمت، كلاهما لوان جميلان».

قال عندما وصلنا إلى الآلة: «أيُّ منهما يكفي».

سحب دولاراً من جيبه.

- «لدي دولار واحد. سنضطر لتشاركه».

مازحته: «يا لك من حبيب تُرجى مواعده»، وتمنيت على الفور لو أستطيع سحب كلامي.

ضحك ولم يلق بالآء.

- «ما الذي ستختارينه؟».

نظرت إلى الآلة. هنالك حلويات وموالح وشوكولاتة وزبدة الفول السوداني وبريتزل وفول سوداني. أنا في حيرة. نظرت للوراء إليه.

- «ستغضب مني».

ضحك: «يتعين عليك اختيار شيء واحد فقط، كل ما لدي هو دولار واحد».

نظرت إلى كل الخيارات أمامي. أراهن أن هنري يحب الأوريو، كل الناس يحبون الأوريو، كل الناس بالمعنى الحرفي للكلمة.

- «أوريو».

- «سيكون أوريو إذاً».

وضع الدولار في فتحة الآلة وضغط الأزرار، فسقط الأوريو أمامي عند مستوى جلوسي تماماً. التقطته من الدرج وفتحت الكيس، ثم أعطيته قطعة.

- «شكراً لك».

- «بل شكراً لك أنت، فأنت من دفع ثمنها».

أخذ قضمة منها، وأكلتُ كل ما تبقى.

قال: «ليست هناك طريقة خاطئة لتناول الأوريو».

صححت له: «هذا صحيح بالنسبة لحلوى الريسر. ليست هناك

طريقة خاطئة لتناول الريسر. أوه، كان ينبغي علينا شراء الريسر!».

أخرج دولاراً آخر من جيبه وأدخله في فتحة الآلة.

- «ماذا؟ ادعيت أن ليس لديك سوى دولار واحد! لقد كذبت

علي!».

ضحك وقال: «أوه اهدئي. كنت سأشتري لك شيئين في

الأساس. أحاول فقط مساعدتك في أن تكوني حاسمة في

قراراتك».

فتحت فمي واسعاً من الغضب ثم ضربته على ذراعه وصحت:

«وغد».

- «مهلاً! لقد اشتريت لك نوعين من الحلوى».

سقطت الريسر في درج الآلة فالتقطتها ومرة أخرى أعطيته قطعة

منها.

- «معك حق، كما أنك أخذتني في رحلة في الردهة وهو أمر

ليس من المفترض أن تفعله ربما».

أخذ قضمة من قطعته: «لا، هو ليس أمراً نُعاقب عليه».

اختفت قطعتي بالكامل. لقد ابتلعته دفعة واحدة.

كنت أريد أن أسأله لماذا يعاملني بلطف بالغ، ولماذا يقضي

الكثير من الوقت معي، ولكنني خفت أن يتوقف عن فعل ذلك إذا

قمت بلفت انتباهه، فالتزمت الصمت واكتفيت بالابتسام له.

- «هل سترافقني في طريق العودة الطويل إلى غرفتي؟».
- «بالطبع، هل تريدان معرفة كم يمكنك دفع نفسك قبل أن تتعب ذراعاك؟».
- «نعم، يبدو هذا رائعاً».
- إن هنري ممرض رائع، ومستمتع مهتم، وهو كل ما أريده في هذا العالم حقاً. أريد أن أحاول إنجاز شيء بنفسني، مع معرفتي أن هناك مَنْ سيكمل الطريق عني حين أعجز عن المتابعة.
- أدار الكرسي إلى الاتجاه الصحيح ووقف خلفي.
- «هيا انطلقني، أنا معك».
- دفعت نفسي ولحق بي.
- دفعت.
- ودفعت.
- ودفعت.
- عبرنا ممرين واسعين، ثم شعرت بالحاجة لأخذ استراحة.
- «سأكمل باقي الطريق عنك».
- أمسك الكرسي من الخلف ودفعني إلى الأمام. وصلنا إلى المصعد وضغط على الزر.
- «أتشعرين بالنعاس؟ هل تريدان العودة؟».
- التفت بقدر استطاعتي لأنظر إليه: «لنقل إنني لا أشعر بالنعاس، ما الذي سنقوم بفعله في هذه الحالة؟».
- ضحك، ثم فتح باب المصعد ودفعني داخله.
- «كان عليّ أن أعرف أنك لن تختاري النوم».
- «لم تجب على سؤالي. ما الذي سنقوم بفعله؟».

تجاهلني للحظة وضغط على زر الطابق الثاني . نزلنا ، وحين
فُتح الباب ، دفعني إلى الخارج وسرنا في ممر طويل .
- «ألن تخبرني حقاً؟» .

ابتسم وهز رأسه ، ثم انعطفنا نحو زاوية وفتح باباً .
شعرت بهواء بارد ونقي يغمرني .

دفعني نحو الخارج . نحن في باحة للتدخين . باحة تدخين
صغيرة وقذرة ومغبرة وجميلة ومنعشة وملئية بالحياة .
أخذت نفساً عميقاً .

سمعت صوت السيارات وهي تسير بالقرب منا ، رأيت أضواء
المدينة ، وملأت أنفي رائحة القطران والمعدن ، ولم تعد تفصلني
نوافذ أو جدران عن العالم النابض بالحياة .
جرت دموعي رغم كل جهودي لمنعها .

شعرت بأن الهواء الذي يدخل ويخرج من رئتي أفضل وأنقى من
كل الهواء الذي كنت أتنفسه منذ أن استيقظت . أغمضت عيني
وأصغيتُ إلى صوت المركبات . عندما انهمرت بعض الدموع على
وجهي ، انحنى هنري بجانبني حتى صار بنفس مستوأي . مرة أخرى ،
كنا وجهاً لوجه .

أخرج منديلاً من جيبه وناولني إياه . وفي هذه اللحظة التي
لامستُ يده يدي والتقت عيناه بعيني ، لم أعد بحاجة للتساؤل عما
كان سيحدث لو أننا التقينا في حفلة عشاء . علمت ما كان سيحدث .
كان سيرافقني إلى البيت .

- «هل أنت مستعدة للعودة إلى غرفتك؟» .

- «نعم» .

قبلت العودة إلى غرفتي لأن كان الوقت قد حان، ولأن لديه عملاً ينجزه، ولأنه ليس من المفترض أن نكون هنا، لا لأنني مستعدة للعودة، أنا لست مستعدة، ولكن بينما كان يدفعني من خلال الباب الذي أغلق من خلفنا، شعرت وللمرة الأولى بالفرح لكوني على قيد الحياة، لدرجة أنني كنت سأكون سعيدة بالذهاب إلى أي مكان.

قلت له أثناء عودتنا: «هل تعلم أنك ممرض رائع؟».
- «آمل ذلك، فأنا أحب عملي. إنه الشيء الوحيد الذي أشعر بأنه قُدر لي أن أمارسه».

وصلنا إلى غرفتي. أوقف الكرسي المتحرك بجوار سريرتي ووضع ذراعيه تحتي.
- «طوّقي عنقي بذراعيك».

فعلت ذلك فرفعني ثم حملني للحظة، بكامل وزني فوق ذراعيه. أصبحت قريبة منه لدرجة أنني أستطيع أن شم رائحة الصابون تنبعث من بشرته وما تبقى من رائحة الشكولاتة في أنفاسه. رموشه أطول وأكثر سواداً وشفته أكثر امتلاء مما كنت أظن. كما ظهرت ندبة خفيفة تحت عينه اليسرى.

وضعني على السرير. أكاد أجزم أنه تعمد أن يبقى ممسكاً بي لأطول مما يحتاج إليه. ربما كانت هذه من أكثر اللحظات رومانسية في حياتي، مع أنني كنت في رداء مستشفى.
لا يمكن التنبؤ بما تخبئه الحياة مطلقاً.

سمعنا صوتاً من الردهة يقول بحزم: «المعذرة».

نظرت أنا وهنري إلى أعلى فرأينا ممرضة تقف في مدخل

غرفتي. إنها أكبر سناً ووجهها مجعد قليلاً. شعرها الفاتح مرفوع للأعلى ومثبت بمشبك على شكل فراشة، ترتدي ملابس طبية باللون الوردي الباهت ومعطف منقوش باللون نفسه.

ابتعد هنري عني فجأة.

قالت الممرضة: «اعتقدت أن إليانور ستغطي نوبتك في النصف الثاني من الليل».

هز رأسه: «أظنك تعنين باتريك. باتريك هو الذي يحتاج إلى من يغطي نوبته حتى الساعة السابعة».

- «حسناً. هل أستطيع التحدث إليك حين ينتهي عملك هنا؟».

- «بالطبع، سأكون هناك حالاً».

أومأت الممرضة برأسها وانصرفت.

تغير سلوك هنري.

قال مودعاً: «ليلة سعيدة».

قلت له قبل أن يخرج من الباب: «شكراً لك، أنا حقاً...».

انصرف دون أن ينظر إليّ قائلاً: «لا شكر على واجب».

مكتبة

t.me/soramnqraa

أَلَقْتُ غَابِي بِمَحْتَوِيَّاتِ الْمَنْزَلِ فِي كُلِّ الْأَرْجَاءِ. أَشْيَاءٌ كَبِيرَةٌ. خَزَفِيَّاتٌ. تَحَطَّمَتْ وَتَهَشَّمَتْ. كَانَتْ شَارْلَمَانُ عِنْدَ قَدَمَيَّ، وَقَفْنَا مَعاً عِنْدَ بَابِ غُرْفَةِ الضِّيُوفِ. كُنْتُ فِي خِضَمِّ الْحَدَثِ بِالرَّغْمِ مِنْ مُحَاوَلَتِي الْإِبْتِعَادَ عَنْهُ.

لَمْ تَعُدْ غَابِي إِلَى عَمَلِهَا. قُدْتُ إِلَى الْمَنْزَلِ بَيْنَمَا كَانَتْ تَنْظُرُ أَمَامَهَا مَبَاشَرَةً شَارِدَةً الذَّهْنَ، وَلَمْ تَتَفَوَّهِ إِلَّا بِبُضْعِ كَلِمَاتٍ طَوَالَ الظَّهِيرَةِ. حَاوَلْتُ طَوَالَ الْوَقْتِ أَنْ أَسْأَلَهَا إِنْ كَانَتْ بِخَيْرٍ وَأَنْ أَقْدِمَ لَهَا بَعْضَ الطَّعَامِ وَالْمَاءِ، وَلَكِنهَا كَانَتْ تَرْفُضُ دَائِماً. جَلَسْتُ جَامِدةً فِي مَكَانِهَا وَلَمْ تَبْدِ اسْتِجَابَةً لِأَيِّ شَيْءٍ طَوَالَ فِتْرَةٍ بَعْدَ الظَّهْرِ.

وَلَكِنهَا فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا مَارِكٌ مِنَ الْبَابِ قَائِلاً: «دَعِينِي أَشْرَحْ لَكَ»، اسْتَعَادَتْ نَشَاطَهَا ثَانِيَةً، وَصَرَخَتْ: «أَنَا لَسْتُ مَهْتَمَةً بِأَيِّ شَيْءٍ سَتَقُولُهُ لِي».

كَانَتْ لَدَيْهِ الْجَرَأَةُ لِيَقُولَ: «بِحَقِّكَ يَا غَابِي، أَنَا أَسْتَحِقُّ فُرْصَةً كِي...».

رَمَتْهُ بِمَجْلَةٍ قَبْلَ أَنْ يُكْمَلَ جَمْلَتُهُ، وَلَمْ أَكُنْ لِأُلُومِهَا حَتَّى أَنْنِي كُنْتُ أَرْغَبُ بِرَمِيهِ بِأَشْيَاءٍ حِينَ نَطَقَ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ الْغَبِيَّةِ. ثُمَّ بَدَأَتْ

ترمي أي شيء وقع تحت يديها. المزيد من المجلات، كتاب كان على الطاولة الصغيرة، جهاز التحكم بالتلفاز الذي انكسر وتطايرت منه البطاريات. عندها هربنا أنا وشارلمان إلى مكان أكثر أماناً.

سأل مارك: «لماذا يوجد كلب هنا؟».

ثم بدأ يحك رسغيه ببطء، دون أن يعي ذلك على ما أظن. قالت غابي: «لا تسأل بشأن الكلبة اللعينة! لقد كانت هنا طوال الليل ولم تلاحظ وجودها حتى. لذا احرص ولا تتحدث عنها، فهمت؟».

- «تكلمي إليّ يا غابي».

- «سحقاً لك».

سألها: «لماذا أتيت إلى مكتبي اليوم؟».

- «أوه، لا بد أنك تمزح! ليس المهم كيف انكشف أمرك لأن المشاكل التي تنتظرك أسوأ بكثير!».

دخلت لحظتها إلى المطبخ وبدأت تكسر الأواني الكبيرة والخزفيات.

ما يرجعنا إلى هنا.

صرخت غابي: «من هي؟».

لم يجبها مارك ولم يستطع النظر إليها.

توقفت لبرهة قصيرة وألقت نظرة على الفوضى المحيطة بها، ثم أرخت كتفيها. وقعت عيناها عليّ وأنا أقف جانباً.

سألت: «ما الذي أفعله؟».

لم يكن سؤالها موجهاً لي أو لمارك، بل للغرفة وللمنزل.

انتهزت الفرصة ومشيت نحوها فوق الشظايا لأضع ذراعي حولها، ثم أقبل مارك نحونا أيضاً.

قلت بقوة وبنبرة صارمة: «لا . إياك أن تلمسها» .

تراجع إلى الورااء .

قالت له غابي حين أمسكت بها: «سترحل من هنا» .

مسحتُ على ظهرها في محاولة لتهدئتها، ولكنها دفعتني بعيداً،

ثم استجمعت قواها وصاحت: «خذ أغراضك وارجل من هنا» .

رد مارك: «هذا منزلي أيضاً . كل ما أطلبه هو بضع دقائق

لنسوي هذا الأمر» .

قالت بصوت قوي وحازم: «اجمع . قذارتك . وارجل» .

غابي قوة لا يستهان بها .

كانت ملامحه توحى أنه مستعد للاستمرار بالشجار، ولكنه

استسلم وتوجّه نحو غرفة النوم .

قلت لها: «ما تفعلينه هو عين الصواب» .

- «أعرف ذلك» .

جلستُ إلى طاولة الطعام، واجمة بلا حراك من جديد .

هرولت شارلمان نحونا، ولكن غابي لمحتها قبل أن أراها .

فصرخت للكلبة: «لا! احذري» .

نهضت وسارت بهدوء نحو شارلمان ثم التقطتها . حملتها بين

ذراعيها ومشت بها فوق الأطباق المكسورة، ثم عادت وجلست إلى

الطاولة وشارلمان في حضنها .

تنقّل مارك بسرعة بين غرف البيت المختلفة ليجمع أمتعته . يغلق

الأبواب بعنف ويتنهد بصوت عالٍ . بدأت أدرك في تلك اللحظة أنني

لم أكن أحبه .

قضينا حوالي خمسة وأربعين دقيقة ونحن على هذا الحال .

يسود المنزل صمت مطبق باستثناء أصوات مغادرة رجل له . بقيت غابي واجمة في مكانها لا تتحرك إلا لتقوم بتعديل وضعية جلوس شارلمان في حضنها . أما أنا فكنت أقف على مقربة منها ، مستعدة لتنفيذ أي شيء يُطلب مني .

أخيراً ، خرج مارك إلى غرفة المعيشة ، حدّقنا به من طاولة غرفة الطعام .

قال : «أنا ذاهب» .

لم ترد عليه غابي بأي كلمة .

وقف ينتظر على أمل حدوث شيء ما ، ولكنها تجاهلته تماماً .

سار نحو الباب الأمامي وقفزت شارلمان على الأرض .

صرخت : «لا يا شارلمان» .

رددتها مرتين حتى توقفت أخيراً .

نظر مارك إليها ، متسائلاً عن سبب وجود كلبة اسمها شارلمان في المنزل ، ولكنه يعلم أنه لن يحصل على أي أجوبة .

فتح الباب الأمامي ، وفي اللحظة التي كاد يغادر فيها صرخت غابي .

- «منذ متى وأنت تخونني؟» .

كان صوتها قوياً وواضحاً ، لا تردد ولا انقطاع فيه ، كما أن عينيها لم تدمعان . كانت مسيطرة على نفسها تماماً ، في تلك اللحظة على الأقل .

نظر إليها وهزّ رأسه ، ثم نظر إلى السقف وعيناه مليئتان بالدموع ، مسحها واستنشق ليحبسها .

- «لا يهم ذلك» .

كان صوته قوياً هو الآخر، ولكن الخجل واضح فيه.

- «سألتك منذ متى وأنت تخونني؟».

- «غابي لا تفعلني هذا...».

- «منذ متى؟».

نظر مارك إلى قدميه ثم إليها وقال: «منذ ما يقارب العام».

- «يمكنك الذهاب».

استدار ثم خرج. نهضت غابي وتوجهت إلى النافذة لتشاهده وهو يغادر.

حين رحل أخيراً، التفتت نحوي.

- «أنا آسفة جداً يا غابي. أنا آسفة جداً. إنه حقير».

نظرت إليّ غابي: «لقد عاشرت زوج إحداهن».

ليست غابي بحاجة أن تستلخص أي استنتاجات مباشرة من هذا. ليست بحاجة أن تصرح علانية بما أعلم أنه يدور في خلدها.

قلت متحملة مسؤولية أخطائي، ويغمرني شعور شديد بالخجل: «صحيح، وقد كان ذلك خطأً فعلاً مثلما كانت فعلته هذه خطأً».

قالت: «ولكنني قلت لك إن هذا لا يعني أنك شخص سيئ، قلت لك إنك ما زلت شخصاً رائعاً وجميلاً».

أومأت برأسي: «نعم، قلت ذلك».

- «وأنت فعلت هذا بإحداهن».

أردت أن أدّعي أن الوضع مختلف. أردت أن أقول إن ما فعلته مع مايكل لا يُقَارَن بما فعلته تلك المرأة مع مارك. أردت أن أختبئ مجدداً وراء حقيقة أنني لم أكن أعلم. ولكنني كنت أعلم. وما فعلته لم يكن مختلفاً عن هذا بشيء.

لقد عاشرت زوج إحداهن . وما كان عليّ أن أفعل ذلك، والآن سأنجب طفلاً من ذلك الرجل، وسأقوم بتربيته .

إن التظاهر بأن هذا الطفل ليس نتيجة خطأ ارتكبته لن يجعل الأمر أقل سوءاً . وأعلم الآن أنه يجب عليّ أن أواجه الأمور وأعترف بها لكي أتمكن من تخطيها .

- «نعم، لقد اقترفتُ فعلاً شنيعاً، مثلما اقترف مارك وتلك المرأة فعلاً شنيعاً بحقك» .

نظرت إليّ غابي . سحبتها نحو الأريكة حيث جلسنا معاً .

- «لقد ارتكبت خطأً، وحين فعلتُ ذلك، رأيتُ أنني ما زلت إنسانة طيبة واحتفظتُ بحكمك عليّ لأنك تؤمنين بي . إيمانك بي كان هدية رائعة . لقد جعلني أؤمن بنفسي وأسعى إلى تغيير الأشياء التي كنت بحاجة إلى تغييرها . لكنك لست مضطرة على فعل الشيء نفسه معهما . يمكنك أن تكرهيهما وحسب» .

أقسم بأنها كادت تبسم .

- «يمكن لكلينا أن نكرههما طالما نحتاج إلى ذلك، وحين يأتي يوم نشعر فيه أننا أصبحنا أقوى، سنسامحهما على الأرجح، كشخصين يفتقران للكمال وقاما بفعلٍ شنيع . أراهن بأننا في يوم أقرب مما تتخيلين، سيصل بنا الحال إلى أن نتمنى لهما كل الخير ولا نفكر فيهما حتى، وذلك لأننا سنكون قد مضينا في حياتنا . ولكنك لست مضطرة إلى تصديق هذا الآن . يمكنك الآن أن تكرهيه وحسب، ويمكن لي أن أكرهه على ما فعله بك . وقد يتغير يوماً، ويصبح شخصاً اقترف خطأً في الماضي لن يكرره أبداً» .

نظرتُ إليّ .

واصلت: «أو قد يبقى حقيراً إلى الأبد، ومن الأفضل أن تكوني بعيدة عنه قدر الإمكان. هذه نظرية أيضاً».

ابتسمت ابتسامة سريعة جداً وصغيرة جداً جعلتني أتساءل إذا ما كنت قد رأيتها حقاً.

قالت أخيراً: «أنا آسفة. لم يكن عليّ إقحامك في هذا الأمر. أنا فقط... أنا آسفة».

- «لا تفكري بالأمر».

وضعت غابي يديها على وجهها وأخذت تبكي، ثم ارتمت بين ذراعيّ.

- «ليست له حساسية من الكلاب. لقد رغبت بتربية كلب منذ سنوات ولكنني لم أتمكن من ذلك بسببه. أقسم بأنه يتخيل ذلك فحسب. أراهنك بأنه لا يتحسس منها البتة».

- «أصبح لديك كلبة الآن. هنالك جانب إيجابي إذاً. لماذا لا نجلس هنا ونفكر في الإيجابيات؟ ما هي الإيجابيات الأخرى؟ هل كان ينسى إخراج القمامة؟ هل كان يترك منشفته المبللة على السرير؟».

نظرت إليّ: «عضوه صغير».

ثم راحت تضحك.

- «أوه، من الجيد الاعتراف بذلك. لم أعد مضطرة للتظاهر بأن كل شيء على ما يرام».

رحت أضحك معها: «لم أتوقع أن يذهب الحديث في هذا الاتجاه، ولكن لا بأس! هذه بداية جيدة».

ضحكت غابي ضحكة مجلجلة: «أوه، رباه. هانا، المرة

الأولى التي رأيته فيها، فكرت في نفسي، أين بقيته، لم أصدق ما رأيته».

ضحكتُ لدرجة أصبح من الصعب عليّ التقاط أنفاسي .
- «أنت تختلقين ذلك» .

رفعت يديها في الهواء عالياً كما لو أنها تقسم لي : «لا ، لديه عضو صغير جداً حقاً» .

ضحكنا معاً بشدة لدرجة أن الدموع بدأت تنهمر من أعيننا ، وبعد ذلك ، عندما توقفتُ عن الضحك فجأة ، تغير المزاج بنفس الطريقة التي يتحول بها الصيف إلى خريف ، حيث يكون الجو مشمساً يوماً ثم يتغير فجأة .

وضعت رأسها على صدري : «أوه ، يا هانا» .

جلست شارلمان عند أقدامنا .

مسحت على ظهرها : «لا بأس . سيكون كل شيء على ما يرام» .

قالت وهي تدفن رأسها في صدري : «لست واثقة من صحة ذلك» .

- «بل هو كذلك . إنه صحيح» .

رفعتُ رأسها ونظرت إليّ بعينين محمرتين ولا معتين ووجه منتفخ وظهر عليها اليأس والتعب . لم أرها هكذا قط . سبق لغابي أنها رأتني هكذا ولكني لم أرها هكذا قط .

- «أعلم أن كل شيء سيكون على ما يرام لأنك غابرييل جانيت هدسون . أنت لا تُقهرين . أنت أقوى امرأة عرفتُها في حياتي» .

- «أقوى شخص» .

لم أكن متأكدة أنني سمعتها جيداً : «هاه؟» .

قالت وهي تمسح عينيها: «أنا أقوى شخص تعرفينه. الجنس غير ذي صلة».

إنها محقة تماماً. إنها أقوى شخص عرفته حقاً، وجنسها غير ذي صلة.

- «أنت محقة. وهذا سبب آخر يثبت أنك ستتخطين هذه المنحة».

بدأت تنتحب وتتنفس بقوة.

- «ربما كان لديه سبب وجيه، أو أن هناك شيئاً أسأت فهمه». كنت أريد أن أقول لها إنها قد تكون محقة، وإنه قد يكون هنالك معلومات ما تجعل كل ما حدث يبدو أقل قبحاً. أريد أن أقول لها ذلك لأنني أريدها أن تكون سعيدة، ولكنني أعلم أيضاً أن هذا ليس صحيحاً، وأن قول الحقيقة مهما كانت بشاعتها هو جزء من حبك لشخص ما، وجزء من كونك شخصاً جديراً بثقته.

- «إنه يخونك منذ قرابة العام. فعلته ليست مجرد نزوة عابرة أو نتيجة لفكر مشوش».

نظرت إلي وبدأت بالبكاء مجدداً: «هل انتهى زواجي إذا؟». - «الأمر متروك لك. سيتعين عليك أن تقرري ما يمكنك التسامح به وما يمكنك التعايش معه. لماذا لا تحاولين الاسترخاء قليلاً بينما أحضر لك العشاء؟».

- «لا. لا أستطيع تناول الطعام».

- «حسناً، ما الذي يمكنني فعله لأجلك؟».

- «اجلسي هنا وحسب. اجلسي بجانبني وحسب».

- «حسناً».

- «وشارلمان أيضاً».

نهضت وحملت شارلمان وجلسنا نحن الثلاثة على الأريكة.

- «زوجي يخونني وأنتِ حامل من رجل متزوج».

أغمضتُ عينيَّ لأستوعب الوضع.

قالت: «الحياة قاسية».

- «نعم، أحياناً تكون كذلك».

لزمنا الصمت.

بدأت بالبكاء مجدداً: «هذا مؤلم. مؤلم للغاية. أشعر بالألم

في أعماق روحي».

- «أعلم. أنا وأنتِ فريق واحد، أليس كذلك؟ أياً كان ما

تواجهينه في حياتك، سأواجهه معك. وكل ما كنتِ مستعدةً لتقديمه

لي الليلة الماضية، أنا مستعدة لتقديمه لك اليوم، فاعتمدي عليّ،

اتفقنا؟ دعينا نتخطى هذا معاً. اتكئي عليّ، واضغطي على يدي».

نظرت إليّ وابتسمت.

- «حين تشعرين بأنك غير قادرة على تحمل الألم، اضغطي

على يدي».

مددت يدي لها، فأمسكت بها وراحت تبكي مجدداً وهي

تضغط عليها.

قلت في نفسي، إذا استطعتُ، بوجودي إلى جانبها، أن أخفف

ولو جزءاً بسيطاً من الألم الهائل الذي تشعر به غابي، فلربما تكون

هناك غاية لحياتي أهم مما ظننت.

قلت لها: «اقسمي أملك إلى نصفين، وسأحمل نصفه عنك».

جاءت غابي صباح يوم السبت، وقبل أن تطأ قدماها الغرفة حتى، طلبتُ منها أن تتوقف في مكانها. كانت ديانا تقف بجوار سريري.

- «انتظري، انتظري هناك».

ابتسمت ديانا ومدت يديها لي: «هل أنت مستعدة؟».

أومأت لها. ساعدتني ديانا في وضع قدميَّ على الأرض. دفعت بكامل وزني على يديها، وساعدتني على حمل وزني على قدمي. استطعت الوقوف حقاً. صحيح أن أحداً ما ساعدني على ذلك، ولكنني استطعت الوقوف. لقد كنت أتدرب أنا وديانا طوال الصباح. قلت: «حسناً، ينبغي عليّ أن أجلس».

ساعدتني ديانا على الجلوس على السرير من جديد، فشعرت بارتياح كبير.

صفقت غابي مشجعة كما لو أنني طفلة صغيرة: «يا إلهي! انظري إلى ما فعلته! هذا مذهل!».

ابتسمت وضحكت. ربما كانت طاقتي وحماس غابي مُعديين، لأن ديانا بدورها راحت تضحك وتبتسم لنا.

قلت: «هذا لا يُصدق، أليس كذلك؟ أتدرب قدر استطاعتي. قدّمت لي الدكتورة ونترز هذا الصباح بعض النصائح عن كيفية الوقوف بثبات. لا أستطيع التحرك بعد، ولكنني أستطيع الوقوف». وضعت غابي حقيبتها وصاحت: «واو».

توجهت نحونا، وساعدتني ديانا على الاستلقاء على السرير. قالت غابي: «أنا منبهرة جداً. أنت متقدمة على جدولك». قالت ديانا: «سأعود للاطمئنان عنك لاحقاً. أحسنت صنعاً اليوم».

قلت لها وهي تغادر: «شكراً لك». عندما ذهبت، أخبرت غابي بما حدث الليلة الماضية. - «اصطحبني هنري إلى الخارج». - «هل مشيت في الخارج؟». - «لا، كنت أجلس على الكرسي المتحرك. لقد أخذني إلى باحة التدخين». - «أوه».

لم يبدُ ذلك رومانسياً على النحو الذي شعرت به عندما كنت مع هنري. - «أوه، لا عليك. كان ينبغي عليك أن تكوني هناك لتفهمي ما أعنيه».

ضحكت: «حسناً، أنا فخورة بك لأنك تمكنت من الوقوف اليوم». - «أعلم! سأتعافى وأنهض وأتناول طعاماً صلباً أسرع مما تتخيلين».

- «حسناً، لا تفعلني ذلك إن لم أكن موجودة هنا! تعلمين أنني أحب تسجيل هذه الأمور على شريط فيديو».

ضحكت: «كوني ممتنة لأنك لست مضطرة لتغيير حفاظاتي». قلت هذا كدعابة، ولكنها ذكرتني بواقعي في المستشفى، حيث ما زلت غير قادرة على الذهاب إلى المرحاض بنفسني. دعوتها للجلوس: «كيف حالك؟ وكيف حال مارك؟».

- «إنه بخير. نعم».

بدا وكأن شيئاً ما ليس على ما يُرام.

- «ما الخطب؟».

- «لا، لا شيء. إنه يبدو... لا أعلم. أعتقد أن الحادث وكل هذا الجنون، ربما أثرا عليه بشكل ما. إنه يتصرف بلطف واهتمام بالغين، ويحضر لي الزهور، كما أنه اشترى لي عقداً قبل أيام».

راحت تلعب بالعقد الذي ترتديه حول عنقها. إنه سلسلة من الذهب مع ماسة في الوسط.

- «أهذا هو؟».

انحنيت إلى الأمام وأمسكتُ بالماسة.

- «واو. هل هذه ماسة حقيقية؟».

- «نعم. مازحته حين أهداني إياه وسألته، حسناً، ما الخطأ الذي اقترفته؟».

ضحكت: «في البرامج التلفزيونية، دائماً ما يعود الرجل إلى المنزل حاملاً الأزهار والمجوهرات عندما يدعو رئيسه في العمل

لتناول العشاء بمناسبة عيد الشكر دون إخبار زوجته بذلك مسبقاً، أو شيء من هذا القبيل».

ضحكت: «صحيح. أو ربما يخونني. ينبغي عليّ أن أعود إلى المنزل وأنفحص كل ياقات قمصانه بحثاً عن أثر لأحمر الشفاه عليها، أليس كذلك؟».

- «صحيح. إذا كان ما نراه في المسلسلات حقيقياً، وكان يخونك فعلاً، فستجدين أثر أحمر الشفاه واضحاً على ياقته».

ضحكت غابي.

للحظة، أدركت أن كلينا يفكر في حقيقة أنني كنت في أحد الأيام المرأة التي تحذر منها الزوجات، وأنني فقدت طفلاً من رجل متزوج. أتساءل في بعض الأحيان عما إذا كان هذا الحادث بداية لصفحة جديدة لي. وما إذا كان إشارة لي للبدء من جديد والعيش بشكل أفضل.

ثم تساءلت، ما الذي ينبغي عليّ فعله إذا كان بداية لصفحة جديدة حقاً؟

سألتها: «ما الذي تفعلينه هنا إذا؟ لا تمضي وقتك مع صديقتك المُقعدة واذهبي لتمضي وقتك مع زوجك الطيب الرومانسي. لعله يشتري لك الكشمير والشوكولاتة الآن».

- «لا، أفضل أن أبقى هنا وأكون معك الآن. كما أن مارك أخبرني بأنه سيتعين عليه الذهاب إلى عمله اليوم، وأنه لن يكون متفرغاً حتى وقت متأخر من الليل. أعتقد أنه لديهم مشاكل في المحاسبة، أو شيء من هذا القبيل».

- «أليس لديه مدير مكتب أو شخص يقوم بهذه المهام؟».

فكرت غابي في الأمر ملياً .

- «بلى لديه، ولكنه يقول إنه بحاجة إلى المزيد من الوقت لمراجعة أعمالهم. حسناً، ماذا سنفعل اليوم؟ هل أحضر كتاباً لنقرأه معاً؟ أم نشاهد قانون ونظام؟» .

هززت رأسي: «لا، بل سنذهب في مغامرة» .

- «إلى أين سنذهب؟» .

أشرت إلى الكرسي المتحرك القابع في الزاوية: «أينما نريد» .

أحضرت غابي الكرسي، وجررت نفسي إلى حافة السرير .

- «هل يمكنك سحب الحاجز إلى الأسفل؟ هذا هو الزر،

اضغطي عليه فحسب» .

فعلت غابي ما طلبته منها .

- «والآن، حرّكي الكرسي إلى الجانب، فقط لـ... نعم» .

حركت رجليّ خارج السرير .

- «آسفة، شيء أخير. هل يمكنك أن تمسكي بي من خصري؟

يمكنني أن أفعل هذا، ولكنني أحتاج إلى بعض المساعدة» .

أمسكت بي من تحت ذراعي: «هل أنت مستعدة؟» .

- «نعم!» .

وفي الوقت الذي رفعتني فيه غابي، دفعت بنفسي إلى وضعية

الوقوف .

لم يتم الأمر بسلاسة، بل كان مؤلماً ومزعجاً جداً، وانتهى بي

الحال بجلوسي ونصف مؤخرتي مكشوفة، ولكنني على كرسي وقادرة

على التحرك .

أشرت إلى ردائي: «هل يمكنك...» .

- «أوه، صحيح».

قامت غابي بترتيب ملابسها بينما حاولت رفع نفسي قليلاً لأعدّل في جلستي.

- «شكراً، والآن، هل يمكنك أخذ محلولي الوريدي وتعليقه على الكرسي هنا؟».

فعلت ما طلبته منها مجدداً.

سألتها: «مستعدة؟».

- «مستعدة».

وقبل البدء بدفع الكرسي، خطر لي: «أوه، هل معك بعض الدولارات؟».

- «نعم، لدي واحد أو اثنان. لماذا؟ هل سنذهب إلى نادي تعرّ؟».

ضحكت وهي تتناول محفظتها، وخرجنا بعد ذلك.

صادفت ديانا في الردهة فطلبت مني ألا أبتعد كثيراً. توجهنا إلى نهاية الردهة ثم انعطفنا يمينا مثلما فعل هنري الليلة الماضية.

سألت غابي: «ما هو فيلمك المفضل؟».

إذا كان عليّ أن أخمن، فسأقول إن فيلمها المفضل هو عندما التقى هاري بسالي⁽¹⁾.

- «عندما التقى هاري بسالي... لماذا تسألين؟».

- «أنا لا أعرف ما هو فيلمي المفضل».

- «وهل يُعتبر هذا شيئاً مهماً؟ الكثير من الناس ليس لديهم فيلم مفضل».

- «ولكنني لا أستطيع اختيار فيلم واحد حتى من باب تبادل الحديث. لا أستطيع أن أختار фильماً للقول إنه فيلمي المفضل».

- «أتمنى ألا تكوني قد أدركتِ للتو أنك شخص متردد».

ضحكت: «قال هنري إنني لست بحاجة إلى الجواب الصحيح، بل إلى جواب وحسب».

ضحكت غابي: «هنري، هنري، هنري».

وصلنا إلى تقاطع في الردهة وانعطفت بالكرسي نحو اليسار. أنا متأكدة أن آلات البيع تتواجد يساراً.

ضحكت بسخرية وقلت لها: «ولكنه سؤال وجيه».

كنت لا أزال أدفع الكرسي بنفسي في الردهة بما بقي لي من قوة.

- «ماذا تحاولين أن تسأليني؟».

- «هل تظنين حقاً أننا لسنا بحاجة إلى الجواب الصائب بل إلى جواب وحسب؟».

- «بالنسبة إلى فيلمك المفضل، نعم. ولكن في بعض الأحيان، لا يكون هناك سوى جواب واحد. لذلك لا أظن أن هذه مبدأ مطلق».

- «مثل ماذا؟».

- «مثل الشخص الذي ستتزوجين منه على سبيل المثال، هذا أفضل مثال يتبادر إلى الذهن».

- «هل تعتقدين أن كل شخص لا يتناسب إلا مع شخص واحد فقط؟».

- «لا تعتقدين ذلك؟».

الطريقة التي قالت بها ذلك بدت كما لو أنني سألتها: «هل تعتقدين أننا نتنفس الأوكسجين؟».

- «لا أعرف. أعلم أنني كنت أعتقد ذلك في مرحلة ما... ولكنني لست متأكدة الآن».

- «أوه. أعتقد أنني لم أفكر بوجود احتمال آخر من قبل. لطالما افترضت أن الرب أو القدر أو الحياة أو أيّاً كان اسمه هو مَنْ يقودنا نحو الشخص الذي من المفترض أن نكون معه».

- «هل هذا هو شعورك نحو مارك؟».

- «نعم، أظن أن مارك هو الشخص الذي قادني إليه الحياة، وأنه الشخص الوحيد الذي يناسبني. إذا كنت أعتقد أن هنالك شخصاً آخر يناسبني أكثر منه، فلم تزوجه إذّاً؟ أتعلمين ما أعني؟ لقد تزوجه لأنه الشخص المناسب لي».

- «إذّاً، هو توأم روحك؟».

فكرتُ في ذلك ثم قالت: «نعم؟ أعني بالطبع. أعتقد أن بإمكانك أن تعتبره توأم روحي».

- «ماذا لو انتهى بكما الأمر بالطلاق؟».

- «لماذا تقولين شيئاً كهذا؟».

- «هو سؤال افتراضي وحسب. إذا كان هناك شخص واحد مقدّر لكل شخص، فما الذي سيحدث عندما لا يتمكن توأما الروح من إنجاح علاقتهما؟».

قالت لي: «إذا لم يتمكننا من إنجاح علاقتهما، فهذا يعني أنهما ليسا توأمي روح».

فهمت ما تعنيه، وأدركته، وبدأ منطقياً. إذا كنت تؤمن بالقدر،

وإذا كنت تعتقد أن هناك شيئاً ما يدفعك نحو مصيرك، فهذا سيشمل الشخص الذي من المُفترض أن تقضي بقية حياتك معه. فهمت ما تعنيه.

قلت: «ولكن هذا لا يشمل المدن».

- «هاه؟».

- «لست مضطرة للعثور على المدينة المثالية لتعيشي فيها. كل ما عليك فعله هو أن تجدي مدينة تناسبك».

- «صحيح».

- «وبالتالي يمكنني أن أختار مدينة وأكتفي بها وحسب. لست مضطرة أن أجرب جميع المدن حتى أجد واحدة تناسبني».

ضحكت: «لا، ليس عليك فعل ذلك».

- «أعتقد أنني كنت أتنقل من مدينة إلى أخرى ظناً مني أنه ينبغي عليّ أن أجد الحياة المثالية لي، وأنها تنتظرني في مكان ما وعليّ العثور عليها، وأن الأمور هي على هذا النحو».

- «أعلم أنك لطالما كنت تبحثين عن شيء ما، ولطالما افترضت أنك ستعرفين ما هو حين تجدينه».

- «لا أعلم. لقد بدأت أقتنع أن كل ما علينا فعله هو أن نختار مكاناً ونعيش فيه، ونختار وظيفة ونعمل فيها، ونختار شخصاً ونلتزم معه».

- «أظن أنك ما دمت سعيدة وتنعمين بحياة كريمة هادفة، فلا يهم إن بحثت ووجدت الشيء المثالي أو اكتفيتي بما يفي بالغرض».

- «ألا يخيفك ذلك؟ أن تعتقدي أنك ذهبت في الاتجاه الخاطئ؟ وأنت أضعيت على نفسك الحياة التي كانت مقدرة لك؟».

فكرت غابي في كلامي ، فكرت فيه ملياً .

قالت : « لا ، لا يخيفني » .

- « لم لا ؟ » .

- « لا أعلم . ربما لأن الحياة قصيرة ؟ وعلينا التأقلم معها ؟ » .

- « إذاً ، هل ينبغي عليّ أن أنتقل للعيش في لندن أم لا ؟ » .

ابتسمت : « أوه ، أرى ما الذي ترمين إليه بهذا الحديث . إذا

أردت الذهاب إلى لندن ، فعليك فعل ذلك ، هذه هي الإجابة التي

ستحصلين عليها مني . أنا لا أريدك أن تذهبي . أريدك أن تبقي هنا .

وليكن في علمك ، إنها تمطر طوال الوقت هناك » .

ضحكت : « حسناً . كلامك منطقي . على أية حال ، لدينا مشكلة

أكبر من مشكلة لندن » .

- « حقاً ؟ » .

- « لقد تهنا » .

نظرت غابي يميناً وشمالاً ورأت ما رأيته . جميع الممرات تبدو

متشابهة . نحن في مكان لا يعلم به إلا الرب .

سألتنى : « ألسنا بالقرب من آلات البيع ؟ » .

- « لست أدري . ليس لدي أدنى فكرة عن مكاننا » .

أمسكت بمقبضي الكرسي : « حسناً . دعينا نحاول إخراج أنفسنا

من هذا المأزق » .

30

أصرت غابي على الذهاب إلى العمل اليوم. حاولت إقناعها بالبقاء في المنزل كيلا تتعرض للمزيد من الضغوطات، ولكنها قالت إن ذهابها إلى عملها هو الطريقة الوحيدة التي ستجعلها تشعر أن حياتها طبيعية شيئاً ما.

اتصل بي إيثان مرتين البارحة، لكنني لم أعاود الاتصال به. أرسلت له رسالة نصية تخبره بأنني لا أستطيع التحدث معه في الوقت الحالي. خلدت إلى النوم وأنا أعلم أنني سأضطر إلى مواجهته اليوم. أعني، إذا بقيت أتجنبه، فسيعلم أن هناك خطباً ما.

فاستيقظت هذا الصباح عازمة على حل الموضوع. اتصلت بإيثان وسألته إذا كان متفرغاً هذه الليلة، فدعاني إلى مقابله في شقته حوالي الساعة السابعة.

ما يعني أنه لديّ باقي النهار لأتصل بمايكل. أريد أن تكون لديّ إجابات للأسئلة التي سي طرحها عليّ إيثان. أريد أن أرتب بيادقي في صفّ مرتب، وهذا بيدق كبير.

استحممت ثم خرجت مع شارلمان في نزهة. قضيت بعدها عدة ساعات أمام شاشة حاسوبي في تصفّح الإنترنت. وعند الساعة

السادسة بتوقيت نيويورك، أي وقت خروج مايكل من عمله، أمسكت بهاتفني وجلست على سريري واتصلت به.

رن الهاتف. رن، رن، ورن، ورن.

ثم حولني إلى البريد الصوتي.

شعرت بالراحة على نحوٍ ما لأنني لم أكن أرغب بإجراء هذه المحادثة من الأساس.

- «مرحباً يا مايكل. أنا هانا. اتصل بي عندما يتسنى لك ذلك. هناك أمر علينا التحدث بشأنه. حسناً، مع السلامة».

ألقيت نفسي للخلف على السرير وشعرت بنبضات قلبي تتسارع. بدأت التفكير بما سأفعله إن لم يُعاود الاتصال بي أبداً وتخيلت أنه قد يتخذ هذا القرار نيابةً عني. ربما سأتصل به عدة مرات وسأترك له بعض الرسائل، ولن يرد على أيٍّ منها، وبذلك سأقنع نفسي بأنني حاولت القيام بالتصرف الصائب ولكنني لم أتمكن من ذلك. يمكنني أن أتعاش مع هذه الحقيقة. رن هاتفني.

وفي اللحظة التي قلت فيها «ألو»، قاطعني صوت صارم يكاد يكون غاضباً.

- «هانا، لقد انتهت علاقتنا. أنت قلت هذا بنفسك. لا يحق لك الاتصال بي. لقد تمكنت أخيراً من إعادة الأمور إلى مسارها الصحيح مع عائلتي ولن أفسدها مجدداً».

- «مايكل، توقف للحظة أرجوك، حسناً؟».

شعرت بالغضب.

- «حسناً».

قلت أخيراً: «أنا حامل».

ساد صمت طويل لدرجة أنني ظننت أن الخط انقطع ثم قال: «سأتصل بك بعد ثلاث دقائق». ثم أغلق الخط.

بدأت أتجول في الغرفة وشعرت بتشنج في معدتي.
رن الهاتف مجدداً.

أجبت: «مرحباً».

- «حسناً، ماذا سنفعل؟».

أدركت أنه يحدثني من مكان مغلق لأن هناك صدىً لصوته.
ربما كان في دورة مياه.
- «لا أعلم».

قال بنبرة حازمة: «لا يمكنني هجر زوجتي وطفلي».

- «لم أطلب منك أن تفعل ذلك».

أكره هذه المحادثة. كنت أعمل على رمي هذه العلاقة وراء ظهري، وها أنا الآن أتعامل معها مجدداً.
- «ما الذي تريدينه إذا؟».

- «لا أريد شيئاً. اعتقدت أنك يجب أن تعلم. لم يبدُ لي صائباً
عدم إخبارك بالأمر».

- «لا يمكنني فعل شيء. لقد اقترفتُ خطأً بإقامة علاقة معك
وهذا يتضح لي الآن. كانت غلطتي وما كان عليّ فعل ذلك. كانت
غلطة، وزوجتي جيل تعلم بها. لقد تحسنت الأمور بيننا أخيراً وأنا
أحب طفلي، لذلك لا يمكنني أن أسمح لأي شيء بتدمير كل ذلك».
- «أنا لا أطلب منك شيئاً. هذه هي الحقيقة. ظننت أنك يجب
أن تعرف وحسب».

- «حسناً».

صمت لبرهة، ثم سألني بخجل ما كان يريد أن يسألني إياه منذ أن علم بالأمر ربما.

- «هل فكرت... في عدم الاحتفاظ بالطفل؟».

- «إذا كنت ستطلب مني إجهاضه يا مايكل، فانطق بالكلمة على الأقل».

يا له من جبان.

- «هل فكرت في الإجهاض؟».

- «لا، أنا لم أفكر في الإجهاض».

- «ماذا عن عرضه للتبني؟».

- «لماذا تهتم بذلك؟ أنا من سينجب الطفل ولن أطلب منك مالا أو اهتماماً أو دعماً، أتفهم ذلك؟».

- «حسناً، ولكنني لا أعرف ماذا سيكون شعوري بشأن وجود طفل لي في مكان ما».

على الناس أن يفكروا في هذه الأمور قبل أن يقيموا العلاقات، ولكن من أنا لأنصح!

- «إذا تحمّل مسؤولياتك وتعامل مع الأمر، أو انسحب. إنه قرارك».

ردّ قائلاً: «أفترض أن الأمر أشبه بالتبرع بالحيوانات المنوية».

لم يكن يخاطبني، بل يخاطب نفسه. لا أريده أن يساعدني في تربية هذا الطفل، وهو لا يريد ذلك أيضاً. من الواضح أنه كان يحاول إعفاء نفسه من المسؤولية أو الإحساس بالذنب. وإذا كان هذا سيسهّل الأمور، فسأساعده على ذلك.

- «حسناً، فكر بالأمر وكأنك تبرعت بها».

- «صحيح. هذا كل ما في الأمر».

كنت أريد أن أقول له كم هو حقير، ولكنني لم أفعل. تركته يقول لنفسه ما يشاء. أعلم أن هذا الطفل قد يكون سبباً في تفكيك عائلته، وأنا لا أرغب في ذلك، بغض النظر عما هو على صواب ومن هو على خطأ. كما أنني لست بحاجة إليه، ولا أظن أنه سيكون هناك أي خير من وجوده في حياة طفلي، فهو لم يثبت أنه رجل صالح. قلت: «حسناً».

أجاب: «حسناً».

وقبل أن أنهي الاتصال، أضفت شيئاً من أجل طفلي الذي لم يولد بعد.

- «إذا غيّرت رأيك يوماً ما ورغبت في لقائه، يمكنك الاتصال بي. وأتمنى أن تكون متقبلاً لفكرة مقابلته في حال رغب في لقاءك يوماً».

- «لا».

صعقني جوابه: «ماذا؟».

قال مجدداً: «لا. أنتِ من اتخذ قرار إنجاب هذا الطفل، فأنا لا أرغب به. إذا أنجبته، فستتحملين مسؤولية أنه سيكون من دون أب. لن أعيش حياتي وأنا أعرف أن طفلاً قد يطرق بابي يوماً».

- «يا لك من شهم».

كان هذا كل ما قلته له.

- «ينبغي عليّ أن أحمي ما لديّ بالفعل. هل انتهينا هنا؟».

- «نعم، انتهينا».

31

تهنا في جناح الأمومة، ولم يبدُ أننا نستطيع العثور على طريق للخروج منه. في البداية، علقنا في قسم الولادة ووجدنا أنفسنا خارج قسم الحضانة.

إن آخر ما كنت أرغب فيه هو رؤية أطفال جميلين، ولكنني لاحظت أن غابي لم تعد تقف خلفي، بل كانت تراقبهم. قالت: «سبداً في المحاولة قريباً».

لم تكن تنظر إليّ حتى، بل إلى الأطفال.

- «ما الذي سبداً في محاولة القيام به؟».

رمقتني بنظرة كما لو كنت غبية لدرجة تُخرجها.

- «لا. أنا ومارك. سنحاول إنجاب طفل».

- «هل تريدين إنجاب طفل؟».

- «نعم. كنت سأسألك عن رأيك عندما وصلتِ إلى هنا، ولكن

لم تسنح لي الفرصة قبل وقوع الحادث، و... وحين استيقظت...».

- «صحيح».

لم أردّها أن تنطق بالكلمة، فالتلميح كان مؤلماً بما يكفي .
- «ولكن، هل تعتقدين أنكِ مستعدة؟ هذا مثير جداً!».
لم يقلل موقعي المتردد من إنجاب الأطفال من سروري لإنجابها طفل .

أضفتُ: «طفل صغير نصفه غابي ونصفه مارك، واو!».
- «إنها فكرة مثيرة حقاً، ومخيفة حقاً» .
- «واو. لا أصدق أننا أصبحنا في عمر نحاول فيه الحمل» .
- «أمر غريب، أليس كذلك؟ تقضين معظم حياتك وأنت تحاولين ألا تحملي، ثم يتعين عليك فجأة، في يوم ما، أن تعكسي العملية» .
- «على أي حال، هذا أمر رائع. أنت ومارك رائعان معاً وستكونان والدين عظيمين» .

ضغطت على كتفي: «شكراً لك» .
دنت ممرضة منا وسألتنا: «من الذي أتيتما لزيارته؟» .
أجابت غابي: «أوه لا. أعذر ولكننا تهنا فحسب. هل يمكنك إرشادنا إلى قسم الجراحة العامة؟» .

- «حين تصلان إلى نهاية الردهة، انعطفا نحو اليمين أولاً، ثم نحو اليسار ثانياً. ستريان آلة بيع، تابعا السير في الممر حتى النهاية، ثم انعطفا يساراً...» .

استمرت في تقديم الإرشادات. من الوضع أنني وصلت بنا أبعد مما كنت أنوي .

قالت غابي: «حسناً، شكراً لك»، ثم التفتت نحوي: «لنذهب» .

تجاوزنا ما بدا أنها وحدة لحديثي الولادة أو وحدة للعناية
المركزة، ثم عبرنا باباً مزدوجاً ووجدنا نفسينا في عنب الأطفال.
قلت: «لا أظن أن هذا هو الطريق الصحيح».
- «قالت إننا علينا الانعطاف نحو اليسار في مكان ما
هنا...».

نظرت إلى الممرضات ثم استرقت النظر من خلال النوافذ
ونحن نسير في الردهة. معظم من رأيتهم كانوا أطفالاً صغاراً
وأطفالاً في سن المرحلة الابتدائية. هنالك بعض المراهقين أيضاً.
جميعهم مستقلقون على أسرة وموصولون بالأجهزة. كما يرتدي الكثير
منهم القبعات والقلانس. أدركت أنهم يُغطون رؤوسهم الصلعاء.
قالت غابي: «أنت محقة. نحن تائهتان فعلاً».
توقفت بكرسي على جانب الردهة. مكتبة سُر من قرأ
قالت غابي: «سأذهب لأطلب خريطة من الممرضة».
- «حسناً».

رأيت من موقعي المميز إحدى الغرف التي تحوي طفلتين
يافعتين، كانتا تتحدثان وهما مستقلقتان على سريرين منفصلين. وقف
طبيب جانباً يتحدث مع والدين يبدو عليهما الارتباك والذهول. غادر
الطبيب، وبقيت ممرضة معهما. همّت بالمغادرة أيضاً ولكن
استوقفها الزوجان عند الباب. كانوا قريبين مني لدرجة أنني سمعت
جزءاً من حديثهم.

قالت الأم: «ما الذي يعنيه بكلامه؟».

تحدثت الممرضة بلطف: «كما قال الدكتور مكثري، إنه نوع من
أنواع سرطان العظام، وهو يصيب المراهقين غالباً، ولكن يكون

أحياناً متوارثاً في العائلة. إنه أمر نادر، ولكن من الممكن أن يصاب به الأشقاء، ولهذا السبب يريد الطبيب أن يفحص ابنتكما الصغرى أيضاً. لمجرد التأكد وحسب».

أجهشت الأم بالبكاء وقام الأب بالمسح على ظهرها.
قال للممرضة: «حسناً. شكراً لك».

لكن الممرضة لم تغادر الغرفة.

قالت: «صوفيا فتاة مقاتلة، وأنا لا أقول لكما شيئاً لا تعرفانه مسبقاً. الدكتور مكنزي طبيب بارع في أورام الأطفال، وأنا أعني كل حرف من كلمة بارع. فلو كانت ابنتي هنا - ابنتي في الثامنة من عمرها واسمها مادلين - فكنتُ سأفعل ما فعلتماه بالضبط وأضعها بين يدي الدكتور مكنزي».

قالت الأم: «شكراً لك. شكراً».

أومأت الممرضة لهما: «إذا احتجتما إلى أي شيء أو كانت لديكما أي أسئلة، أرسلنا لي رسالة وسأجيبكما إن استطعت، وفي حال لم أستطع» - نظرت مباشرة إلى عينيهما لتطمئنهما - «فسأدعو الدكتور مكنزي لشرح لكما كل شيء بكلمات مبسطة، هذا إذا كان بإمكانه تبسيط مصطلحاته».

ابتسم الأب من دعابتها وبدا لي أن الأم توقفت عن البكاء.

انتهى حديثهم مع عودة غابي وفي يدها الخريطة. انتبهت كل من غابي والممرضة أنني كنت أتنصت. أشحت ببصري بعيداً لكن حركتي لم تنفع لأنني ضُبطت متلبسة.

دفعْتُ غابي كرسيَّ في الردهة.

أمسكت بالعجلات: «يمكنني القيام بذلك».

عندما ابتعدنا مسافة كافية عن المكان، سألتها: «هل كان هذا عنبر سرطان الأطفال؟».

- «نعم، هنالك لوحة كتب عليها «قسم أورام الأطفال»».

لم تتكلم أي منا لبرهة.

- «في الحقيقة، نحن لم نبتعد عن غرفتك كثيراً. لقد أخطأنا في منعطف واحد فقط».

- «يبدو التمريض... عملاً صعباً، ولكنه مُرضٍ للذات».

- «لطالما قال أبي إن الممرضات والممرضين هم الذين يُقدمون الرعاية. لطالما ظننتُ أنها جملة مُتكلفة وتحمل أكثر من معنى، ولكن وجهة نظره كانت منطقية دائماً».

ضحكت: «بإمكانه أن يقول: «قد لا يكون الممرضين هم من يعالجونك، ولكنهم بالتأكيد يجعلونك تشعر بالتحسن»».

ضحكت غابي: «أخبريه بها، فربما سيستخدم جملتك هذه من الآن فصاعداً».

لا أعلم ماذا يُفترض بي أن ألبس للقاء حبيبي الجديد الذي كان حبيبي السابق، والذي أنا على شبه يقين بأنه حب حياتي، لأخبره بأنني حامل من رجل آخر.

استقر خيارى على سروال جينز وكنتزة رمادية.
مشطت شعري عدة مرات حتى أصبح لامعاً، ثم صففته على شكل كعكة عالية جداً.

وقبل أن أخرج من باب المنزل، عرضت على غابي مرة أخرى أن أبقى معها ومع شارلمان.
- «أوه لا . بالتأكيد لا» .

- «ولكنني لا أريد أن أتركك وحدك» .
- «سأكون بخير . لا ، لن أكون بخير . هذه كذبة . سأكون بخير بمعنى أنني لن أحرق المنزل أو شيء من هذا القبيل . ستجدينني هنا حين تعودين إلى المنزل، إذا كان في ذلك أي عزاء لك» .

أفلت مقبض الباب . أنا حقاً لا أشعر بالارتياح لتركها وحدها .
- «لست مطمئنة . لا ينبغي أن تبقي وحدك» .

- «لست وحدي. لدي شارلمان. سنشاهد التلفاز حتى تتعب أعيننا ثم نذهب إلى النوم».

نظرت إليّ وتابعت: «قد نتناول منوماً»، ثم استدركت، «أعني قد أتناول منوماً. لن أخدّر الكلبة بطبيعة الحال».

- «سأبقى معكما».

- «بل ستذهبين. لا تستخدميني كذريعة لتجنب مواجهة مشاكلك الخاصة. لدينا أنا وأنت الكثير من الأمور التي يجب حلها، ومن الأفضل أن نعرف في أقرب وقت ممكن أين ستذهب الأمور مع إيثان».

إنها على حق، إنها على حق طبعاً.

قالت: «شخصيتك الجديدة تواجه مصاعب الحياة وجهاً لوجه، أتذكر ذلك؟ شخصيتك الجديدة لا تهرب من مشاكلها».

فتحت الباب الأمامي: «أوه. أنا أكره شخصيتي الجديدة».

ابتسمت غابي بينما كنت أخرج. إنها أول ابتسامة أراها منذ يومين.

- «أنا فخورة بشخصيتك الجديدة».

شكرتها وخرجت.

كانت الساعة تشير إلى السابعة إلا عشر دقائق حين ركنت سيارتي أمام شقة إيثان. اضطررت للدوران حول المبنى ثلاث مرات قبل أن أجد مكاناً، وبعدها رأيت سيارة تغادر موقفاً يقع أمام شقته مباشرة فشعرت بخليط من الإحباط والإثارة. تساءلت فجأة كيف ستكون القيادة في شوارع لوس أنجلوس برفقة طفلٍ. هل سأستغرق

نصف ساعة للركوب والترجل من السيارة لأنني لن أعرف أبداً كيفية تثبيت مقعد الأطفال فيها؟ هل سأضطر أن أدور حول الحي مرة تلو الأخرى مع أصوات طفل يبكي في الخلفية؟ يا إلهي. لن أستطيع فعل ذلك!

ولكن يجب عليّ فعل ذلك.

ماذا تفعل عندما يتعين عليك فعل شيء لا تستطيع فعله؟
ترجلت من السيارة وأوصدتُ الباب. أخذت شهيقاً عميقاً ثم زفيراً بطيئاً.

الحياة هي مجرد سلسلة من الأنفاس، وكل ما عليّ فعله في هذا العالم هو أخذ شهيق ثم زفير، بشكل متتابع، إلى أن أموت. أنا أستطيع فعل ذلك. أستطيع أخذ شهيق وزفير.

طرقت باب إيثان ففتحه لي وهو يرتدي مريلة كُتب عليها:
«السيد الوسيم يطهو الطعام»، وعليها صورة رجل يحمل ملعقة.

لا أستطيع فعل ذلك.

قال لي: «أهلاً بك».

ضمني بقوة بين ذراعيه حتى أنني خفت أن يتأذى الطفل. ليست لدي أدنى فكرة عما يجب عليّ فعله كامرأة حامل! لا أعرف كيف عليّ أن أتصرف كأُم. ما الذي أفعله؟ سينتهي كل هذا بكارثة كبيرة. أنا الإعصار هانا الذي يدمر كل ما يصادفه.

- «اشتقتُ إليك، أليس هذا سخيفاً؟ لا أستطيع أن أمضي يوماً واحداً دون رؤيتك، بعد أن قضيت عدة سنوات من دونك».
ابتسمت له: «أعلم ما تعنيه».

قادني إلى المطبخ: «أعلم أننا اتفقنا أن نتناول العشاء في الخارج، ولكنني قررت إعداد وجبة فاخرة لك».

- «أوه، واو».

حاولت تصنع الحماس ولكنني لست متأكدة أنني نجحت في ذلك.

- «بحثت في غوغل عن بعض الوصفات حين كنت في العمل. وعدت للتو من المتجر، دقائق فقط قبل وصولك. أنت تنظرين إلى سوبا سيكا بالدجاج».

نطقها بلهجة إسبانية متكلّفة. إنه متحمس ولطيف وصادق، فقررت في تلك اللحظة ألا أخبره بشيء الليلة.

أنا أحبه، وأعتقد أنني أحببته دائماً. والآن سأخسره. كل ما أريده هذه الليلة هو أن أعيش تجربة أن أكون محبوبته، أن أكون ملكه، وأن أصدق أنها بداية شيء ما.

لأنني متأكدة أنها النهاية.

وبهذه البساطة، عدت لشخصيتي التي كنت عليها قبل يومين فقط. هانا مارتن، امرأة ليست لديها أدنى فكرة بأنها حامل ولا أدنى فكرة بأنها على وشك أن تخسر الشيء الوحيد الذي أرادته طوال حياتها.

- «رائع! يبدو إعدادك معقداً».

- «في الواقع، بقي لي أن أقوم ببعض الخطوات قبل إدخاله إلى الفرن، على ما أظن. نعم، أظن أنه يدخل الفرن».

رحت أضحك: «ألم تقم بإعدادك من قبل؟».

- «السوبا سيكا بالدجاج؟ متى كان لدي سبب في حياتي لإعداد السوبا سيكا بالدجاج؟ لم أكن أعلم بوجوده حتى قبل بضع ساعات. أنا أقوم عادة بإعداد شطائر العجين المشوي والبطاطس المشوية، وعندما أحب أن أتفنن، أقوم بإعداد اللحم بالفلفل الحار. ليس من عادتي محاولة إبهار الفتيات بمهاراتي في إعداد السوبا سيكا بالدجاج».

كان يقطع الخضار ويضعها في وعاء، بينما بقيت جالسة على كرسي بالقرب من المطبخ.

سألته: «ما هو السوبا سيكا بالدجاج؟».

قال ضاحكاً: «لا زلت غير متأكد بشأنه، ولكنه يحتوي على المعكرونة، لذا...».

- «لم تتناوله من قبل حتى؟».

- «سأسألك مجدداً يا هانا. متى تظنين أنه قد سُنحت لي الفرصة لتناول السوبا سيكا بالدجاج؟».

ضحكت: «حسناً، لماذا تعدّه إذا؟».

صب المرق في الوعاء. بدا وكأنه يجيد تحضيره.

- «لأنك فتاة تستحق أن يُحتفى بها، هذا هو السبب. وأنا الشاب المناسب ليقوم بذلك».

- «كان بإمكانك أن تكتفي بإعداد لفائف القرفة وحسب».

ضحك: «فكرتُ فيها ولكنني غيرت رأيي لأنها سهلة التوقع، كما أن جميع الناس يُحضرونها لك، وأنا أردت إعداد شيء يفاجئك».

ضحكت: «حسناً، ما الحلوى التي سنتناولها بما أنك لم تُعد لفائف القرفة؟».

- «آه! يسعدني سؤالك».

أخرج عنقود موز.

- «موز؟».

- «الموز المحمّر. سأشعل النار فيه».

- «تبدو فكرة رهيبة».

ضحك: «أنا أمزح. لقد اشتريت فواكه ونوتيلات».

- «أوه، حمداً لله».

- «كيف حال شارلمان؟».

شارلمان والطفل وغابي ومارك. أردت ترك كل ذلك عند الباب. لم أريد إحضار أيّ منه إلى هنا.

- «دعنا لا نتحدث عن شارلمان. لننتحدث عن...».

- «لنتحدث عن كم تبدين مذهلة وكيف أنه لديك وظيفة جديدة وسيارة جديدة وكلبة وحبيباً وسيماً يقوم بإعداد وجبات فاخرة وعالمية».

هذا هو الوقت المناسب لأتكلم بالموضوع، هذه هي فرصتي، ولكن نظراته حنونة ووجهه مألوف، على عكس ما كان يجري في حياتي من أمور جديدة ومخيفة. قبّلني، فغرقت في أنفاسه وذراعيه على الفور.

سيتمهي كل هذا. سيتمهي.

حملني من فوق الكرسي فأحطّه بذراعيّ.

أخذني إلى غرفة النوم، ووضعتني على السرير.

- «انتظر».

- «أوه، لا بأس. تحتاج السوبا سيكا لبعض الوقت كي تنضج

على نار هادئة. لن تحترق».

- «لا».

جلست، ثم نظرت في عينيه.

- «أنا حامل».

33

أتت الدكتورة ونترز للاطمئنان عني بحلول نهاية اليوم، بعد أن ذهبت غابي إلى منزلها .

قالت بنبرة لومٍ لطيفة ترافقها ابتسامة : «لقد سمعت أنك تتجولين في أرجاء المستشفى على كرسيك المتحرك» .

- «ليس من المفترض أن أقوم بذلك ، صحيح؟» .

- «في الواقع لا ، ولكن لديّ أمور أهم لأهتم بها» .

ابتسمت لها بامتنان .

- «أنت تتعافين بشكل جيد . لقد تجاوزنا مرحلة الخطر تقريباً ،

فيما يخص المضاعفات» .

- «حقاً؟» .

ألقت نظرة على ملفي ، «نعم . ينبغي علينا التحدث بشأن

خطواتك التالية» .

- «حسناً . أخبريني عنها» .

- «سيأتي إليك أحد المعالجين الفيزيائيين غداً حوالي الساعة

الحادية عشرة» .

- «حسناً» .

- «وسنقوم أنا وهو بتحديد مدى قدرتك الحركية، وما الذي ستكونين قادرة على القيام به في فترة زمنية محددة، وما ينبغي عليك معرفته للمضي قدماً في خطة العلاج» .

- «رائع» .

- «وسنتوصل إلى برنامج وجدول زمني تقريبي لتحديد متى سيكون بمقدورك المشي من جديد دون مساعدة» .

- «تمام» .

- «ستكون مرحلة طويلة، وقد تكون محبطة أيضاً» .

- «أعلم ذلك» .

أنا طريحة الفراش منذ أسبوع ولم أغادره إلا نادراً وبمساعدة من أحدهم .

- «سيزداد إحباطك مع الوقت . سيتعين عليك تعلم كيفية القيام بشيء تعرفين كيف تقومين به بالفعل، ستغضبين وتشعرين بالرغبة في الاستسلام» .

- «لا تقلقي، لن أستسلم» .

- «أوه، أعلم ذلك، ولكنني أريدك أن تعلمي أنه لا بأس أن تشعرين بالرغبة في الاستسلام . ولا بأس أن تشعرين بأنك على حافة الانهيار أثناء هذه المرحلة . عليك أن تتحلي بالصبر فحسب» .

- «أفهم من كلامك أنه يتوجب عليّ أن أتعلم كيفية المشي من جديد . أنا أعلم هذا بالفعل، وأنا مستعدة له» .

- «ما أعنيه هو أنه سيتعين عليك تعلّم كيفية العيش من جديد، وكيفية إنجاز المهام باستعمال يديك لفترة من الوقت بدلاً من

ساقيك، وكيفية طلب المساعدة، ومتى تصلين إلى حدك في التحمل، ومتى تكونين قادرة على الاستمرار. كل ما أقول هو أنه لدينا الكثير من الموارد تحت تصرفك. بإمكاننا مساعدتك على تجاوز كل هذه المصاعب. وستجاوزينها كلها».

كنت أشعر بأن وضعي تحت السيطرة إلى حد ما قبل قدومها، أما الآن، فجعلتني أشعر وكأن حالتي مأساوية.

- «أنا بحاجة إلى استيعاب كل ذلك».

- «حسناً، سأتي للاطمئنان عنك غداً صباحاً».

- «رائع».

أنا لا أعنيها حقاً.

إنها الرابعة عصراً، لكنني كنت أعلم أنني إذا نمت الآن فسأستيقظ في الوقت المناسب لرؤية هنري. فهذا ما سأفعله. سأخلد إلى النوم. لم يتبق لي سوى بضع ليالٍ في هذا المستشفى ولا أريد إضاعة أيّ منها في النوم.



حين دخل غرفتي حوالي الساعة الحادية عشرة، وجدني مستيقظة. انتظرت ليمارحني بقوله إنني مخلوقة ليلية أو شيء كهذا، ولكنه لم يفعل. اكتفى بقول: «مرحباً».

-قلت: «أهلاً».

نظر إلى ملفّي قائلاً: «ستخرجين من هنا قريباً».

- «نعم، صحتي جيدة بحيث لا أحتاج إلى البقاء في هذا المكان».

- «يسعدني سماع ذلك».
- ابتسم ابتسامة مهذبة ثم قام بقياس ضغط دمي.
- «هل تريد مساعدتي لأتمرن على الوقوف؟ أريد أن أريك كم تعافيت. لقد تمكنت من الوقوف بمفردي تقريباً هذا الصباح».
- «لا أستطيع ذلك، لدي الكثير من المرضى لأهتم بهم».
- لم ينظر إليّ حتى.
- «هنري؟ ما خطبك؟».
- رفع بصره.
- «هنري؟».
- «لقد تم نقلي إلى العمل في طابق آخر. ستعتني بك ممرضة لطيفة تدعى مارلين في الأيام المتبقية لك هنا».
- سحب رباط جهاز قياس الضغط من ذراعي وابتعد عني.
- شعرت وكأنه صدني، أو نبذني.
- «أوه، حسناً. هل لا يزال بإمكانك التوقف لإلقاء التحية على الأقل؟».
- قال بنبرة حزينة وجادة: «هانا، لم يكن ينبغي عليّ أن أكون... ودوداً معك. إنها غلطتي. لا يمكننا الاستمرار بالمزح والعبث هكذا».
- «حسناً، فهمت».
- «يجب أن تبقى العلاقة بيننا مهنية».
- «حسناً».
- «ليس هناك أي شيء شخصي في الأمر».
- بقيت عبارته معلقة في الهواء.

ظننت أن الأمر شخصياً، هذه هي المشكلة.

- «يجب أن أذهب».

- «بحقك يا هنري».

شعرت بالانفعال وسمعت صوتي يرتجف. حاولت بشدة أن أتحكم في مشاعري. أعلم أن السماح له بمعرفة مدى رغبتني في رؤيته مجدداً لن يؤدي إلا إلى ابتعاده عني أكثر. أعلم ذلك. ولكن أحياناً، لا يستطيع المرء منع نفسه من إظهار مشاعره. أحياناً، مهما حاول كبجها، هي تعبر عن نفسها في بريق عينيه، وثنايا الحزن في شفثيه، وارتعاش صوته، وغصة في حلقه.

قلت: «نحن صديقان».

توقف في مكانه ثم سار نحوي ونظر إليّ بلطف وتعاطف. لا أريد اللطف والتعاطف اللعينين. لقد سئمت منهما.

- «هانا».

- «لا تقل شيئاً. فهمت. أنا آسفة».

نظر إليّ وتنهّد.

قلت أخيراً: «يبدو أنني أسأت فهم الأمور».

قال: «حسناً».

ثم غادر. لقد غادر فعلاً. أدار كعبيه وخرج من الباب فحسب. لم أخلد إلى النوم، بالرغم من شعوري بالتعب. لا يعني ذلك أنني لم أكن أستطيع النوم. في الحقيقة، أظن أنني كنت أستطيع ذلك، لكنني بقيت أمل أن يعود للاطمئنان عني.

أنت امرأة بملابس طبية زرقاء فاتحة عند الساعة الثانية صباحاً وقدمت نفسها لي على أنها مارلين.

- «سأعتني بك أثناء الليل من الآن فصاعداً. أنا مستغربة من أنك مستيقظة!».

قلت بنبرة حزينة: «لقد نمتُ طوال فترة بعد الظهر». ابتسمت بلطف وتركتني وشأني. أغمضت عينيَّ وحاولت النوم. لن يأتي هنري. لا داعي لبقائي مستيقظة. أتعلم؟ لا أظن أنني أسأت تقدير أي شيء إطلاقاً. يعجبني هنري. يعجبني أن أكون برفقته. يعجبني تواجدي بقربه. تعجبني رائحته وكيف أنه لا يحلق ذقنه بالكامل. تعجبني نبرة صوته الخشنة والعميقة. يعجبني شغفه بعمله وبراعته فيه. هو يعجبني وحسب. يعجبني كيف أنه يجعلني أضحك في اللحظات التي لا أتوقعها، وكيف أن ساقِي لا تؤلمانني كثيراً حين ينظر إليّ. أو... لا أعلم. ربما كل هذا من واجباته كممرض. ربما هو يجعل جميع المرضى يشعرون على هذا النحو. أطفالُ المصباح الجانبي وأغمضت عيني. قالت لي الدكتورة ونترز صباح اليوم إنني قد أحاول المشي غداً.

حاولت التركيز على ذلك. إذا كُنت قادرة على النجاة من حادث سير، فسأكون قادرة على تجاوز إعجابي بمرضِي الليلي. القلوب مثل الساقين، على ما أعتقد. تتماثل للشفاء في النهاية.

34

- قلت لإيثان: «إنه ليس طفلك».
- هو يعرف ذلك بالطبع، فالتوقيت وحده كافٍ لتوضيح ذلك، ولكن كان ينبغي عليّ أن أجعل ذلك قطعياً.
- «ولكن من الممكن أن يكون طفلي، أليس كذلك؟ أعني ربما الأسبوع الماضي...».
- هززت رأسي بالنفي: «أنا حامل في الأسبوع الحادي عشر. إنه ليس طفلك».
- «هو طفل من إذا؟».
- أخذت شهيقاً وزفيراً. هذا كل ما يجب عليّ فعله. شهيق ثم زفير، والباقي اختياري.
- «اسمه مايكل. لقد تواعدنا في نيويورك. ظننت أن علاقتنا كانت أكثر جدية، ولم نحتاط كما يجب في النهاية. إنه لا يريد طفلاً آخر».
- «طفلاً آخر؟».
- «إنه متزوج ولديه طفلان».

تنهّد بصوتٍ عالٍ كما لو أنه غير قادر على تصديق كلامي .

- «هل كنت تعلمين أن لديه عائلة؟» .

- «يصعب شرح هذا الموضوع بعض الشيء . لم أكن أعلم في بادئ الأمر ، وظننت لفترة طويلة أنني الوحيدة في حياتي . ولكن كان ينبغي عليّ أن أنتبه إلى بعض الأمور ، ولنقل فقط إنني ... اقترفتُ بعض الأخطاء» .

- «وهو الآن ليس مهتماً بكونك حاملاً منه؟» .

وقف إيثنان ، والغضب بادٍ في عينيه . لقد بدأت ردة فعله تظهر للتو وبدأ يستوعب واقع الأمر . من الأسهل عليه أن يغضب من مايكل بدلاً مني أو من الوضع ، ولذلك تركته ينقّس عن حنقه للحظة .

- «إنه لا يريد الطفل ، وهذا من حقه . أنا أوّمن بحق الرجل في اختيار عدم إنجاب طفل بقدر ما أوّمن بحق المرأة في ذلك» .

- «وسوف تدعين هذا الوغد يعاملك هكذا؟» .

- «إنه لا يريد الطفل ، وأنا أريده . أنا مستعدة لتحمل المسؤولية بمفردي» .

جَعَلَتْهُ تلك الكلمة ، بمفردي ، يعود إلى الواقع .

سألني : «ماذا يعني هذا بالنسبة لنا؟» .

- «الأمر يتوقف عليك» .

نظر إلي فالتقت عيناه بعينيّ واستمر هكذا لبرهة ، ثم أشاح بنظره إلى يديه الموضوعتين على ركبتيه بحزم .

- «هل تظلين مني أن أكون أباً لطفل أحد ما؟» .

- «لا ، ولكنني لن أدعي أن هذا لا يغير شيئاً بالنسبة لنا . أنا

حامل، وإذا اخترت البقاء معي، فهذا يعني أنك ستخوض هذه التجربة معي. سيمر جسدي بالكثير من التغيرات. سأواجه تقلبات في مزاجي، وعندما يحين موعد الولادة، سأكون خائفة ومرتبكة ومتألّمة. وبعد ذلك، عندما يولد الطفل، سيكون جزءاً من حياتي طوال الوقت. إذا أردت أن تكون معي، فهذا يعني أنك ستكون مع طفلي أيضاً».

أنصت إليّ، ولكن دون أن يتفوه بكلمة.

«أعلم أنك لم تختَر أيّاً من هذا».

ردّ: «فعلاً. هذا أقل ما يمكنك قوله!».

ثم نظر إليّ بندم.

- «ولكنني أردتُك أن تعرف لكي تتمكن من اتخاذ قرار بشأن

مستقبلك».

قاطعني قائلاً: «مستقبلنا».

- «أظن ذلك. نعم».

- «ما الذي تريدينه؟».

أوه، رباه. كيف يمكن الإجابة عن هذا السؤال؟

- «أريد أن يكون طفلي سعيداً وبصحة جيدة وأن يتمتع بطفولة

مستقرة وآمنة».

أفترض أن هذا هو الشيء الوحيد الذي أعرفه بالتأكيد.

- «وماذا عنا نحن؟».

- «لا أريد أن أخسرك. أعتقد أننا نمثل شيئاً ما، وأن هذه هي

بداية لعلاقة تحمل لنا الكثير من الإمكانيات... ولكنني لا أرغب

أبداً بوضعك في موقف تقوم فيه بشيء لست مستعداً له».

- «يصعبُ عليّ استيعاب كل هذا».

- «أعلم . خذ كل الوقت الذي تحتاجه».

نهضت لكي أغادر وأمنحه الوقت الكافي للتفكير .

أوقفني : «هل أنت حقاً مستعدة لتكوني أماً عزباء؟» .

- «لا ، ولكن هذا قدرتي وأنا راضية به» .

- «ولكن قد يكون ذلك غلطة فحسب . ماذا لو ارتكبتِ غلطة

مع ذلك الرجل؟ هل أنت مستعدة لتحمل عواقبها طوال حياتك؟ هل عليّ أن أتعايش مع عواقبها طوال حياتي؟» .

عدت لأجلس : «لا بد أن تكون هناك حكمة خفية وراء كل هذه الفوضى . هذا ما أقوله لنفسي . ألا يُقال إن كل شيء يحدث لسبب معين؟ لقد التقيت مايكل ووقعْتُ في حبه رغم أنني أرى بوضوح الآن أنه لم يكن الشخص الذي ظننت . وفي ليلة ما ، حدث ما حدث وحملت منه . وربما حدث ذلك لأنه قُدِّر لي أن أنجب هذا الطفل . هكذا اخترت أن أنظر إلى الموضوع» .

- «وماذا لو كنتُ غير قادر على القيام بذلك؟» .

- «عندها ستكون علاقتنا قد انتهت إلى نفقٍ مسدود ، وهذا يعني أنه ليس مقدراً لنا أن نكون معاً ، أليس كذلك؟ أننا لسنا مناسبين أحدهما للآخر . أنا بحاجة أن أصدق أن الحياة تسير وفق خطة مرسومة سلفاً . لن يكون للحياة معنى إن كان كل ما يحدث في العالم مجرد صدفة ، ولا هدف أو مبرر له . يصعب عليّ تحمل هذه الفوضى . سيتوجب عليّ أن أعيش في تساؤل دائم عن كل قرار اتخذته وكل قرار سأأخذه . فإذا كان مصيرنا مُحدّداً بحسب كل خطوة

نتخذها... سيكون هذا مرهقاً للغاية. أفضل أن أصدق أن الأمور تحدث كما قُدر لها أن تحدث».

- «عندما أتى أخيراً الوقت المناسب لنا، وأصبح بمقدورنا أن نكون معاً ونحظى بما كنا نشعر بوجوده دائماً، تكتشفين أنك حامل من رجل آخر وتقولين: Que será será⁽¹⁾؟».

أردت أن أبكي، أن أصيح وأصرخ. أردت أن أتوسل إليه ليبقى معي لأواجه كل هذا. أردت أن أخبره بمدى خوفي وحاجتي إليه. أردت أن أخبره بأن الليلة التي أعدت فيها التواصل معه، الليلة التي قضيناها معاً، كانت أول مرة أشعر فيها بالراحة منذ سنوات. ولكنني لم أفعل، لأنه سيطيل ذلك الأمورَ ويزيدها تعقيداً.

- «نعم، Que será será. هذا ما أعنيه».

وقفت وخرجت إلى غرفة الجلوس فلاحق بي. شممت رائحة طعام العشاء. وللحظة، وددت لو أنني لم أقل له شيئاً. فلو لم أفعل، لكننا الآن في غرفة نومه.

ثم فكرت، لو كنتُ سأتمنى شيئاً، لتمنيت لو أنني لم أكن حاملاً، أو أن الطفل كان طفله، أو أنني لم أغادر لوس أنجلوس قط، أو أننا لم نفصل أبداً.

ولكنني تساءلت كم ستكون حياتي مختلفة لو حدثت أيّ من هذه الأمور. لا يستطيع المرء أن يغير جزءاً واحداً من حياته فقط، أليس كذلك؟ حين نتمنى لو أن الأمور حدثت بشكل مختلف، لا نستطيع أن نكون انتقائيين، ونتمنى لو أن الأشياء السيئة فقط لم تحدث. علينا

(1) Que será será : عبارة إيطالية شهيرة تعني ما سيحصل سيحصل.

أيضاً أن نفكر في كل الأشياء الجيدة التي سنخسرها . فمن الأفضل أن نعيش الحاضر ونركز على ما يمكننا أن نحسن في المستقبل .
- «إيثان، في اللحظة التي رأيتك فيها مجدداً، عرفت أننا... أعني، أنا متأكدة أننا...» .

- «لا تقوليها... ليس الآن، على الأقل» .

- «حسناً . سأتركك مع السوبا سيكا» .

ابتسم بحنان ثم فتح لي الباب لأغادر، ثم أغلق الباب .
عندما وصلت إلى نهاية الدرج، نادى علي، فالتفت نحوه .
وقف في أعلى الدرج ونظر إلي: «أحبك، ولا أظن أنني توقفت عن حبك أبداً» .

تساءلت ما إذا كنت سأتمكن من الوصول إلى سيارتي قبل أن انفجر بالبكاء .

- «كنت سأقول لك ذلك الليلة . قبل كل هذا» .

- «والآن؟» .

ابتسم لي بمرارة: «ما زلت أحبك . لطالما أحبيتك ولا أظنني سأتوقف أبداً» .

أطرق بنظره إلى الأرض، ثم رفعه نحوي مجدداً: «ظننتُ أنه ينبغي عليك أن تعرفي هذا الآن... في حال...» .

لم يُنه جملته، لا يريد أن يتلفظ بالكلمات، وهو يعلم أنني لا أرغب في سماعها .

نظرت إليه: «وأنا أحبك أيضاً، وقد أصبحت تعلم ذلك الآن، في حال...» .

35

لحسن حظ الجميع ، لم يكن معالجي الفيزيائي من نوع الرجال الذي يعجبني .

قال لي : «حسناً يا آنسة مارتن ، سنقوم . . .» .

- «نادني بهانا يا تيد» .

- «حسناً . ستدربين اليوم على الوقوف بمساعدة المشاية الطبية

يا هانا» .

- «يبدو ذلك سهلاً» .

قلتها لأنه جوابي المعتاد على كل شيء ، وليس لأنه بدا سهلاً في الحقيقة ، ففي هذه المرحلة ، بدا القيام بأمر كهذا صعباً للغاية .

وضع قدميَّ على الأرض . أستطيع القيام بهذا الجزء بشكل جيد الآن . ثم وضع المشاية الطبية أمامي وسحبني إليه لأتمكن من وضع ذراعيَّ وصدري على كتفيه ، وهو يحمل وزني .

- «بطء ، حاولي أن تنقلي الثقل إلى قدمك اليمنى» .

تمسكت به ثم حاولت أن أراجع قليلاً لكن انثنت ركبتني .

- «بطء . الوضع أشبه بسباق ماراثون ، لا سباق عدو» .

- «لا أظن أنه ينبغي عليك استخدام مصطلحات تتعلق بالرياضة الجري مع شخص لا يقدر على المشي».

لم يستاء من كلامي، بل ابتسم وقال: «نقطة وجيهة يا آنسة مارتن».

عندما يكون الناس لطيفين وصادقين ولا يردّوا بغضب على ملاحظاتي الساخرة، هذا يجعلها تبدو فظة.

حاولت أن أراجع عن كلامي: «كنت أمزح فحسب. استخدم كل التشبيهات الرياضية التي تريد».

- «سأفعل ذلك».

أتت الدكتورة ونترز للاطمئنان عليّ.

قالت: «تبدين رائعة».

إن آخر ما قد يُقال عني هو «تبدين رائعة»: أكاد لا أستطيع الوقوف على قدميّ، أرتدي ملابس مستشفى وجوارب بيضاء طويلة، ألقي بثقلي على رجل بالغ، وأمسك بمشاية طبية. ولكنني قررت ألا أقول سوى كلام لطيف لأنني لا أظن أن الدكتورة ونترز والمعالج الفيزيائي تيد مستعدان لملاحظاتي الساخرة. لهذا السبب أنا أحتاج إلى هنري.

راحت الدكتورة ونترز توجه الأسئلة إلى تيد. إنهما يتحدثان عني ويتجاهلانني تماماً. يشبه هذا ما كان يحدث في صغري حين كانت تزورنا صديقةً لأمي وتقول شيئاً مثل: «يا لجمالها»، أو «انظري كم تبدو لطيفة!»، وكنت دائماً أرغب في أن أقول لها: «هَي، أنا هنا!».

ابتعد تيد عني قليلاً محمّلاً قدميّ المزيد من وزني. لا أشعر بأن
لدي توازناً بمعنى الكلمة، ولكن يمكنني التعامل مع الوضع.
- «تيد، هل يمكنك أن...».

أشرت إلى المشاية الطبية لأطلب منه أن يضعها أمامي مباشرة،
وهذا ما فعل. تحررت منه ووضعت كلا ذراعيه على المشاية.
استطعت أن أبقى واقفة دون أن أستند على أحد.
صفقت لي الدكتورة ونترز كما لو أنني تعلمت كيف أحبو للتو.
هنالك حد للتنازلات التي يمكن أن يقوم بها المرء قبل أن ينفذ
صبره.

قال تيد: «أخبريني حين ترغين بالجلوس، يا آنسة مارتن».
- «هانا! قلت لك نادني هانا!».

كانت نبرة صوتي قاسية وفظة، ولكن لم يجفل تيد.
قالت الدكتورة ونترز: «هل يمكنك أن تتركنا أنا وهانا لوحدا
بعض الوقت يا تيد؟».
كنت لا أزال واقفة لوحدي بمساعدة المشاية، ولكن لم يعد
هنالك أحد يصفق لي.

غادر تيد وأغلق الباب وراءه.
التفتت إليّ الدكتورة ونترز: «هل يمكنك الجلوس لوحدا؟».
بالرغم من عدم ثقتي بذلك، أجبت: «نعم».
حاولت الانحناء عند وركي، ولكن بدا أنني لا أستطيع التحكم
بهما بشكل جيد، فهويت على سريري بقوة.
- «ينبغي عليّ الاعتذار لتيد».

ابتسمت: «آه، أنت لم تقولي شيئاً لم يعتد على سماعه».

- «مع ذلك...».

- «هذا صعب».

- «نعم، ولكنني قادرة على القيام به. أنا أرغب بالقيام به. لم أعد أريد أن أعامل كطفلة أو أن يقوم الناس بالتصفيق لي كلما تلمّست أصابع قدمي. أعلم أنه صعب ولكنني أريد القيام به. أريد أن أمشي من جديد».

- «لم أعنِ أنه من الصعب المشي، بل عنيت أنه من الصعب عدم القدرة على المشي».

ضحكت: «لقد خدعتني، جملتك كانت مُضللة».

ضحكت الدكتورة ووترز بدورها: «أعرف ما الذي أتحدث عنه. يمكن لهذه المرحلة أن تكون مُحبطة، ولكن لا داعي للتسرع».

قلت لها: «كل ما أريده هو الخروج من هنا».

- «أعلم، ولكن لا يمكننا التسرع في هذا أيضاً».

رفعت صوتي: «بحقك! إنني مستلقية على السرير منذ أيام، كما أنني أجهضت طفلاً ولا أستطيع المشي. لا أخرج إلا حين يقوم أحدهم بدفعي على الكرسي المتحرك في الردهات القبيحة. لا أستطيع القيام بشيء بسيط مثل المشي لوحدي إلى نهاية الغرفة. هذا هو حالي الآن، الأمور الاعتيادية تُعدّ مستحيلة بالنسبة لي، فقدت السيطرة على كل شيء! حياتي بأكملها في حالة فوضى، ولا أستطيع فعل أي شيء حيال ذلك». وهنري. لم يعد لدي حتى هنري الآن.

لم تنفوه الدكتورة ووترز بكلمة واكتفت بالنظر إليّ.

تمالكت أعصابي: «أنا آسفة».

مدت لي وسادة، فأخذتها ونظرتُ إليها. لم أفهم ما كانت ترمي إليه.

- «ضعي الوسادة على وجهك».

بدأت أشك في سلامة عقل الدكتورة ونترز.

- «افعلي ما أقوله وحسب».

- «حسناً».

وضعت الوسادة على وجهي.

- «والآن، اصرخي».

أبعدت الوسادة عن وجهي: «ماذا؟».

أخذت الوسادة من يدي ووضعتها على وجهي بلطف، فأخذتها منها.

- «اصرخي كما لو أن حياتك تتوقّف على ذلك».

حاولت أن أصرخ.

- «هيا يا هانا. تستطيعين القيام بأفضل من ذلك».

حاولت أن أصرخ مجدداً.

- «بصوتٍ أعلى!».

صرخت.

- «هيا!».

صرخت بصوتٍ أعلى وأعلى وأعلى...

- «هكذا!».

صرخت حتى لم يبق أي هواء في رئتيّ وأي قوة في حنجرتي. أخذت نفساً، ثم صرخت مجدداً.

- «أنت لا تستطيعين المشي، كما أنك أجهضت طفلك».

صرخت.

- «سيستغرق الأمر أشهراً قبل أن تتعافي بالكامل».

صرخت.

- «لا تكبتي ما في داخلك. لا تتجاهليه. دعيه يخرج».

صرخت وصرخت وصرخت...

كنت غاضبة لأنني لم أتمكن من المشي بعد. غاضبة لأن
الدكتورة ووترز محقّه في تصفيقها لي عندما تمكنت من الوقوف
بمساعدة مشاية طبية، لأن الوقوف لوحدي، حتى بمساعدة مشاية،
صعب جداً.

أنا غاضبة من الألم، ومن السيدة التي فرّت بعد أن دهستني،
كما لو أنني لا شيء. لقد واصلت القيادة بينما كنت مرمية هناك.
وأنا غاضبة من هنري، لأنه هوّن عليّ الأمور، ثم رحل. ولأنه
جعلني أشعر بالغباء، لأنني ظننت أنه يكثرث لي. ظننت أنني قد
أعني له شيئاً.

وأنا غاضبة لأنني لا أعني له شيئاً.

أنا غاضبة لأنني حملت بطفل مايكل.

أنا غاضبة من نفسي لأنني وقعت في حبه.

أنا غاضبة لأن والديّ يأتون ويخرجون من حياتي.

الآن، في هذه اللحظة، شعرت وكأنني غاضبة من العالم اللعين

بأكمله.

لذا صرخت في الوسادة.

حين انتهيت، أبعدتُ الوسادة عن وجهي ووضعتها على السرير من جديد، ثم التفتُ نحو الدكتورة ووترز.

قالت: «هل أنت مستعدة؟».

- «لماذا؟».

- «للمضيّ قدماً. للقبول بأنه لا يمكنك المشي حالياً. للتحليّ بالصبر مع نفسك ومعنا بينما تتعلمين كيف تقومين بذلك من جديد».

لم أكن متأكدة أنني مستعدة لكل ذلك، فأخذتُ الوسادة ووضعتها على وجهي مجدداً وصرخت مرة أخيرة، ولكن لم تخرج الصرخة من أعماقي، إذ لم يبق شيء لأصرخ بسببه. أعني، ما زلت غاضبة طبعاً، ولكنه لم يعد غضباً مستعراً. إنه يغلي بهدوء، ويمكنني التحكم فيه.

- «نعم، أنا مستعدة».

وقفت أمامي، ثم ساعدتني على الوقوف ودعت تيد للدخول إلى الغرفة.

وقف كلاهما معي، ساعداني، درّباني، ووجهاني خطوة خطوة في مشوار تعلّم فن التوازن والوقوف على قدمين.

لحظة وصولي إلى المنزل، ركضت شارلمان نحوي، وسمعت غابي تنهض من سريرها .

نزلت من الدرج ونظرت إليّ . عرفتُ من تعابير وجهي أن الأمور لم تسر على ما يرام، مثلما عرفتُ أنها كانت تبكي .
- «لقد عدتِ إلى المنزل مُبكرة» .

مكتبة

t.me/soramnqraa

- «نعم» .

- «هل أخبرته؟» .

- «نعم» .

أشارت إلى الأريكة، فمشينا نحوها وجلسنا .
- «ماذا قال؟» .

- «لا شيء، وكل شيء . سوف يفكر في الموضوع» .

ثم سألتها: «هل اتصل مارك من جديد؟» .

لقد اتصل عشر مرات على الأقل منذ مغادرته المنزل، ولكن لم تجب غابي على اتصالاته .

- «نعم، ولكنني لم أرد عليه . ليس الوقت مناسباً للتحدث

الآن. يجب عليّ أن أجمع شتات نفسي وأتھياً لهذه المحادثة. سأسمع ما لديه ليقوله. لم أشطبه من حياتي بعد، على ما أظن». - «فهمت».

- «لكنني أفكر بعقلانية أيضاً، فهو يخونني منذ زمن طويل، ولا أستطيع التفكير بأي تبرير قد يقدمه سيكون من شأنه أن يغير رأيي في طلب الطلاق منه».

- «ألا تراودك رغبة في الرد على اتصالاته وتوبيخه؟». ضحكت: «بالطبع، سأقوم بذلك قريباً على الأرجح». - «ولكن ليس الآن».

هزت كتفيها: «ما الذي سأحصل عليه من ذلك؟ في نهاية المحادثة، سأبقى على ما أنا عليه وسيبقى على ما هو عليه، وستبقى حقيقة أنه خاني. عليّ أن أتقبل هذا».

- «على الأقل نحن نواجه مشاكلنا وجهاً لوجه». نظرت إليّ وابتسمت بحزن: «نحن نفعل ذلك على الأقل». - «يا لنا من ثنائي مدهش، أليس كذلك؟». تنهدت: «صحيح».

- «لم أكن لأستطيع مواجهة أي من هذا من دونك». - «وأنا أيضاً».

- «أريد أن أشعر بالأسف على نفسي وأبكي فحسب. لبعض الوقت على الأقل».

أومأت: «يبدو ذلك مغريباً حقاً».

استلقينا على الأريكة وانضمت شارلمان إلينا، وقضينا بقية الليلة

ونحن نبكي تارة ونتوقف أخرى، ونتناوب في البكاء ومواساة أحدهنا الأخرى.

أعتقد أن من خلال انغماسنا في الشعور بالحزن، استطعنا إطلاق بعض مخاوفنا وآلامنا، فما إن استيقظنا صباح اليوم التالي حتى شعرنا بنفسيـنا أقوى وأكثر استعداداً لمواجهة الحياة، بغض النظر عما قد تلقي به علينا.

خرجنا لتناول الإفطار، وحاولنا إلقاء الدعابات. ذكرتني غابي بتناول فيتامينات الحمل. أخذنا شارلمان في نزهة ثم ذهبنا لنشتري لها سريراً وبعض الألعاب. بدأنا تدريبها بإحضارها إلى الباب الأمامي عندما تتبول، وكل مرة بدت وكأنها تريد التبول، كنا نحملها إلى الباب الأمامي حيث توجد وسادة خاصة بتبول الكلاب. وكلما ذهبت شارلمان إلى الوسادة، صافحتُ غابي بحماس احتفالاً بنجاحنا في تدريبها.

عندما اتصل مارك في تلك الليلة، ردت عليه غابي واستمعتُ لكلامه بكل هدوء. لم أنتصت عليها وحاولت أن أبقى بعيدة. مرت ساعات قبل أن تأتي إلى غرفتي.

- «اعتذر لي عشرات المرات. قال إنه لم يقصد أبداً جرح مشاعري، وقال إنه يكره نفسه على ما فعله».

- «حسناً».

- «قال إنه كان سيخبرني، وإنه كان يحاول استجماع شجاعته لفعل ذلك».

- «حسناً...».

أخذ صوتها يرتجف، ما جعلني أتوتر.

- «إنه يحبها، ويريد الطلاق مني».

انتصبتُ جالسةً على السرير: «هو من يريد الطلاق؟».

أومأت برأسها، مذهولة مثلي تماماً.

- «قال إنه بإمكانني الاحتفاظ بالمنزل وإنه لن يطالب بتسوية.

قال إنني أستحق كل ما بوسعه أن يقدمه لي. قال إنه يحبني، لكنه لم يقع في غرامي، وإنه آسف لأن لم تكن لديه الشجاعة الكافية لمواجهة هذه الحقيقة من قبل».

فغرت فمي من هول الصدمة.

- «قال إنه كان عليه التعامل مع الأمر بشكلٍ مختلف، ولكنه

يعلم أن الطلاق أفضل لكليتنا».

- «سأقتله».

هزت رأسها: «لا. أنا بخير نوعاً ما».

- «ماذا؟».

- «أظن أنني مصدومة، فلا تأخذي كل ما أقوله على محمل

الجد».

- «حسناً...».

- «ولكن لطالما خامرني إحساس بأنه قد يكون هناك شخص

أفضل لي».

- «حقاً؟».

- «نعم. كنا معاً منذ الجامعة، ثم تابع كلانا المزيد من

الدراسة. من لديه الوقت لمواعدة شخص آخر في تلك الظروف؟

صحيح؟ بقيت معه لأنني... لم أر سبباً يمنع ذلك. كنت أشعر معه

بالراحة وكنا سعيدين بما يكفي. ثم بلغت عمراً شعرت فيه أنه ينبغي عليّ أن أتزوج، وكانت الأمور على ما يرام بيننا. دائماً». - «على ما يرام فحسب؟».

قالت: «صحيح، أعني لا أعلم. كنت أتمنى أحياناً لو أن لدي علاقة تكون أكثر من مجرد على ما يرام، شخصٌ يجعلني أشعر بأنني قرة عينه، ولكنني توقفت عن الاعتقاد بوجود ذلك الشخص. ثم فكرت، لماذا لا أتزوج رجلاً مثل مارك؟ إنه رجل لطيف». - «أمر مشكوك به».

ضحكت: «صحيح. لطفه مشكوك به الآن، ولكن في ذلك الوقت لم أفكر مرتين. كنت على علاقة جيدة مع رجل مستقر يرغب بالزواج مني وبشراء منزل والقيام بكل تلك الأمور. لم يكن هناك من سبب لأبتعد عنه. كما أنني كنت سعيدة. أشك بأنني كنت سأعبر عن أي من هذا لو لم يحدث ما حدث، فأنا لم أفكر فيه من قبل. لقد كنت سعيدة بما يكفي. كنت كذلك حقاً».

بدأت بالبكاء مجدداً، فسألتها: «هل أنت بخير؟». حاولت تمالك نفسها: «لا، أنا مُحطمة تماماً. ولكن...». - «ولكن ماذا؟».

- «عندما كان يكلمني، أخذت أفكر أنه لو كنت قابلت شخصاً أفضل بالنسبة لي وشعرت بشغفٍ تجاهه، لكنت رغبت بالانفصال عن مارك. هذه هي الحقيقة. كنت سأرغب بالانفصال. لا أعتقد أنني كنت سأفعل ما فعله، ولكنني كنت سأرغب بذلك». دخلت شارلمان الغرفة وتكوّرت على نفسها. سألتها: «ماذا الآن؟».

- «الآن؟ لا أعلم. يصعب عليّ التفكير على المدى البعيد. أنا مفطورة القلب وبائسة ومرتاحة نوعاً ما ومُحرجة ومشمّزة تماماً».
- «ربما ينبغي علينا أخذ الأمور بروية في هذه المرحلة».
- «نعم».
- «أشعر برغبة ملحة في تناول لفائف القرفة».
- ضحكت: «يبدو ذلك رائعاً. مع الكثير من الكريمة؟».
- «من يرغب في تناول لفائف القرفة مع القليل من الكريمة؟».
- «تماماً!».
- «ربما كل ما ينبغي علينا فعله الآن هو الذهاب لشراء لفائف القرفة مع الكثير من الكريمة».
- «نعم، أنا والمرأة الحامل سنتناول نصف دزينة من لفائف القرفة».
- «صحيح».
- ذهبت لترتدي حذاءها بينما لبستُ معطفاً وشبشباً. يمكنك فعل ذلك في لوس أنجلوس.
- ركبنا السيارة.
- «لم يتصل بك إيثان، أليس كذلك؟».
- هزرت رأسي: «سيتصل حين يقرر ما يريد فعله».
- «وحتى ذلك الحين؟».
- قلت مازحة: «لن أجلس وأنتظر اتصالاً من رجل ما، صديقتي المقربة لن تقبل لي ذلك».
- هزت كتفها: «لا أعلم، قد تُعتبر هذه ظروفًا مخففة».
- «إن رغبت أن يستمر معي، فسيستمر معي. وإن لم يرغب،

فسأتجاوز الأمر. لدي طفل لأربيه ووظيفة لأبدأ العمل بها. لدي الكثير لأهتم به. لا أعلم إن كنت أخبرتك بذلك، فصديقتي المقربة تتطلق».

ضحكت: «يا للعجب! صديقتي حامل بطفلٍ ليس من حبيبها!». - «تمزحين!».

- «لا! أنت إلى المنزل منذ بضعة أيام وهي تحمل معها كلبة قررت فجأة أن تتبناها».

- «واو. صديقتك هذه تبدو مجنونة».

- «وصديقتك أيضاً».

- «هل تعتقدين أنهما ستكونان بخير؟».

- «أعلم أنه ينبغي عليّ أن أقول نعم، ولكن في الحقيقة، أعتقد أنه محكوم عليهما بالفشل لا محالة».

رحنا نضحك. قد يبدو الأمر أكثر تسلية بالنسبة لنا مما يبدو لأي شخص آخر، ولكن الطريقة التي قالت بها إنه «محكوم عليهما بالفشل» أوضحت أننا لسنا كذلك على الإطلاق، وقد بدا لنا ذلك مضحكاً للغاية.

بعد أحد عشر يوماً من العلاج، غادرت المستشفى اليوم. سأعود مجدداً إلى مركز العيادات الخارجية بعد يومين لمقابلة تيد، المعالج الفيزيائي، وسأداوم على ذلك بضع مرات في الأسبوع خلال الفترة المقبلة.

كانت الدكتورة ونترز قد هيأتني لذلك، بحيث أنها راجعت معي كل التفاصيل حتى حفظتها عن ظهر قلب.

جاءت غابي لتساعدني على حزم أمتعتي. كان من الصعب عليّ الذهاب إلى الحمام لوحدي، لكنني مشيت إليه ببطء لأنظف أسناني. استعنت بالمشاية الطبية للاقترب من المغسلة. وقفت أمام المرأة ونظرت إلى نفسي للمرة الأولى منذ ما يقارب الأسبوعين. لدي كدمة خفيفة في الجانب الأيسر من وجهي، بالقرب من صدغي. أنا متأكدة أنها كانت متورمة عندما وصلت إلى هنا، ولكنها لا تبدو مخيفة الآن. بدوت شاحبة بالطبع، ولكنني أظن أن هذا بسبب بقائي في المبنى نفسه يوماً بعد يوم، بقدر ما هو بسبب مشاكلتي الصحية. شعري أشعث ولم أستحم بشكل طبيعي منذ دهر. اشتقت للنوم على سرير عادي والاستحمام لوحدي وتجفيف

شعري. وبطبيعة الحال، توجب إجراء بعض التعديلات حتى أتمكن من القيام بهذه الأمور، فقام مارك بتركيب مقعد في حوض الاستحمام ليتسنى لي الاستحمام من دون مساعدة. هذه هي أحلامي حالياً.

مع اقتراب موعد مغادرتي المستشفى، بدأت أدرك حجم الانتكاسة التي سببها الحادث في حياتي. فقبل أسابيع فقط، اعتقدت أن بحلول هذا الوقت سأكون قد اشتريت سيارة أو بدأت بالبحث عن عمل على الأقل. عوضاً عن هذا، تراجعت أحوالي عما كانت عليه.

ولكن أعرف أيضاً أنني قطعاً شوطاً طويلاً في طريقي نحو الشفاء، وفي مسيرتي كشخص. لقد واجهت أموراً لم أكن لأواجهها لولا الحادث. مدّنتي رؤيتي لنفسني في المرأة للمرة الأولى منذ مجيئي إلى هنا بالقدرة على مواجهة أبشع الحقائق: قد يكون من رحمة القدر وقوفي هنا، غير مثقلة بجنين ينمو في بطني.

لست مستعدة لأصبح أمّاً، بل إنني بعيدة كل البعد عن ذلك. نظفت أسناني ببطء بحبيث أصبحت لامعة ومصقولة حين انتهيت.

سألني غابي: «لماذا توجد دائماً حلوى بودينغ في غرفتك؟». التفّتُ إليها ببطء.

كانت تحمل في يدها كوباً من البودينغ بالشوكولاتة. لا أعلم متى أحضرت إلى غرفتي، ولكنني أعلم أن هنري هو من أحضرها. لقد جاء بحلوى البودينغ في وقتٍ ما البارحة، لقد ترك لي حلوى البودينغ بالشوكولاتة. هل يعني هذا شيئاً؟ انتقلت غابي من البودينغ إلى موضوع آخر.

- «ستأتي الدكتوراة وتمرز في أي لحظة للاطمئنان عليك ولتصرّح لك بالخروج. لقد قرأت كل الوثائق حتى أنني بحثت عن موضوع إعادة التأهيل بالعلاج الطبيعي...».
- لا يعقل أن تُحضر حلوى البودينغ لشخص لا تكثرث لأمره.
- «هل يمكنك أن تحضري لي الكرسي المتحرك؟».
- «أوه، بالطبع، ظننت أنك ستدربين على المشاية حتى يحين موعد خروجك».
- «سأذهب للبحث عن هنري».
- «الممرض الليلي؟».
- «لقد أصبح يعمل نهاراً في طابق آخر. سأذهب لأبحث عنه وسأطلب منه الخروج معي في موعد».
- «هل تعتقدين أنها فكرة جيدة؟».
- «لقد أحضر لي البودينغ».
- كان هذا جوابي الوحيد. انتظرتُ أن أقول شيئاً آخر، ولكنني لم أفعل. هذا كل ما لدي: لقد أحضر لي البودينغ.
- عندما أدركتُ أنني لن أغيّر رأيي، سألتني:
- «هل أرافقك؟».
- هزئت رأسي: «أريد أن أفعل ذلك لوحدي».
- استغرق جلوسي على السرير أكثر من نصف دقيقة، ولكنني شعرت بالارتياح على الفور. سحبت غابي الكرسي المتحرك ووضعتَه بجواري.
- «هل أنت متأكدة أنك لا تريدين أن آتي معك؟ لأدفع الكرسي عوضاً عنك؟».

- «سأحتاجك لاحقاً لمساعدتي على الاستحمام. كما أنني أمل أن أجنب نفسي تجربة مشاهدتك لي وأنا أعترف له بمشاعري، خاصة وأنه سيصدني على الأرجح».

- «لا تستعجلي في الأمر وفكري ملياً».

- «ومتى سأخبره؟ ما الذي سأفعله؟ هل أتصل به؟» «مرحباً مستشفى، هنري من فضلك. أنا هانا». لا يستجمع المرء هذا النوع من الشجاعة إلا مرات قليلة في حياته، وها أنا غبية بما يكفي لأستجمعها للتو، فساعدني في الجلوس على هذا الكرسي اللعين كي أذهب وأجعل من نفسي أضحوكة».

ابتسمت: «حسناً. فهمت».

ساعدني في الجلوس على الكرسي، وسرعان ما بدأت أدرج عجلاتي.

- «تمنّي لي حظاً سعيداً!».

توجهت نحو الباب ثم أوقفت الفرامل فجأة كما تعلمت.

- «هل تظنين أنك قادرة على معرفة ما إذا كان شخص ما مناسباً تماماً؟».

- «تقصدين أنك تقابلينه فتشعرين أنه ليس كبقية الناس؟ أنه مميز؟».

- «نعم، هذا ما أعنيه تماماً».

- «لا أعلم، ربما، لكنني أرغب في أن تكون الأمور كذلك حقاً، ولكنني لست متأكدة. عندما التقيت بمارك، بدا كطبيب أسنان».

قلت بارتباك: «هو طبيب أسنان فعلاً».

- «نعم، ولكن حين كنا في الجامعة وكنت في التاسعة عشرة، خُيِّل لي أنه سيصبح طبيب أسنان عندما يكبر».

- «هل تعنين أنه بدا متزنأ؟ ذكياً؟ ماذا؟ ما الذي تحاولين قوله؟».

- «لا شيء. انسي الموضوع».

حاولت فهم ما ترمي إليه فسألتها: «هل ظننت أنه بدا مملاً؟».

- «بدا لي عادياً، ولكنني كنت مخطئة، أتفهمين؟ أعني أن هذه المشاعر التي تتحدثين عنها لم أعشها مع زوجي، وتبيّن في النهاية أنه رجل رائع. لذا لا أستطيع تأكيد أو نفي فكرة معرفة أن الشخص مناسب تماماً».

أظن أنه يمكننا معرفة ذلك. هذا ما أظنه. لطالما ظننت ذلك. ظننته عندما قابلت إيثان لأول مرة. ظننت أن هناك شيئاً ما يميزه، واتضح أنني على حق. انظر إلى العلاقة التي جمعتنا. صحيح أنها لم تدم طوال الحياة، لكن لا بأس في ذلك. كانت علاقة صادقة. وهذا هو شعوري تجاه هنري الآن.

ولكن لا أعرف كيف أوفق بين ذلك وما قالته غابي. لا أريد أن أقول لها إنني أؤمن أنك تعرف عندما تلتقي بالشخص المناسب، لأن هذا بمثابة قلبي إن مارك ليس الرجل المناسب لها.

قلت: «ربما يستطيع بعض الناس معرفة ذلك».

- «نعم، ربما. ولكن المهم هو أنك تشعرين بذلك».

- «نعم. صحيح، ينبغي أن أخبره».

- «ماذا ستقولين له؟».

أدرتُ الكرسي المتحرك: «فعلاً، ماذا سأقول؟».

فكرت بالأمر لبرهة.

- «دعينا نتدرب. لنقل إنك هنري».

ابتسمت غابي ثم جلست على السرير، متقمصة شخصية هنري بجلستها الرجولية.

- «لا إنه لا يبدو هكذا، كما أنه سيكون واقفاً».

وقفت: «أوه، آسفة، أردت فقط أن أسهل عليك الأمر لأنك...».

- «... على كرسي متحرك، أعلم ذلك، ولكن لا تهيني عليّ الأمر. إذا كنت سأتجول في الردهات بحثاً عنه، فسيكون واقفاً على الأرجح، وسأكون جالسة».

- «حسناً لنبدأ».

أخذت نفساً عميقاً وأغمضت عيني ثم بدأت: «هنري، أعرف أن هذا يبدو جنونياً...».

- «لا، إياك أن تبدئي بذلك. لا تبدئي كلامك بـ «أعرف أن هذا يبدو جنونياً» أبداً. كوني واثقة من نفسك. لا تقللي من شأنك. سيكون محظوظاً أن يكون معك، لديك شخصية استثنائية، وقلب من ذهب، وتفائل معدي. أنت فتاة أحلام أي رجل. لا تقللي من شأنك».

قلت: «حسناً»، ثم نظرت إلى ساقبي وأضفت: «لا أعلم بشأن ذلك يا غابي، أنا مقعدة. لست بأفضل حالاتي الآن».

- «أنت هانا مارتن، وأسوأ حالاتك هي جيدة بما يكفي. كوني هانا مارتن فحسب. هيا».

- «حسناً»، قلت محاولة من جديد، وحينها انساب الكلام بكل

سلاسة: «هنري، أظن أن هناك شيئاً ما يحدث بيننا. أعلم أنني مريضتك وأنت ممرضي، وأن هذا مخالف للقوانين، ولكنني أعتقد حقاً أننا يمكن أن نعني شيئاً أحداً للآخر. كم مرة يمكنك أن تقول ذلك عن شخص ما وتعني حقاً ما تقوله؟ أنه لدينا فرصة لنبداً قصة رائعة؟ أريد أن أرى أين سينتهي بنا الأمر. هناك شيء يميزك يا هنري. هناك شيء يميزنا. أنا متأكدة من ذلك».

نظرتُ إلى غابي: «كيف كان ذلك؟».

حدقتُ بي: «هل هذه مشاعرك الحقيقية تجاهه؟».

أومأت: «أجل».

- «اذهبي وابحثي عنه إذاً! لماذا تتدربين معي بحق الجحيم؟».

ضحكت: «ماذا سيكون ردّه برأيك؟».

- «لا أعلم، ولكنه سيكون أحق إذا صدك».

- «هذا لا يريحني».

هزت كتفيها: «يمكن للحقيقة ألا تريحنا. اذهبي الآن».

وهذا ما فعلت.

خرجت من الغرفة ودفعت بعجلاتي في الردهة نحو مركز الممرضين والممرضات. سألتهم عن مكان هنري فقالوا إنهم لا يعلمون، فدخلت المصعد وذهبت إلى الطابق العلوي بحثاً عنه. لن أتوقف حتى أجده.

ليلة السبت، سهرنا أنا وغابي نشاهد فيلماً، وجلست شارلمان على وسادتها عند أقدامنا. طلبنا طعاماً تايلاندياً، وشرعت غابي بتناول طبق الباد تاي قبل أن أتمكن من تناول شيء منه.

- «أنت تعلمين أنني حامل، أليس كذلك؟ يجب أن تُسَنِّحَ لي الفرصة لتناول بعض الطعام على الأقل».

واصلت غرف النودلز في فمها وهي تحديق في التلفاز دون أن تلتفت إلي.

- «زوجي خائني ثم هجرني. لست مضطرة أن أكون لطيفة مع أحد».

- «أوه، حسناً لقد فزت».

رن الهاتف، وأصبت بالدهشة عندما رأيت اسم المتصل. كان إيثان.

أوقفت غابي الفيلم: «ردّي عليه!».

- «مرحباً».

- «مرحباً. هل الوقت مناسب؟».

- «بالطبع . نعم» .
- «أفكر في أن آتي لزيارتك، إذا كنت لا تمانعين . يمكنني أن أمر الآن» .
- «نعم، بالتأكيد . تعال» .
- أغلقتُ الهاتف ثم نظرت إلى غابي : «ما الذي سيقوله؟» .
- «كنت على وشك أن أسألك : «ماذا قال؟»» .
- «قال إنه سيأتي . قال إنه سيمر بي» .
- «ما الذي قاله بالضبط؟ سيأتي أو سيمر بك؟» .
- «كلاهما، في البداية قال الأولى ثم قال الثانية» .
- «أيهما أولاً؟» .
- «يأتي، نعم، ثم قال إنه سيمر بي» .
- «لا أعلم ما إذا كان هذا شيئاً جيداً أم سيئاً» .
- «وأنا أيضاً» .
- غمرني فجأة شعور باليأس . ما الذي سيحدث؟
- «هل تعتقدين أنه من الممكن أن يتقبل الوضع؟ أنني قد لا أخسره؟» .
- «لا أعلم!» .
- إنها تشعر بالتوتر مثلي تماماً .
- «لا ينبغي على امرأة أن تنفصل عن حبيبها وهي حامل . كل هذا القلق مضر للطفل» .
- «هل ستبدلين ملابسك؟» .
- نظرت إلى نفسي . كنت أرتدي سروالاً أسود ضيقاً وسترة واسعة .

- «هل أغيرها؟».

- «نعم، من باب الأدب».

- «حسناً. ماذا أرتدي؟».

نهضت وذهبت إلى غرفتي وأنا أفكر فيما ينبغي أن أرتديه.

صاحت غابي عبر الدرج: «ماذا عن تلك الكنزة الحمراء؟

ارتدي سروال جينز أو شيئاً من هذا القبيل. كوني بسيطة».

- «حسناً، فهمت».

أطلّيت برأسي للتحدث معها: «بسيط ولكن أنيق».

- «صحيح. وصفني كعكتك أيضاً فقد بدأت تنسدل».

- «حسناً».

دق جرس المنزل عندما كنت أضع المكياج. شعرت بأنني

أصبحت سمينّة في الآونة الأخيرة. في الحقيقة، لا أعلم هل

أصبحت سمينّة حقاً أو توهمت ذلك فحسب، أم كلاهما معاً.

قالت غابي: «سأفتح الباب!».

ثم سمعتها تصعد الدرج وتركض بعيداً عن الباب ونحو غرفتي.

وقفت أمام الباب: «قبل أن أفتح له...».

«ماذا؟».

- «أنت مذهلة. أنت ذكية ومحبة، وأنت أفضل صديقة عرفتتها

في حياتي، وأنت أفضل شخص في هذا الكون كله. لا تنسي هذا

أبداً».

ابتسمت لها: «حسناً».

ثم استدارت وركضت نحو الأسفل لتفتح الباب. سمعتها

ترحب به، فخرجت من غرفتي ونزلت الدرج.

قلت: «مرحباً».

- «مرحباً. هل يمكننا أن نتحدث؟».

- «بالطبع».

قالت غابي: «اذهبا إلى غرفة الجلوس، كنت سأصطحب شارلمان في نزهة على أية حال».

انحنى إيثان وداعب شارلمان بينما أمسكت غابي بالحبل ولبست حذاءها، ثم أخذت شارلمان وخرجت.
نظر إليّ إيثان.

لم نكن بحاجة للتحدث عن شيء. عرفت ما الذي أتى ليقوله من تعابير وجهه الحزينة.
لقد انتهينا.

كل ما عليّ فعله هو تحمّل هذه اللحظة، هذا كل ما عليّ فعله.
وحين يغادر، يمكنني البكاء حتى تجف دموعي.
قلت: «بإمكاننا الجلوس».

كنت فخورة من نفسي لأن نبرة صوتي بدت هادئة.
قال دون أن يتحرك من مكانه: «لا أستطيع فعل ذلك».
- «أعلم».

أخذ صوته يتقطع، وذقنه يرتجف قليلاً.
- «لقد اعتقدت لسنوات أن كل ما أحтаجه هو أن تعود لي، وسيكون كل شيء على ما يرام».

كان حزيناً لدرجة أنني شعرت وكأنه لم يترك لي مكاناً للحزن.
- «أعلم. لنذهب ونجلس».

أخذه إلى الأريكة، ثم جلست لكي يجلس مثلي. الجلوس يساعد الناس الحزينين، على ما أظن. لاحقاً عندما ينصرف وأكون أنا الحزينة، سأجلس، سأجلس هنا بالضبط.

- «أنا مَنْ أفسدتُ الأمور. لم يكن ينبغي علينا أن نفصل حين كنا في الجامعة. كان يجدر بنا البقاء معاً. كان يجدر بنا... كان يجدر بنا أن نتصرف بطريقة مختلفة».

- «أعلم».

- «لست مستعداً للخوض في كل هذا. أنا لا أستطيع ذلك».

كنت أعرف أن هذا ما كان سيقوله، ولكن مع ذلك شعرت عند سماع الكلمات وكأن لكمة وُجِّهت إلى صدري.

- «أتفهمك تماماً».

عנית ذلك. تمنيت لو أنني لم أتفهم، فلربما كنت سأشعر بالغضب حينها. لكن لا يحق لي أن أغضب، فكل ما يحدث هو من صنع يدي.

- «حاولت تقبّل الفكرة، قلت لنفسي إنني سأعتاد على الأمر، وإن كل شيء سيكون على ما يرام. قلت لنفسي إذا كان الشخص مناسباً لي، فلن يقف أي شيء في طريقنا. حاولت إقناع نفسي بأنني أستطيع فعل ذلك».

- «أنت لست مضطراً...».

- «لا. أنا أحبك. لقد عנית ذلك حين قلته وما زلت أعنيه الآن. وأريد أن أكون معك في كل شيء تمرين به في حياتك، وأريد أن أكون الرجل الذي يمكن أن يقول: «حسناً، أنت حامل بطفل من رجل آخر، لا بأس بذلك»، ولكن لست ذلك الرجل يا هانا. أنا

لستُ مستعداً لإنجاب طفلي بعد، فما بالك بطفل رجل آخر. أعلم أنك قلت إنك لن تطلبي مني أن أكون أباً له، أعلم ذلك، ولكن كيف لي أن أحبك ولا أشارك هذا؟ كيف لي ألا أكون معك في كل هذا؟ سيتسبب هذا بخلق شرخ بيننا قبل أن ننهض بعلاقتنا.

- «اسمع يا إيثان، أنا أفهمك وأنا آسفة جداً أنني وضعتك في هذا الموقف. لم أرد فعل هذا أبداً، إيجابارك على الاختيار بين الحياة التي تريدها وبقائك معي».

- «أنا أريد أن أكوّن عائلة يوماً ما، وأنا أوّمن تماماً أن بإمكاننا أن نحظى بمستقبل رائع معاً، ولكن لا أظن أنني مستعدٌ لذلك الآن، لأن يكون لنا طفل، حتى لو كان مني».

- «في الواقع، أنت لا تعلم ما أنت مستعد له، حتى تجربته». لم أكن أحاول إقناعه بشيء. كان ذلك شيئاً تعلمته في الآونة الأخيرة فحسب.

- «لو أتيتُ إليك الأسبوع الماضي وقلتُ: «دعينا ننجب طفلاً يا هانا»، ماذا كنت ستقولين؟».

- «كنت سأقول إن هذا جنون، وإنني لست مستعدة لذلك». كرهت فكرة أنه كان على حق.

- «أنا لست مستعداً لتربية طفل رجل آخر، وأنا مُخرج من قول ذلك، حقاً، لأنني أريد أن أكون الرجل الذي تحتاجينه. كم مرة قلتُ لك إنه لا يمكن لأي شيء أن يفسد ما بيننا؟». أوامات بتفهم.

تابع: «أريد أن أكون الرجل المناسب لك ولكنني لست كذلك. لا أصدق أنني أقول ذلك ولكن... أنا لست الرجل المناسب لك».

نظرتُ إليه . لم أتفوه بكلمة . ما من شيء يمكنني قوله من شأنه تغيير حقيقة مشاعرنا . أنا أفضل المشاكل التي لديها حلول ، الصراعات التي يكون فيها أحد الطرفين محقاً والآخر مُخطئاً ، وكل ما علينا فعله هو معرفة المحق من المخطئ .

أما هذا الوضع فليس كذلك .

مد إيثان يده وأمسك بيدي وضغط عليها ، وبهذه الحركة البسيطة ، لم يعد هو الحزين ، بل أنا .

قال : «من يعلم ، ربما سينتهي بي الحال لأصبح أباً عازباً بعد بضع سنوات ، وحينها سنلتقي من جديد . ربما الوقت ليس مناسباً . ربما وقتنا لم يحن بعد» .

«ربما» .

كان قلبي ينفطر . كنت أشعر به ينفطر .

ابتلعت ريقى بصعوبة وتماكنت نفسي وقلت : «لنترك الأمور على هذا الحال . كما في الثانوية ، وقتنا لم يحن بعد . ربما ، في يوم ما ، سيكون الوقت مناسباً . ربما نحن في منتصف قصة حب طويلة» .
- «تُعجبني هذه الفكرة» .

«أو ربما ليس مقدراً لنا أن نكون معاً ، وربما هذا خير لنا» .

أوماً برأسه قليلاً ، ثم نظر إلى حدائه : «ربما ، نعم ، ربما» .

لم أعر على هنري في الطابق الذي أنز فيه، ولا في أي من الطوابق العليا. سألت الممرضين والإداريين وثلاثة أطباء، وزائرين ظننتهما من طاقم المستشفى. دُست بعجلاتي على ثلاثة أقدام وأوقعت سلّة مُهملات على الأرض. لا أظن أنني واجهت صعوبة في دفع كرسيّ المتحرك، بل كانت حركاتي غير منسقة فحسب.

عندما لم أجدّه في الطابق السادس، عدت إلى المصعد ونزلت إلى الطابق الرابع، أي الطابق الذي يقع تحت طابقي مباشرة. هذه آخر محاولة. أشارت أضرار المصعد إلى أن الطوابق الثلاثة الأولى تحوي البهو والكافتيريا والمكاتب الإدارية، فلا بد أن يكون في الطابق الرابع. إنه الوحيد المتبقي.

فُتح باب المصعد، وكان هناك رجل ينتظره. وحين أدرت عجلاتي لأخرج، أبقى باب المصعد مفتوحاً حتى عبرت، ثم ابتسم لي ودخل. كان وسيماً بشكل لافت، وبدا في أواخر الأربعينيات من عمره. تساءلت للحظة ما إذا كان قد ابتسم لي لأنه أعجب بشكلي، ثم تذكرت أنني مقعدة. لا بد أنه أشفق عليّ وأراد مساعدتي. ألمي هذا الإدراك وذكرني باليوم الذي اعتقدت فيه أن الناس كانوا ينظرون إليّ

في محل البقالة إعجاباً بتسريحة شعري، لأكتشف لاحقاً أن مخاطاً كان ظاهراً من أنفي. إلا أن حادثة المصعد كانت وطأتها أسوأ. تجاهلتها كما أتجاهل كل شيء يضايقني، أخذت نفساً عميقاً استعداداً لإكمال رحلتي في البحث عن هنري، فأوقفتني ممرضة في مكاني.

- «هل يمكنني مساعدتك؟».

- «نعم. أنا أبحث عن هنري. إنه ممرض هنا».

- «ما هو اسم عائلته؟».

كانت الممرضة طويلة وعريضة الكتفين، شعرها قصير وخشن. بدت وكأنها مارست هذا العمل لزمان طويل، وسئمت منه ربما.

في الحقيقة، لم أكن أعرف اسم عائلة هنري، إذ لم يذكره أي من الممرضين الذين سألتهم من قبل، ربما لأنه لم يكن هناك أي ممرض اسمه هنري في تلك الطوابق أصلاً. وقد يكون سؤالها مؤشراً على وجوده هنا.

- «إنه طويل، شعره داكن وعيناه بنيتان. لديه وشم على ساعده. أنت تعرفين عمن أتحدث».

- «آسفة يا آنسة، ولكن لا يمكنني مساعدتك. في أي طابق تتعالجين؟».

ضغطت على زر المصعد. ظننت أنها طلبته لأجلي.

- «ماذا؟ الطابق الخامس. لا، أنصتي إلي. هنري صاحب الوشم، يجب أن أتحدث إليه».

- «لا يمكنني مساعدتك».

رن جرس المصعد أمامنا وفتح الباب. نظرت إليّ بترقب

ولكنني لم أتحرك من مكاني. رفعت حاجبيها، فرفعت حاجبي كذلك. أغلق باب المصعد، فقلبت عينها.

«لم يأت هنري اليوم. سيستأنف العمل في عنبري غداً. أنا لم أقابله من قبل، ولذلك لست متأكدة إن كان هنري الذي تقصدينه أم لا. لكن هنري الذي أعرفه نُقل ليعمل هنا لأن رئيسه شَعَرَ بأنه اقترب من أحد مرضاه أكثر من اللازم».

ضغطت على زر المصعد مجدداً.

- «هل سبب له ذلك أية مشاكل؟».

وفي اللحظة التي تفوهت فيها بالسؤال، أدركت أنه لم يكن ينبغي عليّ طرحه.

عبست في وجهي، كم لو أنني أكّدت لها أسوأ مخاوفها بشأني، وأني لم أستوعب ما قالته.

- «أراجع عن سؤالي. لن تساعدني في إيجاد خارج المستشفى أيضاً، صحيح؟ لن تعطيني اسم عائلته أو رقم هاتفه».

«هذا صحيح».

أومأت: «فهمت. هل يمكنك ترك رسالة له؟ مع رقم هاتفه؟».

رمتني بنظرة ضجرة.

- «أخمن أنه حتى لو فعلت ذلك، سترمينها».

- «دون أن أفكر في الموضوع حتى».

- «حسناً».

أدركت أخيراً أن اللقاء لن يحدث اليوم. حتى لو تمكنت من تجاوز هذه المرأة، فهو ليس في المستشفى أساساً، إلا إذا... كانت تكذب؟ وربما هو موجود هنا؟

ضغطت على زر المصعد.

- «حسناً. فهمتك بكل وضوح. لن أزعجك أكثر من ذلك».

رمقتني بنظرة جانبية. رن جرس المصعد وفتح الباب من جديد، لوّحت لها بيدي ثم أدت الكرسي لأدخل، بينما ذهبت في طريقها. تركت باب المصعد يُغلق ثم ضغطت على زر نفس الطابق الذي كنت فيه.

فتح الباب وغادرت المصعد. سرت بالكرسي عكس الاتجاه الذي كانت تنظر إليه، مُتجاوزةً مركز الممرضين، وما إن بلغت الزاوية حتى رأته.

- «أنتِ!».

انعطفتُ عند الزاوية ودفعت نفسي بكل قوة نحو نهاية الردهة. تعب ذراعاي وراح قلبي ينبض بسرعة مخيفة، ولكني واصلت طريقي. التفتُ فرأيتها تسير نحوي بخفة. بدا الغضب على وجهها، لكنني شعرت أنها لا تريد لفت الأنظار علينا.

ظهر أمامي بابان زجاجيان مزدوجان لا يفتحان من جهتي. لقد علقتُ، وصلتُ إلى طريق مسدود، وستمسك بي الممرضة الشريرة. وإذا، من الجهة الأخرى من البابين، رأيت طبيباً قادماً وقد يفتح البابين في أي لحظة الآن، ويمكنني من الدخول.

لا أعرف ماذا انتابني وجعلني أتصرف على هذا النحو. ربما رغبتني في العثور على هنري، أو لأنني ظللت لفترة طويلة رهينة غرفة ومُحاطة بأشخاص يملون عليّ أفعالي، أو ربما هي حقيقة أنني كدت أموت، ولا بد أن أمراً كهذا يجعلك لا تعرف الخوف. أو قد تكون هذه الأسباب الثلاثة مجتمعة.

فُتِح البابان فعبّرهما الطبيب . دفعت نفسي وأنا أدعو أن يُغلقا قبل أن تلحق بي الممرضة راتشد⁽¹⁾، لكن لم يكن هناك وقت لأتوقف وأنظر . واصلت دفع نفسي وأنا أبحث عن هنري في كل غرفة، وحين بلغت نهاية الردهة، استدرت لأنعطف يساراً، فشعرت بيدين تُحكما قبضتيهما على الكرسي، وفجأة، وجمت في مكاني .
لقد لحقت بي .

التفت ونظرت إليها : «ما الذي يمكنني قوله لك حتى لا تقبضي عليّ؟» .

دفعني إلى الأمام دون أن تأبه لسؤالي . ومع توقف الأدرينالين عن التدفق في جسدي فجأة، أدركت كم كان تصرفي غيباً وعقيماً . إنه ليس هنا حقاً، وإن لم أعد إلى المستشفى وأبحث عنه غداً مجدداً، فقد لا أتمكن من العثور عليه أبداً .
- «يمكنني دفع نفسي» .

- «لا» .

ضحكتُ بعصبية وقلت في محاولة لتلطيف الموقف : «أنا متأكدة أن هذه الأمور تحدث طوال الوقت» .
- «لا» .

وصلنا إلى المصعد وضغطتُ على الزر . لم أستطع النظر إليها .
انفتح الباب أمامنا .

- «حسناً . أظن أن لحظة الوداع قد حانت» .

حدّقت بي ووضعت يديها على الكرسي مجدداً .

(1) الممرضة راتشد هو مسلسل يحكي قصة ممرضة متوحشة تُدعى ميلدريد راتشد تعمل في مصحة عقلية .

- «لا».

دفعتنى لندخل إلى المصعد معاً وضغطت على زر الطابق الخامس.

جلستُ بكل هدوء وأنا أنظر أمامي بينما وقفتُ بجانبى. حين انفتح باب المصعد، دفعتنى نحو محطة الممرضين.

- «مرحباً يا ديانا. هل يمكنك أن تخبرينى بغرفة هذه المريضة؟».

قلتُ لها: «أستطيع إخبارك أنا. غرفتي هناك مباشرة».

- «إن لم يكن لديك مانع يا سيدة الكرسي، أفضل أن تخبرنى ديانا».

ضحكت ديانا: «هانا محقّة. غرفتها هناك».

أشارت ديانا إلى الباب، فدفعتنى الممرضة راتشد نحو غرفتي حيث كانت غابى تنتظرني.

عندما رأنا غابى، لم تستوعب الموقف تماماً.

- «ما الذى حدث؟».

تكلمت الممرضة راتشد قبلى ووجهت كلامها إليّ: «اسمعى، كلنا نتخذ قرارات خاطئة أحياناً، وربما تمرين بفترة صعبة في حياتك، لذلك سأتجاوز ما حدث. ولكنك لن تنزلى إلى طابقي مجدداً، مفهوم؟».

أومأت لها بالموافقة، فهمت بالمغادرة.

ناديتها: «يا ممرضة...»، ثم أدركت أنه لا ينبغي عليّ أن أنادىها بالممرضة راتشد في وجهها، فاستركت: «المعذرة، ما اسمك؟».

- «هانا» .

«بحق السماء! أنا أحاول أن أعتذر منك . كل ما طلبته هو اسمك» .

- «أعلم . اسمي هانا» .

- «أوه، أنا آسفة» .

نظرت الممرضة هانا إلى غابي : «هل هي دائماً بهذا اللطف؟» .
قالت لها غابي : «ليست هذه أفضل أيامها» .

أظن أن هذا أكثر ما يمكنها قوله للدفاع عني ، فقدّرتُ لها ذلك .

- «كل ما أريد قوله هو أنني أعتذر عما سببته لك من متاعب .
لقد أخطأت» .

- «حسناً . شكراً لك» .

ثم استدارت لتغادر .

- «هانا» .

عادت والتفت نحوي .

- «أنا من طاردته» .

- «عذراً ، ماذا؟» .

- «أقصد أن تقرّبنا بعضنا من بعض لم يكن خطأ هنري ، فقد
تصرف معي بكل مهنية ، وأنا من طاردته . كان يقول باستمرار إن
علاقتنا مهنية بحتة ، ولكنني واصلت الضغط عليه وحاولت إقناعه
بتغيير رأيه . إنه خطئي أنا . إنه ليس . . . لا أريد أن تنظروا إليه على
أنه غير مهني بسبب طريقة تصرفي معه . لقد كان خطئي أنا» .

أومأت برأسها وانصرفت . لا أدري إن صدقتني أم لا ، ولكن

تصرفاتي اليوم أكدت لها أنني واهمة على الأقل، وهو شيء لعب بصالحي.

التفتُ نحو غابي: «لم يكن موجوداً هناك، وتسببتُ في مشكلة».

- «ألم تُلقني خطابك المؤثر؟».

هززت رأسي: «لكن كانت هناك مُطاردة».

«حسناً، أظن أن أحداث اليوم تكفي. لقد أتت الدكتوراة ووترز أثناء غيابك وأعطت الإذن لخروجك».

«سغادر؟».

«نعم».

«ماذا أفعل بشأن هنري؟ لا يمكنني المغادرة وأنا أعلم أنني لن أراه مجدداً».

«لا أعلم. ربما ستصادفينه يوماً؟ هنا في المستشفى، أثناء حضورك جلسات العلاج الطبيعي؟».

«ربما».

- «إذا كان ذلك مُقدّراً لكما، فستجدان أحكما الآخر، صحيح؟».

- «صحيح. لا أعلم. أظن ذلك».

وضعت يديّ غريزياً على مسندي الذراعين كما لو أنني سأقف، ثم تذكرت من أنا وما الذي يجري.

دخلت ديانا: «هل أنت مستعدة للمغادرة؟».

- «نعم يا سيدتي».

حملت غابي أغراضي ودفعتني ديانا نحو المصعد، وبقيتُ معنا بينما كنا ننزل إلى الأسفل، فتساءلت عما إذا كانت ديانا تطبق

القوانين المتبعة في المستشفى، أم أنها كانت تظن أنني قد أهرب. توقف المصعد لدقيقة عند الطابق الرابع، لتدخل امرأة مسنة. شاهدت الممرضة هانا تقف في مركز الممرضين وتحدث إلى أحد المرضى. نظرت إليّ ثم أشاحت ببصرها. أقسم أنني رأيت ابتسامة صغيرة على وجهها، ولكنني أرى ما أريد أن أراه أحياناً.

حين وصلنا البهو، أخبرتني ديانا أنني أستطيع الاحتفاظ بالكرسي المتحرك. للحظة، تحمست للفكرة. رائع، كرسي متحرك مجاني! ثم تذكرت أنني أصبحت شخصاً يُقدّم له كرسي متحرك. شكرت ديانا عند خروجنا إلى الشارع، فلوّحت لنا بيدها وعادت إلى الداخل.

كان مارك ينتظرنا في السيارة. ترحل منها وركض نحوي. أدركت أنها المرة الأولى التي أراه فيها منذ الحادث، وهو أمر غريب بعض الشيء، أليس كذلك؟ ألم يكن من المفترض أن يزورني؟ كنت سأزوره لو كان الوضع معكوساً.

وضع مارك وغابي أغراضي في السيارة، بينما دفعت نفسي نحو الباب. حاولت فتحه بنفسي ولكنني لم أستطع. نظرت إلى أعلى المبنى وأنا أنتظر أن يأتي أحدهما ليفتح لي الباب. قد لا أرى هنري مجدداً أبداً.

فتحت غابي الباب وساعدتني على الجلوس في المقعد الخلفي. وضع مارك الكرسي في صندوق السيارة، ثم انطلقنا. إذا كان مقدراً لي أن أجده، فسأجده. أظن أنني أوّمن بذلك حقاً.

لكنني تمنيت لو أنني من يقرّر ما هو مقدّر لي أحياناً.

غادرت غابي في وقتٍ مُبكر من الصباح لقضاء اليوم برفقة والديها. كان مارك سيعود لاحقاً ليأخذ ما تبقى من أمتعته، ولم ترغب غابي أن تكون في المنزل حينها.

جاء مارك مرة واحدة فقط منذ رحيله، ليأخذ بعض البذلات والمُتعلقات الشخصية، ولكنه لم يصادف أيّاً منا في المنزل. وبصراحة، شعرنا بالرغبة بعض الشيء عندما عدنا إلى المنزل ورأينا أنه قد تم العبث به. غيرت غابي أقفال الأبواب بعد ذلك، فيحتاج مارك الآن أن تتواجد إحدانا هنا عندما ينقل أغراضه. ومن البديهي أنني المرأة المناسبة لهذه المهمة.

في بريده الإلكتروني، ذكر مارك أنه سيكون هنا بحلول الظهيرة، ما ترك لي فسحة طويلة من الوقت قبل قدومه، فقررت أنه الوقت المناسب للاتصال بوالديّ ومشاركتهما الخبر الجديد، قبل أن يخرجنا لتناول العشاء في لندن.

اتصلت بهاتفهما الأرضي وأنا متحفّزة لإخبارهما بأنني حامل في اللحظة التي يرفع فيها أحدهما السماعة. عزمت أن ألقى الخبر بسرعة قبل أن أبدأ بالقلق بشأن رد فعلهما.

لكن الصوت الذي سمعته يقول «مرحباً» على الطرف الآخر من الخط لم يكن صوت أمي أو أبي، بل صوت أختي.

- «سارة؟ ما الذي تفعلينه في شقة بابا وماما؟».

- «هانا! مرحباً! لقد أتيتُ برفقة جورج لنقضي عطلة نهاية

الأسبوع هنا».

جعلتني لهجتها البريطانية عندما لفظت «نهاية الأسبوع» أقلب عيني لا شعورياً. سمعت صوت أبي وهو يسألها عن المتصل، ثم سمعت صوتها يبتعد عن السماعه: «إنها هانا يا أبي، هدي من روعك... بابا يُريد التحدث معك».

- «أوه، حسناً».

لكنها بقيت ممسكة بالسماعة.

- «أريد أن أعرف متى ستأتين لزيارتنا، أنت لم تأتي في عطلة أعياد الميلاد كما تفعلين عادةً، لذا أظن أنك مدينة لنا بذلك».

أعلم أنها تمزح، ولكن تستفزني فكرة أنها تفترض أنني من عليها زيارتهم دائماً. أريد أن أشعر ببعض الأهمية ولو لمرة، أن أكون أنا من يُزار وليس من يزور. ولو لمرة واحدة في حياتي.

- «في الواقع، أنا في لوس أنجلوس حالياً، لذا فإن الرحلة أطول قليلاً، ولكن سأزورك، في وقت لاحق».

سمعتها ترد على أبي: «حسناً، حسناً. عليّ أن أذهب يا هانا»،

ثم انسحبت بسرعة قبل أن أودعها حتى.

قال أبي: «هانا الصغيرة. كيف حالك؟».

- «أنا بخير يا أبي، بخير. كيف حالك أنت؟».

- «كيف حالي؟ كيف حالي؟ هذا هو السؤال».

ضحكت .

- «أنا بخير يا صغيرتي، بخير. أنا أجلس برفقة أمك الآن وناقش ما إذا كنا نريد طلب طعام إيطالي أو تايلندي لوجبة العشاء، ولكن أختك وجورج يحاولان إقناعنا بالخروج والذهاب إلى مكان ما، لكن المطر غزير ولستُ في مزاجٍ لذلك» .
لقد فشلت خطتي في زف الخبر بسرعة .
أو ربما لم تفشل بعد؟
- «هذا لطيف . إذاً يا أبي، أنا حامل» .

أقسم بالرب أن بدا الأمر كما لو أن الخط انقطع . «أبي؟» .
ردّ بصوتٍ لاهث : «أنا هنا . سأتي بأمك» .
ثم سمعت صوتاً آخر على الهاتف .
- «أهلاً يا هانا» .
قال أبي : «هل يمكنك تكرار ما قلته، يا هانا؟ أخشى أنه إذا سمعت والدتك ذلك مني، ستظن أنني أمازحها» .
هل عليّ أن أزف الخبر مرتين؟
- «أنا حامل» .

عمَّ الصمت مجدداً، ثم سمعت صرخة عالية، صرخة عالية ومدوية لدرجة أنني أبعدت السماعه عن أذني .

ثم سمعت أمي تصرخ: «سارة! سارة! تعالي إلى هنا!».

- «ماذا يا أمي؟ يا إلهي، توقفي عن الصراخ».

- «هانا حامل».

سمعت السماعه تنتقل من شخصٍ إلى آخر، سمعتهم يتشاجرون على السماعه، ثم سمعت أمي تفوز.

- «أخبرينا بكل شيء. هذا خبر مذهل. أخبرينا بشأن الأب!

لم أكن أعلم أنك على علاقة جادة بأحدهم».

- «أوه، لا».

ظنت أمي أنني خططت للحمل.

ظنت أمي أنني مستعدة لإنجاب طفل.

ظنن أمي أن هنالك أباً.

أمي التي أنجبتني لا تعلم شيئاً عن حقيقتي وعن حياتي لدرجة أنها تظن أنني خططت لإنجاب هذا الطفل.

هذا أحد أكثر الأشياء المضحكة التي سمعتها في حياتي. دخلت في نوبة طويلة من الضحك حتى انهمرت الدموع على خدي.

قلت وأنا أسترد أنفاسي: «لا أب في الأفق، سأكون أمّاً عزباء، وحملت عن طريق الخطأ».

تغيرت نبرة صوت أمي على الفور: «أوه، حسناً».

أخذ أبي الهاتف منها: «واو! صُدمنا بهذا الخبر! ولكنه خبر رائع! إنه خبر رائع، رائع حقاً!».

- «أهو كذلك حقاً؟».

أعلم أنه خبر رائع، ولكن هل يظنون ذلك حقاً؟
- «سأصبح جَدًّا! سأكون جَدًّا لا مثيل له. سأعلِّم طفلك كل ما يقوم الأجداد بتعليمه لأحفادهم».

ابتسمت: «بالطبع ستفعل ذلك!».

لكنني لم أعنِ ذلك على الإطلاق. فهو ليس هنا. هو لا يتواجد هنا أبداً.

أخذت سارة السماعرة من أبي وبدأت تتحدث عن مدى سعادتها لأجلي وكيف أنه ليس مهماً أن أُرَبِّي الطفل لوحدي، لتستدرك بقولها:

- «أقصد أنه أمر مهم بالطبع، ولكنك ستكونين عظيمة في قيامك به لدرجة أنه لن يكون مهماً».

- «شكراً».

ثم انتزعت أُمِّي الهاتف من سارة، وسمعت الضجيج يتلاشى حين انتقلت إلى غرفة أخرى وأغلقت الباب خلفها.

- «ماما، هل أنت بخير؟».

سمعتها تُحضّر نفسها لما ستقوله: «يجب أن تنتقلي إلى موطنك».

- «ماذا؟».

ليست لدي أدنى فكرة عما تتحدث بشأنه.

- «بإمكاننا مساعدتك. بإمكاننا مساعدتك في تربية الطفل».

- «هل تعنين أنه ينبغي عليّ الانتقال إلى لندن؟».

- «نعم، هنا معنا. موطنك معنا».

- «لندن ليست موطني».

ولكن ما قلته لم يؤثر فيها على الإطلاق.

- «ربما ينبغي أن تكون كذلك. ستحتاجين إلى عائلة لتربية هذا الطفل. أنت لا ترغبين في القيام بذلك بمفردك، ونودّ أنا ووالدك مساعدتك في ذلك. وسيسعدنا وجودك هنا. ينبغي أن تكوني معنا».

- «لا أعلم...».

- «لم لا؟ لقد انتقلتِ إلى لوس أنجلوس لتوك، فلا يمكنك أن تقنعيني أنك أسست حياةً هناك بالفعل. وإذا لم يكن هناك أب في الأفق، فلا شيء يربطك بذلك المكان».

فكرت في كلامها.

- «دعينا نساعدك يا هانا. دعينا نشعر بأننا والديك. بإمكانك الإقامة في غرفة الضيوف وإنجاب الطفل هنا. لطالما قلت إنه كان يفترض بك أن تنتقلي معنا إلى لندن منذ البداية».

لم تقل ذلك قط. لم تقل لي ذلك ولو مرة واحدة.

- «سأفكر في ذلك».

سمعت الباب يُفتح، ثم سمعتها تتحدث إلى أبي.

- «أقول لهانّا أنّ الوقت قد حان بالنسبة لها للانتقال إلى

لندن».

سمعتة يقول: «بالتأكيد، ينبغي عليها القيام بذلك».

ثم أمسك السماعة: «هانّا الصغيرة، من يعلم، ربما تكون لندن هي المدينة التي قدّر لك أن تعيشي فيها».

حتى هذه اللحظة، لم يخطر ببالي أبداً أن لندن، المدينة التي

تعيش فيها عائلتي، قد تكون موطني، ولم أفكر أبداً بالانتقال للعيش فيها.

- «ربما يا أبي، من يعلم؟».

عند إنهاء المكالمة، كان والدائي على يقين تام بأنني سأنتقل إلى لندن قريباً، على الرغم من حقيقة أنني وعدتهما بكلّ ووضوح بالتفكير في الموضوع فقط. ولأتمكن من إنهاء المكالمة، اضطررت لقطع وعد لهما بالاتصال في الغد.

استلقيت على سريري، وحدقت في السقف لمدة شعرت كأنها ساعات، متخيلة ما سيحدث لو غادرتُ لوس أنجلوس وانتقلت إلى لندن.

فكرت كيف ستبدو حياتي إذا عشتُ في شقة والديّ في لندن مع طفل جديد. تخيلت طفلي ينمو هناك ويتحدث بلهجة بريطانية. ولكن أكثر ما فكرت فيه هو غابي، وكل ما سأفتقده إذا غادرت هذا المكان.

ما إن حلّت الظهيرة حتى قدم مارك.

فتحت الباب بسرعة ويدي ترتعشان من التوتر. أنا لست متوترة لأنه يُخيفني أو لأنني لا أعلم ما أقوله له. أنا متوترة لخوفي من قول شيء قد أندم عليه لاحقاً. قال: «مرحباً».

وقف أمامي. كان يرتدي سروال جينز وقميصاً أخضر. جاء لوحده كما كنت آمل، حاملاً تحت ذراعه مجموعة من الصناديق المفككة.

- «أهلاً. تفضّل بالدخول».

دخل إلى المنزل لمُبالياً، كما لو أنه لا ينتمي إليه.
- «ستأتي شاحنة النقل بعد نصف ساعة. لقد طلبت شاحنة صغيرة. أظنها ستفي بالغرض، صحيح؟ فلم يتبق لي الكثير من الأمتعة هنا، على ما أظن».
- «صحيح».

نظر إلى الأرض حيث جلست شارلمان. إنها عدوان بكل ما تحمل الكلمة من معنى، أي إن المنزل لا يسعهما كليهما.
فرك مارك عينيه ثم نظر إليّ.

- «حسناً، أظنني سأبدأ بحزم أمتعتي. اعذريني».
بدا غير مرتاح للموقف أكثر مني، وسهّل ضعفه الأمر عليّ. لن أصرخ في وجه رجل متأسف.

جلست على الأريكة وأشغلت التلفاز. لم أستطع الاسترخاء أثناء وجوده هنا، ولكنني لن أقف لأراقبه أيضاً.
وسرعان ما قرع الحمالون جرس الباب، فهرول مسرعاً ليفتح لهم.

- «إذا كنتم ستدخلون وتخرجون من البيت كثيراً، فساخذ شارلمان إلى غرفة النوم».
- «رائع. شكراً».

دخل الحمالون، وبقيت في غرفتي برفقة شارلمان.
شعرت برغبة في البكاء. بسبب هرموناتى ربما، أو لأنني لم أرغب أبداً أن تمر غابي بهذه المحنة. لا أعلم. يصعب عليّ أحياناً معرفة السبب الحقيقي لبكائي أو ضحكى أو وقوفى حتى.

حين انتهى، طرق على بابي.

- «لقد أنهيت كل شيء».

- «جيد».

أطرق إلى الأرض ثم رفع بصره إليّ: «إذا كان لما سأقوله أي قيمة، فأنا آسف».

- «لا، ليست له قيمة حقاً».

بددت جرائته في الاعتذار أي تعاطف مني.

- «أعلم، الوضع ليس مثالياً».

- «دعنا نتوقف عن هذا».

- «سينتهي بها المطاف إلى العيش مع شخص أفضل مني.

أنت، من بين كل الناس، يجب أن تعلمي أن هذا خير لها».

- «أوه، أنا أعلم أنها ستجد من هو أفضل منك، ولكن هذا لا

يغير حقيقة أنك تصرفت معها بجبن ونذالة، وعوضاً عن مصارحتها،

كذبت عليها وختتها».

- «أتعلمين؟ حين تعثرين على حب حياتك، يجعلك هذا

تتصرفين بجنون»، قال مدافعاً عن نفسه، كما لو أنني لا أستطيع

إدراك ما مرّ به لأنني لم أعثر على توأم روحي، كما لو أن الحب

يُبرّر كل شيء».

- «لم أرغب يوماً في أن أحب جينيفر بهذه الطريقة، ولم

أخطط لحدوث أي من هذا، ولكن عندما يحدث هذا النوع من

الاتصال بين شخصين، فلا يمكن لشيء أن يحول بينهما».

لا أوّمن بأن الوقوع في الحب يجعلنا في حلٍّ من كل شيء».

ولم أعد أو من بأن كل شيء في الحب والحرب مُباح ، بل أكاد أجزم أن أفعالنا في الحب لا تناقض شخصيتنا بشيء، بل هي جوهرها .

- «لماذا تحاول إقناعي بأنك رجل صالح؟» .

- «لأنك الوحيدة التي ستنتصت إليها غابي» .

- «لن أدافع عنك أمامها» .

- «أعلم ذلك . . .» .

- «والأهم من ذلك يا مارك أنني لا أتفق معك . لا أعتقد أن

العثور على حب حياتك يعطيك الحق في إفساد كل شيء في طريقك . هنالك أشخاص كثر يعثرون على الشخص الذي يتمنون أن يكملوا حياتهم معه، ولكنهم لا يمشون في ذلك لأنهم ملتزمون بأمور أخرى . وبدلاً من الكذب والتهرب من مسؤولياتهم، يتصرفون بنضج ويفعلون ما هو صائب» .

- «كل ما أريده هو أن تعرف غابي أنني لم أقصد إيذاءها أبداً» .

- «حسناً، جيد» .

قلت ذلك لأنني أردته أن يُغادر، لكن في الحقيقة، لم يكن ما فعله بحق غابي جيداً . لم يكن جيداً على الإطلاق .

لا يهم إن كانت أفعالنا مقصودة أو عن غير قصد، لا يهم إن كانت حادثاً عرضياً أو خطأً، ولا يهم حتى إن اعتقدنا أن كل هذا مُقدَّر لنا، لأنه بغض النظر عن مصيرنا، فلا مفر من أن نحاسب على أفعالنا . نحن نتخذ قرارات كل يوم من حياتنا، قرارات كبيرة أو صغيرة، ولهذه القرارات عواقب .

ويتوجب علينا مواجهة هذه العواقب وجهاً لوجه، شئنا أم أبينا. لا يحق لنا محوها بزعم أننا لم نكن نقصدها. وسواءً آمناً بالقدر أم لا، فحياتنا نتيجة قراراتنا وخياراتنا.

لحقت بمارك وهو يتوجه نحو الباب الأمامي.

قال لي: «إنها النهاية إذاً. لن أعيش هنا بعد الآن».

خرجت شارلمان من الغرفة وركضت نحوه. ظهر عليه التوتر والخوف عندما اقتربت منه، وربما تبولت على حذائه لهذا السبب، أو ربما لأنه وقف عند الباب حيث نضع لها وسادات التبول عادةً. على أية حال، شاهدتها وهي تنخفض إلى الأسفل وتتبول على حذائه مباشرة.

علت وجهه تعابير الاشمزاز ونظر إليّ. حدّقت فيه فاستدار وغادر المنزل.

عندما عادت غابي إلى المنزل في وقتٍ لاحق من ذلك اليوم، اندفعتُ مع شارلمان لنستقبلها عند الباب. رحّبتُ بها بإخبارها بما فعلته شارلمان. ضحكت غابي من أعماق قلبها وانحنى لتعانق شارلمان.

وقفنا نحن الثلاثة نضحك معاً.

- «يريد والدايّ مني الانتقال إلى لندن. قالوا إنهما سيساعداني في تربية الطفل».

نظرت إليّ غابي باندهاش: «حقاً؟ ما رأيك بذلك؟ هل ستذهبين؟».

فجأةً، قلت شيئاً لم يسبق لي قوله من قبل.

- «لا. أريد البقاء هنا». ثم انفجرتُ ضاحكةً.

نظرت غابي إليّ وكأنني كائن خرافي .

- «ما المضحك؟» .

قلت وأنا ألتقط أنفاسي : «لقد أفسدتُ علاقتي مع الرجل الوحيد الذي أحببته بصدق . أنا حامل بطفل لم أخطط لإنجابه نتيجة علاقتي برجل متزوج لا يريد أن يكون له أي دور في حياة طفلي . أنا أكثر بدانة من أي وقتٍ مضى . ولا تزال كلبتي تتبول داخل المنزل . ومع كل ذلك ، أشعر أن حياتي هنا جيدة لدرجة أنني لا أستطيع التخلي عنها . لأول مرة في حياتي ، أشعر أن هنالك شخصاً لا أستطيع العيش من دونه» .

قالت غابي بارتياح : «أتحدثين عني ؟ لأن قصّتك قد تبدو غريبة إن لم تقصدينني» .

- «أجل يا صديقتي ، أنا أتحدّثُ عنك» .

- «أوووه ، شكراً يا رفيقتي!» .

جلست في المقعد الخلفي للسيارة، أنظر من النافذة المفتوحة وأستنشق الهواء العليل خلال رحلتنا عبر المدينة. قد أبدو للمراقب الخارجي أشبه بالكلب عندما يطل من نافذة السيارة، ولكنني لا أكرث لذلك. أنا سعيدة جداً لخروجي من المستشفى، وللعيش في العالم الحقيقي من جديد، ولرؤية أشعة الشمس من دون زجاج عازل. كل شيء في هذا العالم له رائحة خاصة، والرائحة في الخارج ليست رائحة العشب والأزهار المقطوفة فحسب، بل رائحة عبق المقاهي ورائحة الثوم التي تنبعث من المطاعم الإيطالية. وأنا أحبها كلها. ربما لأنني قضيت الكثير من الوقت في استنشاق روائح غير عضوية في مستشفى مُعقم. وربما بعد مضي شهر من الآن، لن أقدر ذلك كما أفعل الآن. ولكن لا بأس، فالمهم أنني أقدره الآن.

أدرت رأسي عن النافذة للحظة وسمعت مارك يتنهد حين توقفتنا عند إشارة سير حمراء. لاحظت فجأة أن الصمت في السيارة كان مطبقاً. بدا مارك أكثر توتراً كلما اقتربنا من المنزل. وعند تركيزي أكثر، شعرت أن مزاجه متكدّر.

سألته غابي : «هل أنت بخير؟».

- «هاه؟ ماذا؟ لا، نعم، أنا بخير. أحاول التركيز على الطريق وحسب».

كانت يدها ترتعشان، وصوت أنفاسه القصيرة مسموعاً، فبدأت أتساءل عمّا إذا كنت قد أغفلت شيئاً، أو إن كان يراني عبثاً أو لم يكن يريدني أن أعيش معهما.

إذا كان الأمر كذلك حقاً، إذا كان قد أخبر غابي بأنه لا يريد تحمّل مسؤوليتي، فلا بد أن تكون قد تشاجرت معه في هذا الخصوص. أنا أعلم ذلك. هي لن تتخلى عني أبداً. أنا أعلم ذلك أيضاً. لذا فمن المحتمل جداً أن أكون قد أثقلت عليهما دون علمي. توقفنا إلى جانب الطريق أمام منزلهما، وانتبهت أن مارك قد قام بتركيب منحدر لأتمكن من صعود الدرجات الثلاث الصغيرة إلى باب المنزل. خرج من السيارة وأقبل باتجاهي على الفور لمساعدتي على الخروج. فتح بابي قبل أن تتمكن غابي من الوصول إليّ حتى.

- «أوه، صحيح، أنت بحاجة إلى الكرسي».

وقبل أن أجيبه، فتح صندوق السيارة وسحب الكرسي الذي ارتطم بالأرض بقوة.

- «آسف، إنه أثقل مما ظننت».

أسرعت غابي نحوه لمساعدته على فتحه، ورأيته يجفل عندما لمستّه.

لم أكن سبب اضطراب مارك، بل كانت غابي.

سألته : «هل أنت متأكد أنك بخير؟».

- «دعينا ندخل إلى المنزل وحسب، حسناً؟».

- «حسناً...».

ساعدني كلاهما على الجلوس على الكرسي، ثم حمل مارك حقائبي. سرت بعجلاتي وراء غابي وهي تشق طريقها إلى الباب الأمامي للمنزل.

حين فتحته ودخلنا، بدا التوتر واضحاً. كان هناك خطبٌ ما، شعرنا به نحن الثلاثة.

قال مارك: «لقد قمت بتركيب مقعد في الحمام وخلعتُ بابَه ووضعت ستارة بدلاً منه. سيكون من السهل عليكِ الدخول والخروج منه لوحدك».

كان يتحدث معي، لكنه ينظر إلى غابي. كما يريدُها أن تعرف كل العمل الذي قام به.

- «ونقلت جميع أغراضكِ ووضعتها في مكتب الطابق السفلي، ونقلت سرير الضيوف إلى هناك أيضاً حتى لا تضطري لصعود ونزول الدرج. كما خفّضت من ارتفاع السرير. يمكنكِ أن تجربيه».

لم أتحرك من مكاني.

- «أو افعلي ذلك لاحقاً».

نظرت غابي إليه بطرف عيناها.

- «ستمكنين من الجلوس عليه ثم القيام بأرجحة ساقيكِ دون تحريك حوضكِ».

سأله غابي: «ما الذي يحدث يا مارك؟».

- «اشتريت جهاز نداء بنظام ثنائي الاتجاه، يمكنكِ التحدث به عندما تكونين في السرير لتنادي على غابي. كما أن طاولة الطعام

كانت مرتفعة جداً، فقامت بطلب أخرى أقل ارتفاعاً لتناسب مع ارتفاع كرسيك، وقد تم توصيلها هذا الصباح».

التفت غابي لتلقي نظرة متفاجئة: «قامت بتبديلها هذا الصباح؟ أين طاولتنا؟».

أخذ مارك نفساً عميقاً: «هلا سمحت لنا بدقيقة يا هانا؟ ربما يمكنك التأكد ما إذا كان ارتفاع سريرك مناسباً».

قالت غابي: «بحق الجحيم يا مارك، ما الذي يحدث؟». كان صوتها جامداً وصارماً.

قال متوسلاً: «هانا».

قلت: «حسناً».

وبدأت بدفع نفسي بعيداً عنهما.

قالت غابي وقد نفذ صبرها: «لا! بالكاد يُمكنها التنقل من مكان إلى آخر. لا تطلب منها مغادرة الغرفة».

قلت: «لا بأس في ذلك، حقاً».

لكن في اللحظة التي قلت فيها ذلك، لفظها مارك.

قال وهو ينظر إلى الأرض: «سأرحل».

سألته غابي: «إلى أين؟».

- «أقصد أنني سأفصل عنك».

تحولت ملامحها من الارتباك إلى الدهشة، كما لو أن أحداً صفعها على وجهها. تراخى فُوها وجحظت عيناها وتحرك رأسها ببطء من جهة إلى أخرى، كما لو أنها غير قادرة على استيعاب ما سمعته.

ثم أضاف موضحاً: «لقد قابلت امرأة أو من أنها الشخص المناسب لي، لذا سأرحل. لقد أحضرت كل ما قد تحتاجان إليه. تدبّرت أمور هانا، وسأترك لك المنزل ومعظم الأثاث. سيقوم لويس غرانت بتجهيز الأوراق اللازمة».

«هل اتصلت بمحامينا قبل أن نتحدث إليّ حتى؟».

«طلبت منه استشارة فقط، ولكنه قال إن بإمكانه التكفل بالأمر بنفسه. لم أقصد التصرف خفيةً عنك».

راحت تضحك. كنت أعلم أنها ستضحك حين قال ذلك. تساءلت حينها إن كان قد فكّر في نفسه: اللعنة، ما كان عليّ أن أقول ذلك. كنت أرغب حقاً بدفع نفسي خارج الغرفة، ولكن صوت الكرسي كان سيجعلهما يلاحظان وجودي. كنا ثلاثة في غرفة واحدة، وإذا غادر أحدهما، سيلاحظ الاثنان الآخران. أنا لست متأكدة حتى أنهما يدركان وجودي معهما، لكنني لم أرغب أن تجعلهما مغادرتي يشعران بوجودي في الغرفة.

قالت: «لا بد أنك تمزح معي».

- «أنا آسف ولكنني لا أمزح. علينا أن نناقش هذا الموضوع في غضون أيام قليلة، بعد أن تكوني استوعبت الخبر. أنا آسف حقاً لأنني جرحتك. لم تكن هذه نيتي قط، ولكنني أحب امرأة أخرى ولم يُعد من المنصف الاستمرار على وضعنا».

- «ما الذي لا أفهمه؟ لقد كنا نتحدث بشأن إنجاب طفل».

هز رأسه: «كان هذا... كان هذا خطئي. كنت... أتظاهر بأنني شخص آخر. لقد اقترفت أخطاءً يا غابرييل، وأنا أحاول تصحيحها الآن».

- «تصحح أخطاءك بالانفصال عني؟».

- «أظن أنه ينبغي علينا التحدث عن هذا لاحقاً. في الوقت الحالي، لقد نقلت ملابسك وبعض الأشياء إلى منزلي الجديد».

- «هل أخذت طاولة طعامي؟».

- «أردت أن أتأكد أن أنت وهانا لديكما ما تحتاجان إليه، لذلك أخذت الطاولة إلى منزلي الجديد، واشترت لكما طاولة تناسب وضع هانا».

- «إنها ليست عاجزة يا مارك. إنها ستمشي مجدداً. أريد استعادة طاولتي».

- «لقد قمت بما اعتقدته الأنسب. عليّ الذهاب الآن».

حدقت فيه لمدة بدت وكأنها ساعات، ولكنها كانت ثواني قليلة على الأرجح، ثم استشاطت غضباً كما لم أرها أبداً من قبل. صرخت: «اخرج من منزلي! اخرج من هنا! ابتعد عني!».

توجّه نحو الباب.

- «لم يكن ينبغي لي الزواج بك أبداً».

بدت وكأنها عنت ما قالته بعمق. لم تقله عرضاً أو لأنها أرادت جرح مشاعره، بل قالته لأن قلبها انفطر حين رأت أكبر مخاوفها تتحقق أمام عينيها.

لم يأبه بها وخرج من الباب دون أن يغلقه خلفه. بدا لي تصرفه الأخير هذا قاسياً جداً. كان بإمكانه إغلاق الباب خلفه. إنه تصرف شبه فطري، أليس كذلك؟ لكنه لم يغلقه وتركه مفتوحاً على مصراعيه، مجبراً إياها على إغلاقه بنفسها.

ولكنها لم تفعل. انهارت أرضاً وصرخت من أعماق رئتيها

صرخة حادة وعميقة، حتى أنني خلتها زئير لبؤة أكثر من كونها صرخة امرأة مكلومة.

- «أنا أكرهك!».

ثم رفعت بصرها ونظرت إليّ وكأنها لاحظت وجودي للتو.

حاولت تمالك نفسها، ولكن من دون جدوى، فانهمرت الدموع على وجهها، وسال المخاط من أنفها، واللعباب من فمها.

قالت: «هل يمكنك إحضار مفتاح المنزل منه؟».

كان كلامها همساً، ولكن حتى وهي تهمس لم تتمكن من السيطرة على حدة نبرة صوتها.

أخذتُ زمام المبادرة فوراً، دفعت نفسي إلى خارج المنزل وانزلت على المنحدر. كان مارك يهم بدخول السيارة.

- «المفتاح. أعطني نسختك من مفتاح المنزل».

- «إنه على الطاولة الصغيرة مع صك الملكية. لقد وقعت ورقة تسليمها المنزل».

قال ذلك وكأنه سر كتمه طويلاً أو كأنه طالب متحمس يخبر المعلم بأنه حلّ سؤال الدرجات الإضافية.

- «حسناً».

ثم أدركتُ الكرسي متجهة إلى باب المنزل.

قال: «أريدها أن تكون بخير، لهذا السبب أعطيتها المنزل».

- «حسناً يا مارك».

- «إنه يُساوي الكثير من المال. لقد ساعدني والدائي على تسديد الدفعة الأولى وأنا أعطيها إياه».

أدرتُ الكرسي نحوه: «ماذا تريد مني أن أقول لك يا مارك؟ هل تريد وساماً ذهبياً؟».

- «أريدها أن تفهم أنني أفعل كل ما بوسعي لتسهيل الأمر عليها، وأنني أهتم بشأنها. أنت تتفهمين هذا، أليس كذلك؟».

- «أفهم ماذا؟».

- «أن الحب يجعل المرء يتصرف بجنون، وأنه يتعين عليه القيام بأشياء تبدو خاطئة لمن يراها من الخارج، ولكنه يعلم في قرارة نفسه أنها صائبة. ظننتُ أنك ستفهميني حسب ما أخبرتني به غابي بخصوص ما حدث بينك وبين مايكل».

لو لم أتعرض لحادث سيارة كاد يفقدني حياتي، لربما كنت سأشعر بالإهانة. لو لم أقض الأسبوع الماضي وأنا أعلم كيف أقف وحدي وكيف أستعمل كرسيّاً متحركاً، لربما كنت سأصدق هذا الهراء. لكن كانت لدى مارك فكرة خاطئة عني. فأنا لم أعد شخصاً يرغب في الادعاء أن الأفعال الخاطئة التي اقترفتها لها ما يبررها.

لقد ارتكبت خطأ، وهذا الخطأ هو جزء مما أوصلني إلى هذه اللحظة. ورغم أنني لم أندم على ما فعلته ولم أتغاض عنه أيضاً، إلا أنني تعلمتُ منه ونضجت وأصبحت شخصاً مختلفاً الآن.

لا يمكنك أن تسامح نفسك على الأخطاء التي ارتكبتها في الماضي إلا إذا كنت تعلم أنك لن ترتكبها ثانية. وأنا أعلم يقيناً أنني لن أرتكب ذلك الخطأ مجدداً، لذا تجاهلت كلماته وتركته تذهب في مهب الريح.

قلت له: «ارحل يا مارك وحسب. سأخبرها أن المنزل لها».

فتح باب سيارته: «لم أقصد إيذاءها أبداً».

- «حسناً».

استدرت وصعدت بالكرسي على المنحدر، ثم سمعت سيارته تغادر. لن أخبرها بأي من ذلك. سترى صك ملكية المنزل بنفسها وتشكل رأياً بشأنه. لن أقول لها إنه لم يقصد إيذاءها. فهذا كلامٌ سخيف لا معنى له.

لا يهم إن كانت أفعالنا مقصودةً أو عن غير قصد، لا يهم إن كانت حادثاً عرضياً أو خطأً، ولا يهم حتى إن اعتقدنا أن كل هذا مُقدَّر لنا، لأنه بغض النظر عن مصيرنا، فلا مفر من أن نحاسب على أفعالنا. نحن نتخذ قرارات كل يوم من حياتنا، قرارات كبيرة أو صغيرة، ولهذه القرارات عواقب.

ويتوجب علينا مواجهة هذه العواقب وجهاً لوجه، شئنا أم أبينا. لا يحق لنا محوها بزعم أننا لم نكن نقصدها. وسواءً آمنا بالقدر أم لا، فحياتنا نتيجة قراراتنا وخياراتنا.

دخلت المنزل ورأيت غابي لا تزال مستلقية على الأرض، جامدة كالتمثال، تُحرق في السقف ودموعها تنهمر على وجهها لتتجمع وتصبح بركتين صغيرتين على الأرض.

قالت: «لا أعلم ما إذا كنت قد شعرت بهذا القدر من الألم من قبل». ثم أضافت: «أعتقد أنني ما زلت تحت هول الصدمة. سيزداد ألمي ويصبح أسوأ، أليس كذلك؟ سيصبح أعمق وأكثر حدة في داخلي مما هو عليه الآن. أعمق وأكثر حدة بكثير».

لأول مرة منذ فترة طويلة جداً، وجدت نفسي على مستوى أعلى من غابي، بحيث اضطررت أن أنظر إلى الأسفل لكي تلتقي عيني بعينيها.

«لن تواجهي ذلك لوحدي لأنني سأكون معك في كل جزء منه .
أتعلمين أنني مستعدة أن أفعل كل ما بوسعي لأجلك؟ أن أحرك
الجبال؟ أن أشق البحار؟» .

رفعت عينيها نحوي ونظرت إلي .

وضعتُ إحدى قدميَّ على الأرض وانحنيت إلى الأمام محاولةً
أن أضع يديَّ على الأرض أمامي .

صاحت غايي : «توقفي ، يا هانا» .

حاولتُ تحريك حوضي لأقترب منها وأستلقي بجانبها ، ولكنني
لم أستطع ذلك ، إذ لم أسترِد قوتي بعد . سقطتُ أرضاً وشعرت بألم
حاد . كان لدي مسكنات في حقيبتي ، فلم أكرث . زحفت نحوها ،
استلقيت بجوارها ، ودفعت الكرسي بعيداً .

- «أنا أحبك . أنا أوّمن بك . أنا أوّمن بغايي هدسون . أوّمن
بأنها تستطيع القيام بأي شيء» .

نظرت إليّ بامتنان ، ثم واصلت البكاء .

قالت وهي تلتقط أنفاسها : «أشعر بحرج شديد» .

راحت تتنفس بسرعة .

«لا عليك ، ليس هنالك من سبب يجعلك تشعرين بالحرج . أنا
لا أستطيع الذهاب إلى الحمام لوحدي ، فلا يحق لك أن تذكرني
الحرج» .

ضحكت لثانية قصيرة ، ثم عادت للبكاء ثانيةً . كان بكاءؤها يفطر
قلبي .

أمسكتُ بيدها : «اضغطي على يدي . حين تشعرين بأنك غير
قادرة على تحمل الألم ، اضغطي على يدي» .

بكت مجدداً وضغطت على يدي .

أدركت في تلك اللحظة أنني إذا استطعت أن أخفف ولو جزءاً بسيطاً من ألمها ، فقد تكون هناك غاية لحياتي أهم مما ظننت .

لن أنتقل إلى لندن . سأبقى هنا .

لقد وجدت موطني . هو ليس نيويورك أو سياتل أو لندن أو لوس أنجلوس حتى .

موطني هو غابي .

في تلك الليلة، قررت أنا وغابي أن نأخذ شارلمان ونذهب في نزهة طويلة. في البداية، كنا سنكتفي بالسير حول المكان، ولكن غابي اقترحت الخروج من الحي. لذلك ركبنا السيارة وتوجهنا نحو متحف مقاطعة لوس أنجلوس للفنون.

قالت غابي إنه يبدو جميلاً في المساء وإن هناك نصباً من المصاييح التي تتلأأ بشكلٍ ساطع في الظلام، وتريدني أن أراها. توقفنا عند مقهى «كوفي بين» واشترينا الشاي بالحليب. طلبتُ كوب شاي بالأعشاب لأن غابي قرأت مقالاً ذُكر فيه أنه لا ينبغي على الحوامل شرب الكافيين. هناك عشرات المقالات الأخرى التي تؤكد أن استهلاك الكافيين باعتدال غير مضر، ولكن غابي لم تقتنع.

ركبنا السيارة على بعد بضعة مبانٍ من المتحف ثم ترجلنا. وضعنا شارلمان على الرصيف وبدأنا بالمشي. كان الجو بارداً قليلاً؛ غربت الشمس باكراً ذاك اليوم، وكانت شوارع لوس أنجلوس هادئة حتى بالنسبة إلى ليلة أحد.

لم ترغب غابي في التحدث عن مارك، ولم أرغب في التحدث عن الطفل، إذ حديثنا في الآونة الأخيرة لم يكن إلا عنهما. لذلك قررنا التحدث عن المدرسة الثانوية.

قالت غابي: «كنتِ معجبة بويل أندروود حين كنا في السنة الأولى».

رشف من شرابها بعد ذلك، والتفت إليها فرأيت نظرة مازحة في عينيها. صحيح أنني كنت معجبة بويل أندروود، ولكنها تعرف أن مجرد ذكر اسمه يجعلني أشعر بالخزي. عندما كنا في السنة الأولى، كان ويل أندروود في السنة الأخيرة، وكان شاباً تافهاً لا يواعد سوى فتيات السنة الأولى. لا تكثر فتيات السنة الأولى عادةً بعيوب الفتيان الذين يبدوون اهتماماً بهن. ولأنني أردتُ أن أكون واحدة من أولئك الفتيات، كنت أتمنى لو أنه يلاحظني فحسب. أما الآن، فيعمل ويل أندروود كمذيع في محطة راديو محلية ويواعد راقصات التعري.

قلت: «ليس لدي ذوق رفيع في انتقاء الرجال».

ثم ضحكت من نفسي وأشرت إلى بطني: «كما يتضح هنا من طفلي الذي لا أب له».

ضحكت غابي: «كان إيثان شاباً لائقاً. لقد تصرفت بذكاء حين اخترته».

ذكرتها: «لقد اخترته مرتين».

قالت: «اتضح أنني لستُ أفضل منك في انتقاء الرجال».

أدركت حينها أنه حين يمر المرء بتجربة طلاق أو إنجاب طفل، فلا محالة عن الحديث عنهما، إذ يطغى الموضوع على ما سواه في

حياته، فيتحدث عنه حتى لو لم يكن يرغب في ذلك. ولا بأس في هذا ربما، لأن ما يهم حقاً هو أن يكون لديه شخص ينصت إليه.

شدّت شارلمان على حبلها وقادتنا نحو شجرة فتوقفنا عندها. تبولت بجانبها ثم بدأت تنبش العشب محاولة إخفاء فعلتها. زعج ذلك غابي التي تُحب الحفاظ على خضار الأرضفة. صاحت: «لا يا شارلمان».

توقفت شارلمان ونظرت إليها، منفذة أوامرها.

نظرت إليّ غابي: «يا لها من مطيعة. إنها ذكية جداً. هل كنتِ تظنين أن الكلاب بهذا الذكاء؟».

ضحكت منها: «إنها ليست بهذا الذكاء. لقد ارتطمت بالجدار في وقت سابق اليوم. أنت ترينها ذكية لأنك تحبينها. مشاعرك تضع على عينيك نظارة وردية».

أمالت غابي رأسها جانباً ونظرت إلى شارلمان: «لا، إنها ذكية فعلاً. أنا أعلم ذلك. ونعم، بالطبع، أنا أحبها وأحب كل ما يتعلق بها. بصراحة، لا أعلم كيف عشتُ كل هذه المدة من دون وجود كلب في حياتي. لقد أفسد مارك كل شيء جيد».

لم يُفسد مارك كل الأشياء الجيدة في العالم طبعاً، ولكنني لم أعترض على كلامها لأن الغضب جزء من عملية التعافي.

قلت: «في الواقع، كان لديك ذوق رفيع في انتقاء الرجال ذات مرة. أتذكرين كيف كنتِ مُغرمة بجيسي فلينت طوال المرحلة الثانوية؟ وكيف خرجتما معاً في موعد في السنة الأخيرة؟».

- «يا إلهي! جيسي فلينت! لا يمكنني أن أنسى جيسي فلينت ما

حييت! لقد كان رجل الأحلام بمعنى الكلمة. لا أزال أظن أنه الرجل الأكثر وسامة الذي رأيته في حياتي».

ضحكت: «أوه، بحقك! لقد كان صغير البنية. لست متأكدة إن كان أطول منك حتى».

أومأت: «أوه، بلى، كان أطول مني ببوصة وكان مثالياً! ثم عادت جيسيكا كامبوس الغبية لتواعده مجدداً في اليوم الذي تلا موعدنا، وانتهى بهما الحال ليتزوجا بعد أن تخرجا من الجامعة. كانت تلك أكبر مأساة في حياتي».

- «يجب أن تتصلي به».

«أتصل بجيسي فلينت؟ وماذا أقول له؟ «أهلاً يا جيسي، لقد انتهى زواجي وما زلت أذكر موعدنا اللطيف حين كنا في السابعة عشرة. كيف حال جيسيكا؟»».

- «لقد تطلقا منذ ما يُقارب العامين».

تسمرت غابي في مكانها: «ماذا؟ جيسي وجيسيكا؟ لماذا لم أعلم بذلك من قبل؟».

- «ظننتك تعلمين. لقد انتشر الخبر على فيس بوك».

- «إنه مُطلق؟».

- «نعم، يمكنكما التحدث معاً عن تجربة الطلاق».

استأنفت غابي المشي، فلحقنا بها أنا وشارلمان.

قالت: «أتريدان أن أشاركك شيئاً مُحرجاً؟».

- «ماذا؟».

- «لقد فكرت بجيسي يوم زفافي. أليس هذا سخيفاً؟ بينما كنت

أسير نحو مارك في الكنيسة، كان ما فكرت به بالتحديد هو: جيسي

فليت متزوج، هو ليس الشخص الذي قُدر لك أن تكوني معه. وهذا جعلني أشعر بالراحة حيال قرار زواجي من مارك. أظن أنني أقنعت نفسي بأن مارك كان حقاً أفضل من هو متاح لي في ذلك الوقت».

لم أستطع منع نفسي من الضحك: «وكأنك أردت شراء آخر عبوة من رقائق كونت شوكولا ولكن سبقك أحدهم وأخذها، فلم يتبق لك سوى رقائق تشيريوس، فقلت لنفسك: حسناً، لقد قُدر لي أن أشتري التشيريوس».

- «مارك يشبه التشيريوس حقاً، ولكن ليس بنكهة العسل والمكسرات، بل النوع الصحي الذي لا يحتوي على أي نكهة».

لم تقلها على سبيل المزاح، بل قالتها وكأنها فكت لغزاً لطالما شغل تفكيرها.

- «حسناً، ربما في يوم ما، عندما تكونين مستعدة في المستقبل، ستتصلين بكونت شوكولا».

- «بهذه البساطة؟».

- «نعم، بهذه البساطة».

كررت: «بهذه البساطة».

تمشينا قليلاً ثم أشارت نحو سلسلة من المصابيح المشعة، المرتبة في صفوف طويلة.

- «تلك هي مصابيح نصب أوربان لايت التي حدثتك عنها».

اقتربنا منها ووقفنا أمامها في الطرف الثاني من الشارع، ما سمح لي برؤية العمل كاملاً.

إنه يتكون من مصابيح الشوارع عتيقة الطراز، من النوع الذي يبدو وكأنه جزء من استوديو تصوير. المصابيح جميلة ومصنوفة

بتناسق. لست متأكدة أنني فهمت المغزى منها أو غاية الفنان منها بالضبط، ولكنها مذهلة حقاً. فأنا تعلمت ألا أفلسف الأمور الجميلة، وأن أتمتع بها فحسب ما دامت تتواجد أمام عيني، وألا أبالي كثيراً بمعناها.

سألني غابي: «ما رأيك؟ إنها جميلة، أليس كذلك؟».

- «نعم. إنها كذلك. هناك شيء مفعم بالأمل حيالها».

ثم توجهنا نحو سيارتنا لنعود أدراجنا بنفس السرعة التي جئنا بها إلى هنا.

قلت: «ستلتقين شخصاً رائعاً يوماً ما. لديّ هذا الشعور بأننا نسير في الاتجاه الصحيح».

«حقاً؟ مع أن كل العلامات تشير إلى خلاف ذلك؟».

هززت رأسي: «لا. أنا أظن أن كل شيء يحدث كما كُتب له أن يحدث».

حل الصباح، بعد أن بقيت أنا وغابي مستلقيتين على الأرض طوال الليل. بدأت أشعة الشمس تشق طريقها بين الغيوم، وعبر النوافذ، ونحو عيني مباشرة. كانت الشمس تشع باكراً الآن. همست: «هل أنت مستيقظة؟».

كنت قد عزمت ألا أوقظها إذا كانت نائمة، أما إذا كانت مستيقظة، فكنت أريدها أن تساعدني في الذهاب إلى دورة المياه. - «أجل، أعتقد أنه لم يغمض لي جفن طوال الليل».

- «لماذا لم توقظيني، كنت سأسهر معك».

- «أعلم. أعلم أنك كنت ستفعلين ذلك».

أدريت رأسي نحوها ثم دفعت ببدي إلى الأعلى مستعملة يدي، حتى استطعت الجلوس. شعرت بجسدي مشدوداً أكثر مما كان عليه في المستشفى.

«أريد الذهاب إلى دورة المياه».

- «حسناً».

نهضت ببطء وبحركات ثقيلة، ولكنها وقفت. كانت عيناها

حمرأوين وخداها منتفخين وبدت بشرتها صفراء شاحبة. لم تكن بحالة جيدة، وهذا مُتَوَقَّع طبعاً.

- «إذا ساعدتني على الوقوف وأحضرت لي مشاييتي، فسأقوم بالباقي. أريد الذهاب إلى الحمام لوحدي».

- «حسناً».

أحضرت المشاية من عند باب المدخل حيث تركناها البارحة. فَتَحْتُهَا وَثَبَّتُهَا، ثم وَضَعْتُهَا أمامي. بعد ذلك، وضعت ذراعيها تحت ذراعي ورفعتني. بدا الوقوف أمراً بسيطاً جداً نظرياً، ولكنه كان صعباً جداً في الواقع؛ قامت غابي بحمل كامل وزني تقريباً، ما لم يكن سهلاً عليها لأنها أنحف مني بكثير، ولكنها نجحت في المهمة. جعلتني أتكئ على المشاية ثم تركتني. وها أنا الآن واقفة بفضل مساعدتها.

- «حسناً، سأغيب بين ثلاث دقائق وستين دقيقة. سيعتمد ذلك على ما إذا كنت سأتمكن من الجلوس على المرحاض أم لا».

حاولت أن تضحك ولكن قلبها لم يطاوعها.

تحركت ببطء، وأخذت خطوة تلو خطوة في الاتجاه الصحيح.

- «هل أنت متأكدة أنك لا تحتاجين مساعدتي؟».

قلت دون أن ألتفت إليها حتى: «سأتولى الأمر، أنت اهتمي بنفسك فقط».

شعرت كأن المسافة بيني وبين الحمام ملايين الكيلومترات، ولكنني وصلت إليه بخطوات صغيرة ومتأنية.

حين عدت إلى غرفة المعيشة، شعرت بالبرد، فذهبت لأبحث عن شيء أرتديه بين أغراضي التي أحضرتها غابي من المستشفى.

بحثت داخل حقيبتني عن سترتي، وعندما وجدتها أخيراً وأخرجتها، وقع منها مغلف على الأرض، كُتِب عليه هانا. لم أستطع تمييز خط اليد ولكنني عرفت صاحبه.

هانا،

أعتذر لأنني اضطررت لتسليم رعايتك لمرضة أخرى. لا يمكنني أن أستمّر بالعناية بك، فأنا أستمع برفقتك كثيراً، وقد بدأ زملائي يلاحظون ذلك.

أنا متأكد أنك تعرفين هذا بالفعل، ولكن قيام أي أحد من طاقم التمريض بتكوين علاقة شخصية مع مريض يُعد تصرفاً غير مهني، أياً كان نوع تلك العلاقة. ليس مسموحاً لي أن أتبادل معلومات شخصية معك، ولا أن أحاول التواصل معك بعد خروجك من المستشفى. ولو صادف والتقينا في الشارع، فلا ينبغي عليّ أن أُلقي عليك التحية إلا إن أُلقيتها أنتِ أولاً، فقد يتسبب ذلك بفصلي.

ليس عليّ أن أخبرك عما تعنيه لي هذه الوظيفة وهذا العمل.

لقد فكرت في خرق القواعد، وفكرت في إعطائك رقم هاتفي أو طلب رقمك، ولكن وظيفتي مهمة بالنسبة إليّ ولا أريد أن أخسرها بسبب شيء أقسمت على عدم القيام به.

أنا أقول لك كل هذا لأنني أتمنى لو أننا التقينا في ظروف مختلفة.

ربما سينتهي بنا الحال يوماً في المكان نفسه في الوقت

نفسه. ربما سنلتقي مجدداً عندما لا تكونين مريضتي ولا
أكون ممرّضك، ونكون مجرد شخصين وحسب.
إذا حدث ذلك، أتمنى حقاً أن تلقني عليّ التحية،
لأتمكن من الرد عليك ثم الطلب منك أن تخرجي معي في
موعد.

خالص مودتي،

هنري.

تناهى إلى سمعي صوت غابي الجالسة على الأريكة.
- «لقد ترك لي المنزل».

أخفيت الرسالة في حقيبتي واستدرت لأرى غابي تبكي وتنظر
إلى الطاولة الصغيرة وصك ملكية المنزل في يدها.
- «نعم».

- «والداه من سدّدا الدفعة الأولى، كما أنه دفع الكثير من ماله
الخاص للقرض العقاري».
- «نعم».

- «إنه يشعر بالذنب ويعلم أن ما قام به تصرف مشين، ولكنه لم
يتراجع عنه. وهذا ما أستغربه لأن هذه ليست عادته».
وضعتُ المشاية أمام الأريكة وتركت نفسي أنزل عليها ببطء.
تمنيت بحق ألا نهض منها سريعاً لأنني استنفذت كل طاقتي لفترة من
الوقت.

نظرتُ إليّ غابي: «لا بد أنه يحبها كثيراً».
نظرتُ إليها بحزن، ثم وضعتُ يدي على ظهرها.

- «هذا لا يبرر ما فعله . لا يبرر توقيته ، أنانيته» .

- «نعم ، ولكن . . .» .

- «ولكن ماذا؟» .

- «لقد فعل كل ما بوسعه عدا البقاء معي» .

أمسكت يدها .

- «ربما شعر بأنها الشخص المناسب له حقاً» ، قالت غابي
مرددة ما قلته صباح أمس ، إلا أنه بدا وكأن دهرأ مضى على ذلك
الحديث .

لم أعرف بماذا أرد ، فأثرت ألا أقول شيئاً .

- «لم أكن متأكدة أبداً أنه الشخص المناسب . حتى عندما
سألني عن ذلك البارحة ، شعرت أنني أحاول تجميل رأيي الحقيقي
في الأمر . ظننت أن مارك كان خياراً ذكياً فحسب . ولأننا تواعدنا
لفترة طويلة ، ظننت أن الزواج هو الخطوة التالية . لكن لم أشعر في
أي لحظة أنه الشخص المناسب تماماً» .

ثم نظرت إليّ : «أما أنتِ ، فشعرت بذلك» .

- «شعرت به تجاه إيثان لوقت طويل ، وأشعر به تجاه هنري
الآن . أعني ، قد لا يكون الأمر بهذه الأهمية بما أننا نشعر به تجاه
أكثر من شخص» .

- «لكنني لم أشعر به تجاهه أبداً ، وبالمقابل ، هو لم يشعر به
تجاهي . والآن ، هو يشعر به . هذا يُريحني قليلاً . أقصد ، كونه التقى
بالشخص المناسب له» .

لم أفهم على الإطلاق كيف لذلك أن يشعرها بالراحة .

«كيف لهذا أن يشعرك بالراحة؟» .

- «لأنني إن لم أكن توأم روحه، فهذا يعني أنه ليس لي، وأن هناك شخصاً آخر في العالم ينتظرني. وإذا كان قد وجد الشخص المناسب له، فهذا يعني أنني قد أجد أيضاً الشخص المناسب لي». - «وهذا أمرٌ يريحك؟».

جمعت بين سبابتها وإبهامها وتركت بينهما فراغاً صغيراً جداً.

- «راحة صغيرة جداً تكاد تكون منعدمة».

- «غير مرئية للعين المجردة».

- «ولكنها موجودة».

مسحت على ظهرها مجدداً وهي تحاول استيعاب كل هذا.

- «أتعلمين بمن فكرت بالأمس حين كنتِ تتحدثين عن ذلك

الشعور؟ الشخص الوحيد الذي أظن أنني شعرت بذلك تجاهه؟».

- «من؟».

- «جيسي فلينت».

- «ذلك الفتى من المدرسة الثانوية؟».

أومأت برأسها: «نعم. لقد تزوج فتاة تدعى جيسيكا كامبوس،

ولكن أنا... أنا لا أعلم. حتى اللحظة التي تزوج فيها، كان لدي

اعتقاد بأن شيئاً ما سيحدث بيننا».

- «لقد تطلقا منذ بضع سنوات، على ما أعتقد. رأيت ذلك

على فيسبوك».

- «شكراً على هذا الخبر. معلومة بسيطة كهذه تمنحني الأمل

بأنه قد يكون هناك شخص يجعلني أشعر تجاهه بما تشعرين تجاه

هنري».

ابتسمت لها: «يمكنني أن أعدك بأن هناك شخصاً أفضل ينتظرك في مكان ما. أؤكد لك ذلك».

- «يجب عليك العثور على هنري، ألا تعتقدين ذلك؟ كيف سنفعل ذلك؟ كيف سنعثر عليه؟».

أخبرتها بشأن الرسالة، ثم هززت كتفي: «قد لا أعثر عليه، ولكن لا بأس. لو كنت أخبرني قبل شهر أن سيارة ستصدمني وأن مارك سيفصل عنك، لما استطعت إقناعي بأن الأمور ستكون على ما يرام. ولكن صدمتني سيارة وانفصل عنك مارك، و... ما زلنا نقف على قدمينا. أو بالأحرى، أنت واقفة على قدميك، وأنا جالسة. ولكننا ما زلنا حيّين، أليس كذلك؟».

- «لكن أوضاعنا ترثى لها يا هانا».

- «ولكن لا بأس بها، أليس كذلك؟ ألسنا بخير؟ ألا يزال لدينا أملاً في المستقبل؟».

أومأت لي بحزن: «بلى».

- «لذا لن أقلق أكثر من اللازم. سأبذل قصارى جهدي وسأعيش على افتراض أنه في حال كان هنالك أشياء مقدّر لنا أن نقوم بها أو أشخاص في العالم مقدّر لنا أن نقع في حبهم، فسنجدهم، في الوقت المناسب. لا يمكننا أن نتنبأ بالغيب أبداً، وإذا حاولنا التخطيط للمستقبل، فسيكون الأمر أشبه بالتحضير لاختبار لن نخوضه أبداً. أنا بخير في هذه اللحظة بما أني معك هنا، في لوس أنجلوس. إذا سكتنا الآن، فسنسمع زقزقة العصفير في الخارج، وإذا أخذنا نفساً عميقاً فسنشم رائحة البصل المنبعثة من المطعم المكسيكي في الزاوية. في هذه اللحظة، نحن بخير. ولذا

سأركز فقط على ما أريده وما أحتاج إليه في اللحظة الراهنة وكلية
ثقة أن المستقبل سيتولى أمره بنفسه».

- «ما هو إذًا؟».

- «ما هو ماذا؟».

- «ما هو الشيء الذي تريدينه من الحياة في اللحظة الراهنة؟».

نظرت إليها وابتسمت: «لفائف القرفة».

بعد ثلاثة أسابيع

أصبحت الآن في الثلث الثاني من الحمل . لقد اكتسبت وزناً بحيث أبدو ممتلئة، ولكن ليس بما يكفي ليظهر عليّ الحمل . يبدو بطني منتفخاً كمدمني الجعة فحسب . أنا متأكدة أنني سأتضرر أكثر حين سأصبح بحجم منزل . ولكنني أظن أن هذه الفترة هي الأكثر تأثيراً على نفسيّتي . أحياناً أشعر بأنني بخير، وأحياناً أخرى أعاني من ألم في الظهر وأتناول ثلاث شطائر في وجبة الغداء . كما أنني مقتنعة أنه أصبحت لديّ ذقن مزدوجة . غابي تنكر ذلك، ولكنني أراها كلما نظرت إلى المرأة، حيث أن هناك ذقني ثم ذقن ثانية أسفل الأولى مباشرة .

ترافقني غابي إلى الكثير من مواعيدي مع الطبيب وإلى دروس ما قبل الولادة . لم تحضرها كلها، بل معظمها . كما أنها تقرأ كتب الحمل وتناقشها معي . هل ستكون الولادة طبيعية؟ هل سأستعمل حفاظات من قماش؟ (غريزتي تقول لي إنني لم أفعل). من الجيد أن يكون هناك شخص في صفّي، فهذا يزيد من ثقتي بأنني قادرة على فعل ذلك .

نعم، تعززت ثقتي بنفسي أخيراً. صحيح أن كل هذا مُخيف لدرجة أنني أشعر أحياناً بالرغبة في الاختباء تحت البطانيات وعدم الخروج منها أبداً، ولكنني امرأة لطالما بحثت عن عائلة وهدف في حياتها، وقد وجدت كليهما. كما اتضح لي أكثر من أي وقت مضى أنني محاطة بعائلة داعمة وأن غايتي في الحياة أهم مما ظننت.

لم أعد أشعر بتلك الرغبة الملحة في مغادرة المدينة التي أعيش فيها بحثاً عن أفق أوسع، إذ لا وجود لأفق أوسع، ولا لمدينة أفضل. إني متجذرة هنا. لديّ نظام داعم هنا. لديّ طفل يحتاج مني أن أختار مكاناً وأستقر فيه.

خاب أمل والدَي عندما أخبرتهما بأنني لن أنتقل إلى لندن، ولكنهما حالما تقبّلا قرارِي، اقترحا عليّ أن يأتيا إلى لوس أنجلوس برفقة سارة عندما يولد الطفل. هم من سيأتون لزيارتي. لزيارتنا.

بدأت العمل للتو في عيادة كارل، وقد ساعدني ذلك كثيراً على الاستقرار وفهم الحياة. رأيت مدى عمق الحب الذي يحمله الآباء والأمهات لأطفالهم، ومدى قلقهم إن أصيبوا بالمرض، ومدى تضحياتهم في سبيل سعادتهم وصحتهم. لقد جعلني ذلك أعيد ترتيب أولوياتي، وأحدد ما الذي أنا مستعدة للتضحية به، ليس كصديقة أو كأم فقط، بل كإنسان.

أنا مستمتعة بعملِي لدرجة أنني أفكر بالاستمرار في العمل في عيادة لطب الأطفال على المدى البعيد. صحيح أن كل هذا جديد بالنسبة إليّ، ولكنني لا أتذكر أنني عملت في وظيفة مشوقة كهذه. أحب العمل مع الأطفال والأهل، وأحب مساعدة الناس عندما

يمرون بمواقف قد تكون مخيفة بالنسبة لهم أو جديدة عليهم أو تشعرهم بالقلق والتوتر.

هذا الصباح، أخذت غابي شارلمان إلى البيطري، وفي أثناء ذلك، وجدت نفسي أبحث عن كليات تمريض على الإنترنت. صحيح أن الجمع بين وظيفة ودراسة التمريض وإنجاب طفل قد يبدو مستحيلاً، لكنني لم أدع ذلك يثبط عزيمتي. درست الموضوع وبحثت عن طرق تمكيني من التوفيق بين كل هذه الأمور، فهذا ما يفعله مَنْ يرغب في شيء حقاً. لا يبحث عن أسباب تمنعه من الحصول عليه، بل عن أسباب تساعد على ذلك. ولذا فإنني أبحث عن طرق تساعدني في بلوغ أهدافي.

كنت أبحث في موقع كلية المجتمع المحلي عندما رن هاتفي. إنه إيثان.

ترددت للحظة في الرد عليه. ترددت طويلاً لدرجة أنني بحلول الوقت الذي قررت فيه الرد، فوّتُ المكالمة.

حدقت في الهاتف مذهولة، ثم سمعت صوته.

- «أعلم أنك في المنزل. يمكنني رؤية سيارتك في الشارع».

التفتُ نحو المدخل ورأيت جبهته وشعره من خلال الزجاج أعلى الباب.

وقفت وتوجهت نحو الباب: «انقطع اتصالك قبل أن أصل إلى هاتف».

كان جزء مني لا يريد أن يفتح الباب. أقنعت نفسي في الآونة الأخيرة أن قدرتي أن أربّي هذا الطفل بمفردي، وأن أبقى لوحدي حتى يلتحق بالجامعة، وأكون حينها قد بلغت سن الخمسين. أحياناً،

عندما آوي إلى فراشي ليلاً، أتخيل المستقبل البعيد الذي يأتي فيه إثان ليطلق بابي، ويكون قد بلغ منتصف العمر، ليخبرني بأنه يحبني ولم يعد يطيق العيش من دوني، وأخبره بأنني أبادله نفس الشعور، ثم نقضي النصف الثاني من عمرنا معاً. لقد قلت لنفسي أكثر من مرة إن التوقيت سيكون مناسباً يوماً. قلت ذلك لنفسي مرات لا تحصى، حتى أنني بدأت أصدق ذلك.

بدا لي وقوفه الآن في الجهة الأخرى من الباب أمراً شاذاً، إذ لم يكن ذلك جزءاً من خطتي الجديدة.

- «هلا فتحت الباب؟ أم أنك تكرهيني لهذه الدرجة؟».

- «أنا لا أكرهك، لا أكرهك إطلاقاً».

أمسكت بالمقبض ولكن رسغي لم يتحرك.

- «ولكنك لن تفتحي لي الباب؟».

من اللباقة أن أفتح له الباب. هذا ما يجب عليّ فعله.

- «لا».

ثم أدركت السبب الحقيقي في عدم رغبتني في فتح الباب، فقررت أن أشاركه إياه.

- «لست مستعدة لرؤيتك. للنظر إليك».

ظل صامتاً للحظة. لحظة دامت طويلاً لدجة أنني ظننته غادر، ولكنه تكلم من جديد.

- «ما رأيك أن نتحدث؟ هل تمانعين التحدث؟ التحدث فقط».

- «حسناً، لا أمانع ذلك».

- «جيد، ارتاحي إذأ، قد يطول حديثنا بعض الشيء».

- اختفى شعره من وراء الزجاج، فأدركت أنه جلس على العتبة الأمامية.
- «حسناً. أنا أنصت إليك».
- صمت مجدداً، ولكن هذه المرة، أعلم أنه لم يُغادر.
- قال: «أنا مَنْ انفصل عنك».
- «قد يبدو الأمر كذلك، ولكنني لم أترك لك خياراً آخر. فأنا حامل وسأنجب طفلاً».
- «لا، أقصد حين كنّا في المدرسة الثانوية».
- ابتسمت وهزّزت رأسي، ثم أدركت أنه لا يستطيع رؤيتي، فأعطيته التأكيد اللفظي الذي ينتظره.
- قلت بسخرية: «هذا صحيح، يا شرلوك هولمز».
- «ألقيتُ اللوم عليك لأنني لم أرغب في الاعتراف بأنني لو كنتُ قد تصرفْتُ بطريقة مختلفة وقتها، لجنبتك هذا الوضع برمّته».
- «جنبتني ماذا؟ حملي؟».
- لا أريد أن أتجنب حملي. أنا سعيدة بحياتي حالياً، وإذا لم يستطع تقبل حملي، فهذه ليست مشكلتي.
- «لا، أعني بقائي بعيداً عنك كل تلك السنين».
- «أوه».
- «أنا أحبك. أنا متأكد أنني أحببتك منذ اللحظة التي رأيتك فيها في حفل المدرسة، وأخبرتني أنك تستمعين لفرقة ويزر».
- ضحكت وجلست على الأرض.
- «انفصلت عنك لأنني ظننت أنني سأتزوجك».
- «ما الذي تعنيه؟».

- «كنتُ طالباً في سنتي الجامعية الأولى وفي سن التاسعة عشرة، وكنت قد التقيت بالفتاة التي أريد الزواج منها، فأفزعني هذه الفكرة. أتذكر أنني فكرت بأنه إذا استمرت علاقتي بك، فلن يتاح لي أن أقيم علاقة مع فتاة أخرى، أو أن أقبل فتاة أخرى. لن يتسنى لي القيام بأي من الأمور التي يقوم بها أصدقائي في الجامعة، أمور أردت القيام بها. وذلك لأنني التقيت بك. التقيت بفتاة أحلامي. وفي لحظة غبية في الجامعة، فكرت بأن بقائي معك سيقف في طريق استمتاعي، فتخلّيت عنك. ولأكون صريحاً، بالرغم من أن ما سأقوله سيجعلني أبدو وغداً، لطاماً ظننت أنني سأستعيدك. ظننت أن بوسعي أن أنفصل عنك وأحظى بكل المرح وأعيش شبابي، وحين أنتهي من كل ذلك، أستعيدك من جديد. لم يخطر لي قط أن هناك أشياء مقدّسة يفترض بنا أن نحافظ عليها».

- «لم أكن أعلم ذلك».

- «أعلم، لأنني لم أخبرك به. وبالطبع، أدركتُ لاحقاً أنني لا أريد أيّاً من متع الجامعة السخيفة تلك، وكل ما أردته هو أنت. لكن عندما عدت إلى المنزل في عطلة أعياد الميلاد لأخبرك بذلك، كنتُ تواعدت شخصاً آخر. كان يجدر بي أن ألوم نفسي، ولكنني فضلت أن ألومك أنت. وكان يجدر بي أن أحارب لأستعيدك، ولكنني لم أفعل لأنني شعرت بالنبذ، فواعدت فتاة أخرى».

- «أنا آسفة».

- «لا، لا ينبغي أن تشعري بالأسف. أنا من يجب أن يتأسف. أنا آسف لأنني تصرفت بجبن، ولا أزال. أدرك ما أريده، ولكن ليست لدي الشجاعة لفعل ما يلزم للحصول عليه. أنا غبي لأنني لا

أضحى بالأشياء الصغيرة للحصول على الأشياء الكبيرة. أنا أحبك يا هانا. أحبك أكثر مما أحببت أي شخص آخر. وقد قلت لك، حين عُدت إليّ، إنني لن أسمح لأي شيء أن يقف في طريقنا مرة أخرى».

أومأت لنفسي، بالرغم من أنني أعلم أنه لا يستطيع رؤيتي. - «وما الذي فعلته؟ عند أول إشارة لوجود مشكلة، تراجع».

- «الأمر ليس بهذه البساطة يا إيثان. لقد عدنا لنتواعد من جديد، وفي غضون أسبوعين فقط، أخبرتك بأنني حامل من رجل آخر. تعد هذه ظروفًا مخففة».

- «لا أعلم. لا أظن أنني أو من بوجود ظروف مخففة، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بنا».

- «لقد قلتها بنفسك، أحياناً لا يكون التوقيت مناسباً وحسب».

- «لا أظن أنني ما زلت أو من بذلك أيضاً. يبدو التوقيت مجرد عذر، كما أن الظروف المخففة هي عذر أيضاً. إذا كنت تحبين شخصاً ما وتظنين أنك قادرة على إبعاده طوال حياتكما معاً، فلا يجب أن يقف شيء في طريقك. عليك أن تكوني مستعدة لتقبله كما هو والتعامل مع العواقب. العلاقات ليست مثالية وخالية من المشاكل، بل هي قبيحة وفوضوية ولا معنى لها سوى للشخصين المعنيين بها. هذا ما أظنه. أظن أنك إذا أحببت شخصاً حياً حقيقياً، فستقبلين جميع الظروف، ولن تختبئي وراءها».

- «ما الذي تقصده؟».

- «أقصد أنني أحبك وأريد أن أكون معك، وإذا كنت تريد أن تكوني معي أيضاً، فلن يمنعني شيء عن ذلك. لا التوقيت ولا

الأطفال ولا أي شيء. إذا أردت هذا، إذا أردت أن تكوني معي، فسأُسعد بك كيفما أنت، وسأُحبك كما أنت، ولن أحاول تغيير أي شيء فيك».

- «أنت لا تعرف ما تقوله يا إيثان».

- «بل أعرف تماماً».

كنت أَسْتند إلى الباب، فوقفت حين شعرت به يقف.

- «أنا مؤمن بأنك حب حياتي يا هانا، وأفضّل أن أعيش حياتي مع أربعين طفلاً ليسوا مني على أن أعيشها من دونك. لقد اشتقت إليك كل يوم منذ آخر مرة رأيتك فيها. لقد اشتقت إليك لسنوات طويلة. أنا لا أدّعي أن وضعنا الحالي مثالي، ولكنني أعرف أنني سأكون راضياً به إن قبلت بالعودة إلي».

- «ماذا سيحدث حين يولد طفلي؟».

- «لا أعلم. أعلم أنني قلت إنني لست مستعداً لأكون أباً، ولكنني فكرت في ذلك مع نفسي وقلت ماذا لو كان طفلي؟ هل سأُتصرف بشكلٍ مختلف؟ والحقيقة هي نعم. لو كنت حاملاً بطفلي، سواء كان ذلك عن طريق الخطأ أم لا، فكنْتُ سأستعد لتحمل المسؤولية».

سألته من خلف الباب: «والآن، بما أنه ليس طفلك؟».

- «لست متأكداً أنني أرى فرقاً كبيراً الآن. سأحب ما تحبينه».

أطرقت بنظري إلى الأرض. شعرت بيديّ ترتجفان.

- «يمكننا أن نتفق على نوع العلاقة التي نرغبين أن تجمعني مع طفلك. يمكنني أن أكون أباً أو زوج أم أو صديقاً أو عمّاً. يمكنني مساعدتك في الدروس وأن أكون بجانبك عند الولادة، إذا رغبت

بذلك طبعاً. كما يمكنني البقاء بعيداً إذا كان هذا ما ترغيبين به. سأفعل ما تطلبينه مني. سأكون الشخص الذي تحتاجينني أن أكون. اسمحي لي بأن أكون جزءاً من هذا يا هانا، اسمحي لي بأن أكون معك». وضعت يديّ على الباب لأثبت نفسي... شعرت كأنه سيغمي عليّ.

- «لا أعلم ما ينبغي عليّ قوله».

- «قولي ما تشعرين به».

- «أشعر بالارتباك. والدهشة».

- «أكيد».

- «وأشعر بأننا نستطيع فعل ذلك».

- «حقاً؟».

- «نعم. أشعر بأنه ربما هذا ما قُدِّر أن يحدث لنا منذ البداية».

- «حقاً؟».

شعرت بالفرح في صوته وهو يتردد من خلال الباب.

- «نعم. ربما قُدِّر لي أن أنجب هذا الطفل. وقُدِّر لي أن أكون

معك. وكل شيء يحدث كما قُدِّر له أن يحدث».

بدا وكأن ما اعتقدت أنه قدراً مُبرماً يتماشى تماماً مع رغباتي في

كل لحظة، وأظن أن هذا جيد. أظن أن هذا أملٌ.

قلت له: «إن العلاقات فوضوية. لقد قلت منذ قليل إنها

فوضوية وأنت محق في ذلك. علاقتنا فوضوية».

- «لن تضرنا الفوضى، أليس كذلك؟ يمكننا التعامل معها».

انهمرت الدموع على وجهي: «نعم، يمكننا التعامل مع

الفوضى».

مكتبة
t.me/soramnqraa

- «افتحي الباب يا حبيتي، أرجوك. أنا أحبك».
- «وأنا أحبك أيضاً».
- لكنني لم أفتح الباب.
- «هانا؟».
- «لقد أصبحت سمينة».
- «لا أمانع ذلك».
- «أصبحت لدي ذقن مزدوجة».
- «وأنا لدي بثور في ظهري. لا أحد كامل».
- ضحكت رغم دموعي.
- «هل أنت متأكد أنك مستعد لمواعدة فتاة سمينة؟».
- «ما الذي قُلته لك سابقاً؟ قلت إنني سأرغب في أن أكون معكِ حتى لو أصبح وزنكِ مئتي كيلوغرام».
- «وهل عنيتَ هذا حقاً؟».
- «عنيتُ كلَّ حرفٍ منه».
- فتحت الباب فوجدت إيثان واقفاً على العتبة. كان يرتدي قميصاً باللون الأزرق الفاتح وسروال جينز غامقاً. كانت عيناه تلمعان وترسم على وجهه ابتسامة عريضة، ويحمل بيده صندوقاً مليئاً بلفائف القرفة.
- «أنت أجمل امرأة رأتها عيناى».
- تقدّم بضع خطوات داخل المنزل وقبّلني. ولأول مرة في حياتي، علمت أنني قمت بكل شيء على نحوٍ صحيح.

بعد ثلاثة أشهر

أصبحت قادرة على المشي الآن. لوحدي. من دون مشاية طبية. أستعين بعضاً أحياناً، عندما أشعر بالتعب أو الألم. ولكن هذا لا يعيقني أبداً. أمشي أحياناً إلى المتجر في آخر الشارع لشراء قطعة حلوى، ليس لأنني أرغب بقطعة الحلوى، بل لأنني ممتنة لقدرتي على المشي وشرائها.

لم تشعر غابي بأنها مستعدة للمواعدة بعد، فهي لا تزال تعاني من الصدمة جراء كل ما حدث، ولكنها تمضي قدماً في حياتها. إنها سعيدة. وقد أحضرت لنا كلب سانت بيرنارد مثل الذي عند كارل وتينا، وسمته تاكر.

أما المرأة التي صدمتني، فقد ثبت أنها مسؤولة عن حادثة صدم وفرار أخرى كانت قد ارتكبتها منذ عامين. لم تصدم شخصاً حينها، بل صدمت سيارة وفرت. كان المال الذي جنيته من الدعوى ومن شركة التأمين كافياً ليساعدني على الوقوف على قدمي.

عندما أصبح بإمكانني الانتقال من مكان إلى آخر، قمت بشراء

سيارة. سيارة هاتشباك حمراء يمكنك رؤيتها من بعيد. سيارة تعكس شخصيتي.

وحالما أصبح لديّ سيارة، بدأت بالبحث عن وظيفة. أخبرت كارل وتينا أنني أفكر في الالتحاق بكلية التمريض، وأنني سأكون قادرة على دفع أقساط الدراسة عندما أقبض مستحقاتي. ما زلت أفكر بالمرضات والممرضين الذين ساعدوني أثناء فترة علاجي في المستشفى، خاصة الممرضة هانا، وكيف تعاملت معي في أكثر حالاتي إزعاجاً. كما أفكر بديانا وبممرضة الأطفال التي ساعدت هؤلاء الآباء في طابق أمراض السرطان. وبطبيعة الحال، أفكر بهنري.

يسدي الممرضون والمرضات مساعدة عظيمة للناس. وقد بدأت أعتقد أنه لا يمكن أن أكرّث وقتي لعمل أكثر أهمية من هذا. عندما تنجو من موتٍ وشيكٍ، تجد في نفسك العزيمة للإقدام على فعل أشياء ترفع من شأنك، وأعتقد أن هذا هو حالي. عرض عليّ كارل العمل في عيادته إلى أن أقرر ما أريد فعله. أخبرني أن عيادته أعدت برنامجاً لمساعدة الموظفين على الدراسة ليلاً في حال استوفوا معايير مالية معينة. وعندما ذكرته أنني قد لا أستوفي تلك المعايير، ضحك وقال:

- «نقطة وجهة! اقبلي الوظيفة من أجل الخبرة وراتب المعيشة إذاً، وأنفقي مالك على الدراسة».

قبلت التحدي، ولم يمضِ على تسلمي الوظيفة الجديدة إلا بضعة أسابيع، حتى أكّدت لي ما بدأت أدركه: أنا أسير في الطريق الصحيح.

حزن والداي عندما أخبرتهما أنني لن أنتقل إلى لندن، ولكنهما تقبلا قرارى .

قالت أمى : «حسناً، نتفهم ذلك . ولكن فى هذه الحالة، يجب أن نتحدث ونحدد وقتاً مناسباً لنزورك» .

أخذ منها أبى السماعه وقال إنهم سيأتون لزيارتى فى يوليو، سواء أحببت ذلك أم لا .

- «لا أريد الانتظار حتى عطلة أعياد الميلاد لأراك مجدداً، ولكى أكون صادقاً، لقد بدأت أفتقد حفلات الشواء فى الرابع من يوليو» .

وبعد بضعة أسابيع، اتصلت أمى لتخبرنى بأنهما قررا شراء شقة فى لوس أنجلوس :

- «نحن بحاجة إلى مكان نقيم فيه عندما نأتى لزيارتك من الآن فصاعداً . هذا إذا كنت ستبقين فى لوس أنجلوس . . .» .

قلت لها إننى سأبقى هناك . قلت إننى لن أذهب إلى أى مكان آخر . قلت إننى أتيت إلى لوس أنجلوس لأستقر فيها . لم أفكر فى الأمر مرتين حين قلت ذلك . قلته فحسب .

لأن هذه هى الحقيقة .

بدأ إيثان بمواعدة امرأة لطيفة جداً تدعى إيلا . إنها معلمة فى مدرسة ثانوية وتمارس ركوب الدراجات بشغف . قام الشهر الماضى بشراء دراجة، وهما الآن فى رحلة مدتها ثلاثة أيام تهدف إلى جمع التبرعات لصالح أبحاث السرطان . بدت السعادة واضحة عليه، وقد أخبرنى قبل أيام بأنه لا يصدق أنه عاش كل هذه السنوات فى لوس

أنجلوس دون أن يراها من دراجة. هو يرتدي الآن سراويل الدراجين القصيرة. سراويل ضيقة وقصيرة على نحوٍ مضحك، يرتديها مع قميص وخوذة خاصة بالدراجين أيضاً. حين خرجنا ذات ليلة لتناول العشاء معاً، ركب دراجته من شقته إلى المطعم، مع أن المسافة بينهما تستغرق ثلاثين دقيقة بالسيارة. كانت الابتسامة التي علت وجهه حين دخل المطعم تُنافس الشمس في إشراقها.

وكان تعامله معي رائعاً. كان يرسل لي رسائل نصية كلما صادف مكاناً يقدم لفائف قرفة لم أجربها من قبل. وحين أصبحت قادرة على صعود الدرج لوحدي، أتى إلى المنزل وساعدني أنا وغابي على نقل أغراضي إلى غرفتي في الطابق الثاني. حتى أن علاقته بغابي توطدت بشكلٍ كبير. خلاصة القول إن إيثان صديق عظيم. وأنا سعيدة لأنني لم أفسد صداقتنا بالتفكير بأنه لا يزال هناك شيء ما بيننا، فنحن أفضل حالاً هكذا.

سأكون كاذبة إن قلت إنني لا أفكر أبداً في الطفل الذي كنت سأُنجبه لو لم تصدمني سيارة. أفكر فيه أحياناً حين أكون منشغلة بشيء ما، كالاستحمام أو قيادة السيارة. كنت أواسي نفسي بأنني لم أكن مُستعدة لأكون أمّاً في ذلك الوقت. ولكن سأكون مستعدة يوماً ما. كما أنني أحاول ألا أشغل ذهني بالتفكير كثيراً في الماضي أو فيما كان يمكن أن يكون.

معظم الأيام، كنت أستيقظ مفعمة بالنشاط والراحة والحماس لبدء يوم جديد. وإن دَلَّ هذا على شيء، فدَلَّ على أنني بخير.

استيقظتُ باكراً هذا الصباح، فقررت ركوب سيارتي والتوجه إلى بريموس. بدأت هذه العادة الجديدة للترويح عن نفسي كلما

حظيت بوقت فراغ، وغالباً ما كنت أتصل بأبي من هناك. صحيح أن المكالمات الهاتفية لا تشبه الشعور بصحبته حين كنت صغيرة، ولكنها تماثلها إلى حد ما. كما أنني اكتشفت أنني كلما تحدثت إلى والدي أكثر، شعرت بالارتياح أكثر.

اتصلت به وأنا أقود السيارة ولكنه لم يجبني، فتركت له رسالة أخبرته فيها أنني في طريقي إلى بريموس وأني أفكر فيه. دخلت موقف سيارات بريموس المزدحم وركنت سيارتي. أخذت عصاي من المقعد الخلفي وسرت نحو مدخل المحل، دخلت، وقفت في الطابور، وطلبت لفائف قرفة لي ودونات باللبن لغايي.

دفعت حسابي، وتسلمت كيساً ملطخاً بالزيت. ثم سمعت صوتاً مألوفاً يخاطب المحاسب. - «لفائف قرفة لو سمحت».

استدرت لأنظر، ولوهلة، لم أتعرف إليه. كان يرتدي سروال جينز وقميصاً، وأنا لم أره من قبل سوى بلباس طبي باللون الأزرق الغامق.

نظرت إلى ذراعه لأتأكد من أنني لست مجنونة وأني لا أتخيل أشياء.

إيزابيلا.

- «هنري؟».

إنه هو بالطبع. أنا متفاجئة من شعور الألفة الذي راودني لدى رؤيته، وكيف بدا وقوفه أمامي أمراً طبيعياً.

هنري .

- «مرحباً، مرحباً، مرحباً. أهلاً» .

ابتسم : «أهلاً. توقعت أن أصادفك هنا يوماً» .

أعطى الرجل الواقف خلف المنضدة لفائف القرفة لهنري ،
وأخذ منه ثمنها .

- «من بين جميع محلات لفائف القرفة في العالم، أتيت إلى
محلي» .

ضحك : «بصراحة، لقد أتيت هنا عمداً» .

- «ما الذي تعنيه؟» .

- «كنت أعرف أنني إذا أردت لقاءك مجدداً، وأن يكون لقاء
بالصدفة حيث نتحدث كشخصين عاديين، فليس أمامي من فرصة
سوى الذهاب إلى أفضل مكان تُعدّ فيه لفائف القرفة» .

احمر وجهي خجلاً وشعرت بالحرارة في وجنتي .
عرقل وقوفنا هناك حركة الطابور .

- «هل يمكننا التحدث في الخارج؟» .

أومأت برأسي وتبعته إلى الخارج . جلسنا إلى إحدى الطاولات
المعدنية ووضعت عليها طعامي . أخرجنا لفائف القرفة من أكياسها ،
وأخذ منها هنري قزمة أولاً .

عندما انتهى من المضغ، سألتني : «هل وصلتكِ رسالتي؟» .

كنت أمضغ مُغمضة العينين وأومئ له برأسي، ثم قلت أخيراً :

«نعم . بحثت عنك لفترة من الوقت . في زوايا الشوارع وفي
المتاجر . حتى أنني أصبحت أنظر إلى أذرع الرجال» .

- «بحثاً عن الوشم؟» .

- «نعم».

«ولم تعثري عليّ أبداً؟».

- «إلى اليوم».

ابتسم.

- «أنا آسفة إذا كنت قد تسببت لك بأي مشاكل في عملك».

حرّك يده نافياً: «لم تتسببي بأي شيء. لم تحب هانا المجازفة التي قمتَ بها بعد مغادرتي».

ثم ضحك: «ولكنها قالت أيضاً إنك تبدين كمتربصة وإني لم أخلّ بواجبي كمرض».

احمر وجهي خجلاً، فأخبأته بيدي.

- «أوه، أنا محرجة جداً. كنت تحت تأثير الأدوية».

ضحك: «لا تشعرني بالحرَج. لقد سُدْتُ حين علمتُ بالأمر».

- «حقاً؟».

- «أتمزحين؟ أجمل فتاة رأيتها في حياتي تدفع نفسها في أرجاء المستشفى بحثاً عني؟ لقد سُدْتُ بذلك كثيراً».

- «حسناً... رغبتُ في توديعك بشكل لائق. شعرت أننا...».

هز هنري رأسه: «لست بحاجة أن تشرحي لي أي شيء. هل أنت متفرغة الليلة لتناول العشاء؟ أريد اصطحابك في موعد».

- «حقاً؟».

- «نعم. ماذا تقولين؟».

ضحكت: «بالطبع. يبدو هذا رائعاً. أوه، ولكنني لست متفرغة

الليلة. لدي بعض الترتيبات مع غابي. ماذا عن يوم غد؟ هل يناسبك؟».

- «نعم. ما يناسبك يناسبني. ماذا عن الآن؟ ماذا لديك الآن؟».

- «الآن؟».

- «نعم».

- «لا شيء».

- «هل تتمشّين معي؟».

- «يسعدني ذلك».

مسحت السكر عن أصابعي وتناولت عصاي.

- «آمل أنك لا تمنع استخدامي العصا».

- «أتمزحين؟ جلّث على جميع المخابز على أمل أن ألتقي بك. لن تقوم عصا سخيّة بإبعادي عنك».

ابتسمت: «بالإضافة إلى ذلك، لو لم أكن بحاجة لهذه العصا، لم أكن لألتقي بك أبداً على الأرجح. لكن، من يعلم، ربما كنا سنلتقي بطريقة أخرى».

- «بصفتي رجل قضى شهوراً يحاول مقابلتك بالصدفة، دعيني أؤكد لك أنه من الصعب جداً لمساري شخصين أن يتقاطعا».

أخذ يدي في يده. لقد انتظرت هذه اللحظة طويلاً، حسبت أنها لن تأتي أبداً، فشعرت بها كإحدى أكثر اللحظات رومانسية وحميمية في حياتي.

- «نخب حوادث السير إذاً».

ضحك: «نخب حوادث السير وكل شيء أدى إلى هنا».

ثم قبّلني ، فأدركت حينها أنني مخطئة بخصوص إمساكه ليدي .
هذا ما انتظرته طويلاً . شعرت بنفسني أعود مراهرة طائشة من جديد .
وأنا أقف هناك وسط المدينة أُقبّل ممرضي الليلي ، علمت لأول
مرة في حياتي أنني قمت بكل شيء على نحوٍ صحيح .
طعمه كطعم لفائف القرفة ، ولم يسبق لي أن أقبّل شخصاً بطعم
لفائف القرفة من قبل .

46

بعد ثلاث سنوات

كانت غابي تكره المفاجآت، ولكن كارل وتينا أصرا على أن تكون الحفلة مفاجأة لها. قلت لهما إنني سأحترم رغبتهما، ولكنني أخبرت غابي بكل شيء الأسبوع الماضي حتى تكون على دراية بما ينتظرها. أعلم أنني لو كنت مكانها لرغبت في أن أعرف سلفاً. فها نحن هنا في حفل عيد ميلادها الثاني والثلاثين، أنا وإيثان وخمسون شخصاً من أصدقائها المقربين، كلنا مجتمعون في غرفة معيشة والديها الغارقة في الظلام، بانتظار مفاجأة شخص لن تحرك فيه المفاجأة شيئاً.

سمعنا صوت سيارة والديها تتوقف عند المدخل، وحين رأيتُ مصابيح السيارة الأمامية تنطفئ، دعوت الجميع إلى التزام الصمت. سمعنا خطواتهم تدنو من المنزل. رأينا الباب يُفتح.

أضأتُ الأنوار فصرخ كلُّ مَنْ في الغرفة: «مفاجأة!» كما كان يُفترض بنا تماماً.

اتسعت عينا غابي من الدهشة. يا لها من مخادعة بارعة. بدت
كما لو أنها مذعورة حقاً. استدارت على الفور نحو جيسي واتكأت
على صدره، فضحك واحتضنها.
هناها: «عيد ميلاد سعيد!».

ثم جعلها تستدير نحونا من جديد لتتظر إلينا جميعاً.
زينت تينا الغرفة بأسلوب أنيق، إذ قامت بتجهيز بار خاص
بالشامبانيا والحلوى، وملأت المكان ببالونات بيضاء وفضية.
شقت غابي طريقها نحوي وهمست لي: «حمداً لله أنك
أخبرتني. لا أعلم ما إذا كان بإمكانني التعامل مع كل هذا من دون
تنبيه مسبق».

ضحكت: «عيد ميلاد سعيد! مفاجأة!».

ضحكنا معاً.

- «أين غابرييلا؟».

- «لقد تركتها مع باولا».

باولا هي جليسة الأطفال المفضلة لدينا. إنها مربية أكثر من
كونها جليسة أطفال. هي امرأة مُسنة كنت قد عملت معها في عيادة
كارل، شَعَرْتُ بالملل بعد تقاعدها، فبدأت تعتني بغابرييلا خلال
النهار حين أكون في العمل أو عندما لا نكون أنا وغابي وإيثان في
المنزل. غابرييلا تحبها كثيراً. ولطالما أطلقنا أنا وإيثان على غابي
اسم أم غابرييلا الثالثة، فكان من الطبيعي أن نطلق على باولا اسم
أمها الرابعة. ولأنني افتقرت لوجود والدَي حولي، حرصت على أن
أحيط طفلي بوفرة من الأمهات.

همست لي بسرية: «هل أخبرتِ باولا بالأمر؟».

افترضتُ أنها تشير إلى حقيقة أنني وإيثان بدأنا هذا الشهر بمحاولة إنجاب طفل ثانٍ.

همست: «لا. أنت الوحيدة التي تعلمين عنه».

قال إيثان: «من الأفضل أن نخبر الجميع عندما ننجح في ذلك، ولكن يبدو أن هانا قد نسيت أن تشاركك أفضل خبر لهذه الليلة».

- «حقاً؟».

قال إيثان وهو يقف بجانبني: «باولا ستقضي الليلة مع غابرييلا، ولذلك سنحتفل طوال الليل!»، ثم أضاف مهنئاً غابي: «عيد ميلاد سعيد!».

أهداها زجاجة النبيذ التي كنا قد أحضرناها لها.

عانقته: «شكراً لك! أحبكما يا رفاق. شكراً لكما على كل شيء».

قلت: «ونحن نحبك أيضاً. هل رأيت عائلة فلينت؟ إنهم هناك في الخلف»، ثم أشرت إليهم.

اتجهت نحوهم قبل أن أنهي جملتي. عانقت أفراد العائلة التي ستزوج منها قريباً. كان من الواضح أنهم يحبونها.

أقبل كارل نحوي: «محاولة جيدة يا صغيرتي. كدتما تخذعاني».

تظاهرت بالارتباك وقلت: «ليست لدي أدنى فكرة عما تتحدث عنه».

- «كانت غابي تعلم. أنا أعرف ابنتي، كانت تعلم. أعرف أن جيسي لم يخبرها لأنه لا يزال يهابني. أنت الوحيدة التي لديك الشجاعة الكافية لتحدي أوامري».

ضحكتُ وقلت دفاعاً عن نفسي: «إنها تكره المفاجآت».
هز كارل رأسه ونظر إلى إيثان: «هل تعتبر زوجتك ذلك عذراً
كافياً؟».

ضحك إيثان ورفع يديه مستسلماً: «سأبقى خارج الموضوع».
قلت لكارل بصدق: «أنا آسفة».
لوح لي: «أنا أمازحك. طالما أنها سعيدة، فلا شيء يهمني،
ويبدو أنها كذلك».

شقت تينا طريقها عبر الحشد للتحدث إلينا. عانقتني بقوة
وباشرت في الموضوع فوراً.

- «متى ستتركين العمل في العيادة وتبدأين الدراسة بدوام
كامل؟».

- «الشهر القادم، ولكنني لست متأكدة من ذلك بعد».
نظرتُ إلى كارل. لقد تمكنت من الالتحاق بالكلية بفضل عملي
لديه، وبفضل استفادتي من برنامج سداد الرسوم الدراسية الذي
يقدمونه في العيادة. حظيت بفرصة رائعة، ولكن مع تربية غابرييلا
واحتمال إنجاب طفل آخر، وجب عليّ الحصول على شهادتي
بسرعة. تناقشت في الموضوع مع إيثان، وقررنا أن أترك العمل
وأبشر الدراسة بدوام كامل. ولكن إذا أرادني كارل أن أبقى لمدة
أطول، فسأفعل. أنا مستعدة لفعل أي شيء من أجله، فلولاه وعائلة
هدسون بجاني، لا أعلم ما كان سيحل بي.

- «هلا توقفتِ عن ذلك؟ اذهبي واحصلي على شهادتك.
وعندما تنتهين، اعطيني الأولوية في توظيفك، هذا كل ما أطلبه
منك».

- «ولكنكما قدمتما لي الكثير. الكثير جداً. لا أعلم كيف يمكنني أن أرد أفضالكما عليّ».

قالت تينا: «لا تردّي لنا شيئاً. فنحن عائلتك».

ابتسمت ووضعت رأسي على كتف كارل.

قال كارل: «أنا بحاجة إلى خدمة منك الليلة، إذا تكرّمت».

- «أكيد».

- «يلجّ عليّ ييتس لأوظف رجلاً كان يعمل في عيادته القديمة.

أظنه ممرّضاً، وقد أتى برفقته الليلة. ييتس مثل الكلب الذي يُمسك بعظم. إنه لا يفك عنك عندما يريد شيئاً».

كان ييتس طبيباً جديداً في العيادة. كارل وييتس لا يتفقان في الرأي في كثير من الأمور، ولكنه رجل طيب. لقد دعوته لحضور الحفلة بالرغم من أن كارل لم يرَ ضرورةً في ذلك، إلا أن كارل أراد أيضاً دعوة كل مَنْ يعمل في العيادة ما عدا ييتس. لذا... أظنني كنت محقة بشأن دعوتي له.

واصل كارل حديثه: «وأنتِ تعرفينني، أنا لا أجيد التحدث في أمور العمل عندما أكون في حفلة. أو بالأحرى، أكره التحدث في أمور العمل عندما أكون في حفلة».

لا يمانع كارل التحدّث بأمور العمل في أي مكان، ولكنه لا يريد التحدّث إلى ييتس وحسب.

- «في حال صادفتُ أحدهما، فسأقوم بتحريّ سريع لأجلك».

قال إيثان: «سأذهب للاطمئنان على غابريلا».

وقفت وشاهدته يدخل المطبخ ويتصل بباولا. هو يفعل ذلك طوال الوقت. يشجعني أن نتركها ونخرج، ثم يقوم بالاتصال كل

ساعتين ليتفقدھا، ولا يهنأ له بال حتى يطمئن علیھا ويعرف ماذا أكلت. بالنسبة إلى شخص لم يكن مستعداً ليكون أباً، هو أكثر الآباء حرصاً عرفته في حياتي.

لقد تبنى غابرييلا رسمياً السنة الماضية لأنه أرادنا أن نحمل جميعاً الاسم نفسه: «نحن عائلة. نحن فريق».

أصبح اسمها الآن غابرييلا مارتن هانوفر. نحن عائلة مارتن هانوفر.

صحيح أن لا صلة دم تربط بين غابرييلا وإيثان، إلا أن من يراهما ويسمعهما يتحدثان معاً لا يمكنه أن يخمن ذلك. حين كنّا في محل البقالة منذ أيام، قال أمين الصندوق إن غابرييلا وإيثان لديهما نفس العينين. ابتسم إيثان وشكره.

سمعتة يتحدث في الهاتف.

- «أعلم يا حبيبتي، ولكن بابا يريد التحدث إلى باولا. إذا ذهبت إلى النوم عندما تطلب منك باولا ذلك، فسنبلك أنا وماما عندما نعود إلى المنزل، اتفقنا؟».

لا بد أن تكون غابرييلا قد أعادت الهاتف لباولا لأنني سمعتة يقول:

- «حسناً، هل قمت بتنظيف أنفها؟».

نحن متعبون معظم الوقت ولا نخرج في مواعيد بقدر ما نريد، ولكننا نحب أحداً الآخر بجنون. أنا متزوجة من رجل أصبح أباً لأنه يحبني، ويحبني الآن لأنني جعلت منه أباً. كما أنه يضحكني ويبدو وسيماً عندما يتأنق، كما فعل الليلة.

عاد إلى الغرفة، وسرعان ما عمّت الضجة المكان لدرجة أننا

بالكاد سمعنا بعضنا كلام بعض . وعندما بلغت الحفلة أوجها ، طلب أحد الحضور من جيسي أن يروي قصة لقاءه مع غابي . عمّ الهدوء المكانَ شيئاً فشيئاً حتى سكت الجميع للاستماع إليه . وقف جيسي عند قاعدة المدفأة حتى يتمكن الجميع من رؤيته وسماعه لأنه كان قصير القامة .

- «حين كنت في الصف العاشر ، وفي اليوم الأول من دروس الهندسة ، نظرتُ إلى مقدمة الصف ووقعت عيناى على الفتاة الأكثر إثارة للاهتمام» .

حكى جيسي هذه القصة مرات عديدة ، حتى أنني أصبحت قادرة على سردها بنفسى .

- «ولحسن حظى ، كانت أقصر منى» .

ضحك الجميع .

- «ولكننى لم أطلب منها أن تواعدنى لأننى كنت متوتراً للغاية . ثم بعد ثلاثة أسابيع ، طلبت منى فتاة أخرى الخروج معها ، فوافقت لأننى كنت فى الخامسة عشرة من عمرى ، وكنت سأرضى بأي فتاة يمكننى أن أحصل عليها» .

تعالَت ضحكات الجميع مجدداً .

- «واعدتُ جيسىكا لمدة طويلة ، ثم انفصلنا فى السنة الأخيرة من الثانوية . وبطبيعة الحال ، ما إن انفصلنا حتى ذهبت إلى غابى وطلبت منها أن تخرج معى فى موعد . قضينا وقتاً رائعاً ، وبعد ذلك ، اتصلتُ بى حبىبتى السابقة فى صباح اليوم التالى وقالت إنها تريد أن نعود لبعضنا و... هذا ما فعلنا . قضيت فترة الجامعة مع جيسىكا ، ثم تزوجنا بعد ذلك ، إلى آخره...» .

كان دائماً يقول «إلى آخره».

- «ثم انفصلنا بعد سنتين من زواجنا. لم تنجح علاقتنا وحسب. وبعد بضع سنوات، تلقيتُ طلب صداقة على فيسبوك من غابي هدسون. غابي هدسون العظيمة».

هذا هو الجزء المفضل لديّ. الجزء الذي يسمّيها فيه «غابي هدسون العظيمة».

- «شعرت بالتوتر والحماس وبدأت أتعقب حسابها على فيسبوك متسائلاً ما إذا كانت عازبة وما إذا كانت ستقبل بمواعدي. وسرعان ما خرجنا لتناول العشاء معاً في مطعم شهير في هوليوود. ثم خالجنني هذا الشعور. لم أخبرها بشأنه وقتها لأنني لم أرغب في أن أبدو غريب الأطوار، ولكنني شعرت بأنني فهمتُ أخيراً لماذا الناس يتزوجون مرة ثانية. عندما انفصلت عن زوجتي، لم أكن متأكداً أنني سأرغب في الزواج مجدداً. ثم اتضح لي كل شيء وفهمت أن زواجي لم ينجح في المرة الأولى لأنني اخترتُ الشخص الخطأ. وأخيراً، ها هو الشخص المناسب يقفُ أمامكم. فانتظرت حتى قضينا بضعة أشهر من المواعدة ثم أخبرتها بشعوري وطلبت منها أن تتزوجني، فقبلت».

كانت هذه نهاية قصته عادةً، ولكنه واصل الكلام.

- «قرأت مؤخراً كتاباً يتحدث عن الكون».

ثم نظر حوله قائلاً: «تمهّلوا، ثقوا بي، ما سأقوله يتعلّق بقصتي».

ضحك الحضور مجدداً.

- «قرأت فيه نظريات مختلفة عن الكون، وتأثرت حقاً بتلك النظرية التي تقول إن كل ما هو محتمل لا بد أن يحدث. هذا يعني أنه عندما ترمون ربع دولار في الهواء، فلن يسقط على الأرض طُرَّةً أو نقشاً، وإنما سيسقط طُرَّةً ونقشاً. فكل مرة ترمون قطعة نقدية وتسقط طُرَّةً، أنتم بكل بساطة في العالم الذي سقطت فيه العملة طُرَّةً. وهنالك نسخة أخرى منكم، خُلِقَتْ في الثانية التي رميتم فيها العملة، رأت العملة تسقط نقشاً. كل ثانية من كل يوم، ينقسم العالم أكثر فأكثر إلى عدد لا متناهِ من الأكوان الموازية التي يحدث فيها كل ما يمكن أن يحدث. وبالمناسبة، هذه نظرية معقولة تماماً. إنها تفسير منطقي لميكانيكا الكم. هناك احتمال أنه في كل مرة نقوم فيها باتخاذ قرار ما، تكون نسخة أخرى منا في مكان آخر اتخذت قراراً مغايراً. وبالتالي، هنالك نسخ لا متناهية منا تعيش عواقب كل احتمال في حياتنا. ما أريد قوله هو أنني أعلم أنه قد يكون هنالك أكوان أخرى اتخذت فيها خيارات مختلفة أدت بي إلى مكان آخر، وإلى شخص آخر».

نظر إلى غابي: «وقلبي ينفطر على كل نسخة مني لم تجد طريقها إليك».

أشعر بالحرج من القول إنني بدأت بالبكاء. نظرت إلى غابي، ورأيت الدموع في عينيها أيضاً. أنهى جيسي كلامه، ولكن عيون الحاضرين بقيت عليها. كان الجميع يحدقون فيها. كان عليّ أن أفعل شيئاً، ولكنني لم أعرف ما هو.

صرخ رجل من الخلف: «شكراً لجعل بقية الرجال يبدون سيئين!».

ضحك الحضور وتفرقوا. استدرت ونظرت خلفي لأتعرف إلى الرجل الذي تكلم ولكنني لم أره، بل رأيت الدكتور ييتس بدلاً منه. التفتُ نحو إيثان: «ها هو الدكتور ييتس هناك. سأذهب لأحييه وأعود بعد قليل».

أوماً برأسه موافقاً ومشى نحو طاولة الحلويات «سأحضر لك بعض التشيزكيك، إلا إذا وجدت لفائف قرفة».

توجّهت نحو الدكتور ييتس.

مكتبة

t.me/soramnqraa

قال لي: «هانا. إنها حفلة رائعة».

ضحكت: «نعم، إنها كذلك».

- «اسمعي، أريد أن أعرفك على أحد».

أشار إلى رجل يقف بجانبه وعلى ساعده وشم كبير لم أتبين ما هو بالضبط، ولكنني أظنه نصّاً نُقش بأحرف متصلة.

- «هذا هنري. أحاول إقناعه بترك العمل لدى أنجلوس بريسبيتيريان ليأتي ويعمل معنا».

قلت: «مكان عملنا رائع حقاً».

- «وهنري أحد أفضل الممرضين الذي عملت معهم على الإطلاق».

قلت لهنري: «يا لها من تزكية!».

فأجاب: «حسناً، لقد دفعت له الكثير من المال ليمدحني».

ضحكت.

قال الدكتور ييتس: «أستسمحكما. أريد أن ألقى التحية على غابي».

تركنا وذهب، فبقيت وحدي مع هنري لا أعرف بماذا أحدثه.

- «هل رأيت طاولة الحلوى؟».

- «نعم. كنت سأخذ بعضاً منها، ولكن بصراحة، أنا أفضل حلويات الإفطار أكثر بكثير، فطيرة الدانيس مثلاً، أو لفائف القرفة».

- «أنا مهووسة بلفائف القرفة».

- «معك الحق في ذلك، فهي لذيذة جداً. لو خُيِّرَت بين لفائف القرفة والبراونيز، فسأختار لفائف القرفة دون تردد».

ضحكت: «وكأنك تسرق الكلام من فمي».

ضحك أيضاً: «هل أنت من هنا؟».

- «نعم، وأنت؟».

هزّ رأسه: «لا، لقد انتقلت من تكساس منذ حوالي ثماني سنوات».

- «أوه، من أي مدينة في تكساس؟».

- «من ضواحي أوستن».

ابتسمت: «لقد عشتُ في أوستن لفترة، إنها منطقة رائعة».

- «تماماً، لكن مناخها حار كالجحيم».

- «نعم، أوافقك الرأي».

- «هل أنتِ ممرضة أيضاً؟».

- «أحاول أن أكون كذلك. سأترك وظيفتي في العيادة لأبدأ بالدراسة بدوام كامل. أنا متشوقة للانتهاء من الدراسة والبدء بالعمل».

- «أتذكر اللحظة التي أصبحت فيها ممرضة رسمياً».

ثم ضحك: «أشعر كأنه مضى على ذلك دهر من الزمن».

- «صحيح، أنا متأخرة قليلاً».

- «أوه لا، لم أقصد ذلك أبداً. كل ما قصدته هو أنني أشعر وكأنه مرّ دهر منذ أن بدأت العمل».

- «هل رغبت دائماً بالعمل في مجال الرعاية الصحية؟».

بما أننا بصدد الموضوع، فلن أضيّع الفرصة للتعرف عليه أكثر ومعرفة ما إذا كان يصلح للعمل في عيادتنا أم لا.

أوماً برأسه: «نعم، تقريباً. لقد توفيت أختي حين كنت صغيراً».

- «أنا آسفة جداً».

- «لا داعي للأسف، ولكن شكراً لك. أتذكر فقط أنني ذهبت إلى المستشفى عندما كنت طفلاً ورأيت كيف كان الممرضون والممرضات يبذلون ما بوسعهم لرعايتها وتوفير سبل الراحة لها، ولنا جميعاً. و... لا أعلم، أعتقد أنني أردت دائماً القيام بذلك».

بعد سماعي حكايته، لا مجال أن أقول لا لهذا الرجل.

قلت له: «أما أنا، فرغبت في مزاولة التمريض عندما كنت حاملاً بابنتي وكنت قد بدأت لتوي بالعمل في العيادة. رأيت حال بعض الأهالي الذين يأتون بأطفالهم. رأيت الخوف الذي يشعرون به ومدى حاجتهم لوجود شخص يستطيع تفهّم ما يعانونه، فأردت أن أكون ذلك الشخص. ثم أنجبت ابنتي وشعرت بذلك الخوف. شعرت بالألم لمجرد تفكيري بأنه قد يُصيبها مكروه. كل ما أردته هو المساعدة على تهدئة ذلك القلق، تعرف ما أعنيه؟».

ابتسم لي ابتسامته لطيفة جعلتني أشعر بالراحة.

- «نعم، أفهم ما تعنيه».

إذا كان جيسي محققاً بشأن وجود أكوان أخرى، فعلى الأرجح أنني قابلت هنري في أحدها من قبل. قد نكون عملنا معاً في مكان ما، أو تقابلنا في تكساس منذ سنوات ربما، أو أثناء وقوفنا في طابور لشراء لفائف القرفة.

قلت: «حسناً، أنا متأكدة أنني سأراك مجدداً، بشكل أو بآخر».

فرد: «نعم، أو ربما في حياة أخرى». ضحكك واستأذنته عندما رأيت إيثان قادماً وقد أحضر لي قطعة تشيزكيك صغيرة.

قال: «ما رأيك أن نغادر باكراً؟». - «باكراً؟ ظننت أننا سنحتفل طوال الليل لأن باولا ستنام في منزلنا الليلة».

- «صحيح، ولكن ماذا لو غادرنا الحفلة وذهبنا إلى... فندق؟».

رفعت حاجبيّ مستغربة: «هل أنت تقترح عليّ...». - «أن ننجب طفلاً يا حبيبتني». وضعت كأس الماء على الطاولة وقطعة التشيزكيك في فمي. ذهبت إلى زاوية الغرفة حيث كان كارل وتينا وغابي وجيسي يتحدثون معاً.

- «كارل، يبدو رائعاً. أعني هنري. عليك أن توظفه بكل تأكيد. غابي، أنا أحبك وعيد ميلاد سعيد. والآن اعذرونا، يجب أن نعود إلى المنزل».

عانقت تينا وغابي بينما صافح إيثان كارل وجيسي.

خرجت مع إيثان من الباب الأمامي. كانت قد بدأت تمطر في وقت ما أثناء المساء. شعرت بالبرد، فخلع إيثان معطفه ووضعته على كتفي.

قال مداعباً: «بإمكاننا أن نسهر طوال الليل أو أن نكتفي بعلاقة حميمة واحدة ثم نشغل التلفاز وننام بسلام».

ضحكت: «الخيار الثاني يبدو رائعاً».

صعدت إلى السيارة وقد غمرني الامتنان.

إذا كان هناك عدد لا متناهِ من الأكوان، فكم كنت محظوظة لينتهي بي المطاف في هذا الكون.

قد توجد حيوات أخرى لي في هذا العالم، ولكنني لا أستطيع أن أتخيل أن هناك حياة سأكون سعيدة فيها كما أنا الآن.

فبالرغم من احتمال وجودي في أكوان أخرى، إلا أن لا واحد منها بروعة هذا الكون.

كانت غابي تكره المفاجآت، ولكنني لم أتمكن من إقناع كارل وتينا بالعدول عن خطتهما، ولن أفشي سر المفاجأة. فها نحن هنا في حفل عيد ميلادها الثاني والثلاثين، أنا وهنري وخمسون شخصاً من أصدقائها المقربين، كلنا مجتمعون في غرفة معيشة والديها الغارقة في الظلام.

سمعنا صوت سيارة والديها تتوقف عند المدخل، وحين رأيتُ مصابيح السيارة الأمامية تنطفئ، دعوت الجميع إلى التزام الصمت. سمعنا خطواتهم تدنو من المنزل.

رأينا الباب يُفتح.

أضأتُ الأنوار فصرخ كلُّ مَنْ في الغرفة: «مفاجأة!» كما كان يُفترض بنا تماماً.

اتسعت عينا غابي من الدهشة... بدت للحظة مذعورة حقاً. ثم استدارت على الفور نحو جيسي واثكأت على صدره، فضحك واحتضنها.

هناها: «عيد ميلاد سعيد!».

ثم جعلها تستدير نحونا من جديد لتنظر إلينا جميعاً .
كانت غرفة المعيشة مزينة بشكل جميل . هنالك كؤوس من
الشامبانيا الفاخرة وبار خاص بالحلوى . بحثت مع هنري اليوم في
جميع أنحاء لوس انجلوس عن مفارش مائدة مصنوعة من الكتان
تناسب مع زينة الحفلة . هنري يحب غابي لدرجة أنه قد يفعل
المستحيل لأجلها .

شقت غابي طريقها نحوي أولاً .
سألتها بينما كانت تعانقني : «هل أنت غاضبة؟ لقد أغرتني فكرة
إخبارك» .

دلّت تعابير وجهها وهي تبتعد عني على أنها لا تزال متفاجئة .
- «لا ، لست غاضبة ، بل مرتبكة ربما ، ومصدومة نوعاً ما من
قدرتك وجيسي على إخفاء كل هذا» .
- «لقد عقدنا اتفاقاً بيننا بألا نخبرك لأن الاحتفال يعني الكثير
لوالديك» .

- «هما من جهّزا كل هذا؟» .
أومأت : «إنها فكرتهما بالكامل» .
قال هنري : «عيد ميلاد سعيد!» ثم ناولها كأس شامبانيا . أخذته
منه وعانقته .

قالت غابي وعيناها على بطني : «أعتقد أنك لن تشربي
الشامبانيا» .

كنت حاملاً في الشهر السابع . إنها فتاة وسنسميها إيزابيلا تيمناً
باسم أخت هنري . لا تدري غابي أننا قررنا تسميتها إيزابيلا
غابرييل ، تيمناً باسمها أيضاً .

قلت: «لا، ولكنني سأشرب معك بروحي. هل رأيت عائلة فلينت؟ إنهم...».

نظرت حوالي بحثاً عنهم فرأيتهم في الخلف يلوحون لها ويتحدثون إلى جيسي.

اتجهت نحوهم قبل أن أنهي جملتي. عانقت أفراد العائلة التي ستزوج منها قريباً. كان من الواضح أنهم يحبونها.

قال لي كارل: «أحسنت يا صغيرتي، كنت خائفاً ألا تحافظي على السر».

- «لست كاتمة أسرار جيدة، ولكن هذا سر مهم، لذا...».
رفعت ذراعي في الهواء كأني أقوم بأداء خدعة سحرية.
نظر كارل إلى يدي ثم إلى هنري.

- «كيف تسمح لزوجتك بحضور الحفلات من دون خاتم زواجها يا بُني؟».

ضحك هنري: «يمكنك أن تقنعها بنفسك. فأنا لا أُملي عليها أفعالها».

قلت لكارل دفاعاً عن نفسي: «اضطرت لخلعه لأن أصابعي أصبحت بحجم السجق».

هز كارل رأسه مازحاً: «لم تمضِ سنة على زواجها بعد وها هي تختلق الأعذار لخلع خاتم زواجها. يا للأسف».

- «أنت محقّ. قد أهرب من بيت الزوجية في أي لحظة».
ثم أشرت إلى بطني.

ضحك كارل، وشقت تينا طريقها عبر الحشد للتحدّث إلينا.

قالت على سبيل الترحيب: «مبارك لك. ستصبحين أمّاً وممرضة في آنٍ واحد».

سأحصل على شهادة التمريض خلال سنة تقريباً، ولكن يبدو ذلك وكأنه بعد عمرٍ من الآن، فكل ما يشغل بالي في هذه الأيام هو الطفلة التي سأنجبها.

- «بدأ القلق ينتابني بخصوص قدرتي على إدارة شؤون حياتي حين أنجب الطفلة. أعني، أنا أعلم أنه باستطاعتي القيام بذلك، فالكثير من النساء يقمن بذلك. أظنني قلقة بشأن التغيرات التي ستحدث فحسب».

ابتسمت لي تينا وقالت: «ستكوني رائعة».

أضاف كارل: «كم مرة ينبغي عليّ أن أطلب منك العمل معنا في العيادة بعد أن تنتهي من الدراسة؟».

- «لا أريدك أن تشعر بأنك مضطر على توظيفي كممرضة، أريد أن أستحق ذلك بجدارة».

- «سأعطيك القميص الذي ارتديه إن احتجت إليه. ولكن ليس هذا هو السبب في أنني أعرض عليك الوظيفة».

- «حقاً؟».

- «حقاً. أريدك في عيادتي لأنك ستكونين ممرضة عظيمة».

قالت تينا: «بالإضافة إلى ذلك، هذه الطفلة الصغيرة تُعد بمثابة حفيدتنا، لذا أريدك أن تبقي قريبة منا قدر الإمكان».

قال هنري: «الجميع يريد أن يعتني بالطفلة».

أجابه كارل: «عندما تكونا متزوجين منذ فترة طويلة مثلنا،

ويكون أطفالكما قد كبروا، وتشعران بالملل، فسترغبان أن يكون لكما نصيب من الأحفاد، صدقاني. تعلمان كم أقضي من الوقت في مشاهدة التلفاز؟ أشعر بالخجل من ذلك وأحتاج إلى ما يصرفني عنه».

عادت غابي برفقة جيسي وانضمّا إلينا. قالت غابي: «ما الذي تحدثون عنه؟». أمعنت تينا النظر في غابي وجيسي: «عن الأحفاد». مازحها جيسي: «أوه، لا! لنسحب ببطء يا غابي، عسى ألا ينتبهوا إلى وجودنا».

استدارت غابي وقلّدت حركات الهروب، فسحبتها تينا هي وجيسي إلينا.

قالت تينا: «لقد تمكنت هانا وهنري من إيجاد طريقة لينجبا طفلة، وأنا أتقدم في السن. لن يضركما إذا حاولتما الإنجاب». قال جيسي: «أعدك يا تينا أنه في اللحظة التي سأتزوج فيها ابنتك، سأضع مهمة إنجاب الطفل على رأس أولوياتي». انضم إلينا إيثان وإيلا. كانا قد وصلا للتو.

قالت إيلا لغابي: «أعتذر عن تأخرنا. لقد كنتُ مشغولة في العمل، وأنّ تعلمين كيف يكون ذلك. عيد ميلاد سعيد!». عانقتها غابي ثم التفتت نحو إيثان، الذي عانقها مبتسماً. ثم صافح هنري وربّت على ظهر جيسي، ثم عانقني. قال إيثان: «ولكننا أحضرنا لك هدية للتعويض عن ذلك».

إنها علبة شوكولاتة جوديفا. ما إن وقعت عيناها عليها حتى اشتبهت أن أحشرها كلها في فمي. أستطيع أن آخذها من غابي

لاحقاً إذا أردت، أو ربما سأشتري بعضاً منها. أعلم أنني لو قلتُ إنني أريدها، فسيتوقف هنري في طريق عودتنا إلى المنزل ويشتريها. فهو دائماً ما يحضر لي الطعام الذي أريده، مهما كان الوقت متأخراً، ويقول إن هذا من واجبه وإنه أقل ما يمكنه أن يقدمه لي: «أنت تحمليين الطفلة وأنا أحضر الطعام». صحيح أن رائحة أنفاسه كريهة في الصباح، كما أن الكرم ليس من سماته البارزة، ولكنني أشعر بأنني المرأة الأكثر حظاً في العالم.

استمرت الحفلة وكل منا بدوره يروي ويتبادل القصص والنوادر بخصوص غابي. وعندما بلغت الحفلة أوجها، طلب أحد الحضور من جيسي أن يروي قصة لقائه مع غابي. عمّ الهدوء المكان شيئاً فشيئاً حتى سكت الجميع للاستماع إليه. وقف جيسي عند قاعدة المدفأة حتى يتمكن الجميع من رؤيته وسماعه. سألته عن طوله ذات يوم، فأخبرني أنه مئة وسبعة وستون سنتيمتراً.

«حين كنت في الصف العاشر، وفي اليوم الأول من دروس الهندسة، نظرتُ إلى مقدمة الصف ورأيت أجمل فتاة وقعت عليها عيناى».

لقد روى جيسي هذه القصة حوالي تسعة آلاف مرة، وفي كل مرة كان يبدأها بنفس الطريقة.

- «أعرف أن غابي ستقول إن الجمال لا ينبغي أن يكون أول شيء ألاحظه فيها».

نظر إليها، فابتسمت له.

- «ولكنني لم أتمكن من تجاهل ذلك، لقد كانت رائعة. ولحسن حظي، كانت قصيرة أيضاً، لذا ظننتُ أن لدي فرصة معها».

ضحك الجميع .

- «ولكنني لم أطلب منها أن تواعدني لأنني كنت جباناً . ثم بعد ثلاثة أسابيع ، طلبتُ مني فتاة أخرى الخروج معها فوافقْتُ ، لأنك عندما تكون في الخامسة عشرة وتطلب منك فتاة الخروج معها ، توافق على الفور» .

تعالَت ضحكات الجميع مجدداً .

- «واعدتُ جيسيكا طوال المرحلة الثانوية ، ثم انفصلنا في السنة الأخيرة . وما الذي فعلته بعد ذلك ؟ ذهبتُ إلى غابي فوراً وطلبتُ منها أن تخرج معي في موعد . قضينا وقتاً رائعاً ، وبعد ذلك ، اتصلتُ بي حبيبتِي السابقة في صباح اليوم التالي وقالت إنها تريد أن نعود لبعضنا . و . . . سأختصر القصة ، تزوجتُ من جيسيكا . على أية حال ، انفصلنا في النهاية . كان علينا أن ننفصل ، إذ لم تكن مناسبين أحداً للآخر . وحين أدركتُ ذلك ، لم يكن هناك سبيل للعودة ، فتطلقنا . وبعد بضع سنوات ، تلقيتُ طلب صداقة على فيسبوك من غابي هدسون . غابي هدسون العظيمة» .

هذا هو الجزء المفضل لديّ . الجزء الذي يسمّيها فيه «غابي هدسون العظيمة» .

«أخذتُ زمام المبادرة وبدأتُ أتعقب حسابها على فيسبوك متسائلاً ما إذا كانت عازبة وما إذا كانت ستقبل بمواعدتي إلى آخره . . . وسرعان ما خرجنا لتناول الغداء معاً على الشاطئ في سانتا مونيكا . رفضتُ أن تدعني أدفع ثمن الغداء وقالت إن أفضل طريقة هي أن يدفع كلٌّ منّا ثمن وجبته ، ثم مشينا عائدين إلى سيارتي . لم أخبرها بذلك وقتها كي لا أخيفها ، ولكنني شعرت بأنني

فهمتُ أخيراً لماذا الناس يتزوجون مرة ثانية. انفطر قلبي بعد فشل زواجي ولم أشعر بأنني مستعد لخوض التجربة ثانية. ثم اتضح لي كل شيء وفهمت أن زواجي لم ينجح في المرة الأولى لأنني اخترتُ الشخص الخطأ. أما الآن، فهذا هو الشخص المناسب يقفُ أمامكم. فانتظرت حتى قضينا بضعة أشهر من المواعدة ثم أخبرتها بشعوري، فقالت إنها تُبادلني الشعور نفسه، والآن سنتزوج. والحقيقة أنني أكثر الرجال حظاً في هذا العالم».

كانت هذه هي نهاية قصته عادةً، ولكنه واصل الكلام.

- «قرأت مؤخراً كتاباً يتحدث عن الكون».

ثم نظر حوله قائلاً: «تمهلوا، ثقوا بي، ما سأقوله له علاقة بقصتي».

ضحك الحضور مجدداً.

- «قرأت فيه نظريات مختلفة عن الكون، وتأثرت حقاً بتلك النظرية التي يؤمن بها بعض علماء الفيزياء الموثوقين والتي يُطلق عليها نظرية الأكوان المتعددة، والتي تنص على أن كل ما هو محتمل لا بد أن يحدث. هذا يعني أنه عندما ترمون ربع دولار في الهواء، سيسقط طُرَّةٌ ونقشاً، وليس طُرَّةٌ أو نقشاً. فكل مرة ترمون قطعة نقدية وتسقط طُرَّةٌ، أنتم بكل بساطة في العالم الذي سقطت فيه العملة طُرَّةً. وهنالك نسخة أخرى منكم، خُلِقَتْ في الثانية التي رميتم فيها العملة، رأت العملة تسقط نقشاً».

كل ثانية من كل يوم، ينقسم العالم أكثر فأكثر إلى عدد لا متناهٍ من الأكوان الموازية التي يحدث فيها كل ما يمكن أن يحدث.

هنالك البلايين بل التريليونات أو حتى الكوادريليونات من النسخ المختلفة منا تعيش عواقب خياراتنا. ما أريد قوله هو أنني أعلم أنه قد يكون هنالك أكوان أخرى اتخذت فيها خيارات مختلفة أدت بي إلى مكان آخر، وإلى شخص آخر».

نظر إلى غابي: «وقلبي ينفطر على كل نسخة مني لم تجد طريقها إليك».

أجهشتُ بالبكاء، ربما بسبب تأثري بهذه اللحظة، أو بسبب هرموناتي. نظرت إلى غابي، ورأيت الدموع في عينيها أيضاً. أنهى جيسي كلامه، ولكن عيون الحاضرين بقيت عليها. كان الجميع يحدقون فيها. كان عليّ أن أفعل شيئاً، ولكنني لم أعرف ما هو. صرخ هنري بصوت عالٍ: «شكراً لجعل بقية الرجال يبدون سيئين!».

ضحك الحضور وتفرّقوا. نظرت إليه، فمسح دموعي. مازحني قائلاً: «أحبك بقدر ما يحبها ذلك المتباهي، ولكنني لم أشاهد نفس الحلقة من برنامج نوبا».

- «أعلم ذلك. أعلم».

لأنني أعلم حقاً.

سألت هنري: «هل تعتقد أن هذه النظرية صحيحة؟ هل تعتقد أن هنالك عدة نسخ منا لم تلتق ببعضها قط؟».

- «ربما نسخة منك لم تتعرض لحادث سير وانتهى بها الحال بالزواج من طاءٍ يعدُّ لفائف القرفة؟».

- «كل ما هو محتمل لا بد أن يحدث...».

- «هل تمنين لو كنت متزوجة من طاءٍ يعدُّ لفائف القرفة؟».

- «أتمنى لو أنك كُنت ماهراً في إعداد لفائف القرفة، ولكن لا، أنا راضية بهذا الكون».

قال متسائلاً: «هل أنت متأكدة؟ يمكننا أن نحاول تحدّي المكان والزمان والبحث عن زوج آخر لك».

- «لا، أنا أحب هذا الكون. وأحبك. وأحبها»، قلت مشيرة إلى بطني. «وأحب غابي وجيسي وكارل وتينا. أنا متلهفة للحصول على شهادتي في التمريض، ولا أمانع أن وركي يؤلمني أحياناً. فنعم، أظنني سأبقى هنا».

قُبِّلني: «حسناً. أخبريني إذا غيرت رأيك».

ذهب إلى دورة المياه، فتوجهت نحو غابي وتينا الواقفتين بجانب طاولة التشيزكيك. أردت الحصول على قطع تشيزكيك صغيرة، لكن حال بيني وبينها رجل ضخّم، طلبت منه أن يفسح لي الطريق ولكنه لم يسمعني. كنت على وشك الاستسلام عندما سمعت فجأة صوتاً من خلفي يقول:

- «سيدي، هل يُمكنك أن تفسح لها الطريق؟».

التفتُ أنا والرجل الضخم لرؤية المتكلم. إنه إيثن.

قال الرجل الضخم: «أوه، أنا آسف. أنا لا أشبع من تناول التشيزكيك. عندما أقف أمامها، يتلاشى كلُّ شيء من حولي». ضحكْتُ وأكملْتُ طريقي برفقة إيثن.

سألني وهو يتناول قطعة من فطيرة الموز بالكريمة: «أنت في الشهر السادس الآن؟».

أجبت وأنا أتناول قطعة تشيزكيك: «السابع».

- «ما هذا؟ ألا توجد لفائف قرفة لأجلك؟».

- «إنها حفلة مسائية، فلا بأس، لكنني أكلتها بلا توقف في الفترة الأخيرة. يقول هنري إن رائحة القرفة تنبعث من شعري».

ضحك إيثان: «أصدقه. بعد انفصالنا، كانت رائحة القرفة تجعلني أشعر بالاكئاب».

ضحكت: «لم تخبرني بهذا قط. كم من الوقت استمر ذلك؟ حتى عطلة عيد الشكر؟».

ضحك ثانية: «قد لا تصدقيني، ولكنها الحقيقة».

- «لم يكن ينبغي عليك أن تنفصل عني إذا».

قهقهة: «بل أنت من انفصل عني!».

- «أوه، أرجوك. اخدع شخصاً آخر».

- «على أية حال، أيّاً كان من انفصل عن الآخر، لقد انفطر

قلبي».

- «وأنا أيضاً».

- «حقاً؟».

قالها كما لو أنها معلومة أشعرته بالارتياح.

- «أتمزح؟ لم أعاشر أحداً لسنوات بعد أن انفصلنا لأنني كنت

أفكر فيك. أراهن أنك لم تتصرف بالمثل».

ضحك: «لا، لقد عاشرت نساءً بكل تأكيد، ولكن... هذا لا

يعني شيئاً».

- «لطالما راودني شعور بأننا سنعود لبعضنا في مرحلة ما.

عقلية المراهقين مضحكة حقاً».

هز كتفيه وهو يأكل فطيرته: «ليست مضحكة لهذه الدرجة، فقد راودني الشعور نفسه من حينٍ إلى آخر، كنت على وشك أن...».

- «على وشك ماذا؟».

- «عندما عدتِ إلى لوس أنجلوس، قبل الحادث، ظننتُ أنه ربما...».

استرجعت ذكريات تلك الفترة. لقد كانت صعبة جداً. واجهتها بابتسامة على وجهي بالرغم من كل شيء، وبذلت ما بوسعي لأحافظ على رباطة جأشي، ولكن حين أفكر فيها الآن، أتذكر كم كانت فترة قاسية. أفكر بالطفل الذي فقدته وأتساءل... عما إذا كان عليّ أن أفقد ذلك الطفل للوصول إلى ما أنا عليه الآن. أتساءل عما إذا كان عليّ أن أفقد ذلك الطفل لأحظى بهذه الطفلة.

- «أعتقد أنني ظننتُ ذلك أيضاً».

- «لم تسر الأمور على هذا النحو...».

- «لا، لم تسر».

شاهدت هنري عائداً من دورة المياه. لقد توقف ليتحدث مع كارل. إنه يحب كارل. فلو كان الأمر بيده، لوضع تمثالاً برونزياً لكارل في غرفة معيشتنا.

قلت لإيثان: «من يدري، إذا كانت نظرية جيسي عن وجود أكوان أخرى صحيحة، فربما هناك كون تمكّننا فيه من إنجاح علاقتنا».

ضحك: «نعم، ربما».

رفع فطيرته كما لو أنه يرفع نخباً، فرفعت التشيزكيك الخاص بي أيضاً.

قال: «ربما في حياة أخرى».

ابتسمت له وتركته بجانب طاولة الحلويات.

اشتقتُ لزوجي. كان يقف الآن مع غابي وجيسي وكارل وتينا، فانضمت إليهم.

قالت غابي: «أرى أنك وجدت التشيزيك».

- «المرأة الحامل تجد التشيزيك دائماً. أنت تعلمين ذلك».

اقترب مني هنري مواصلاً حديثه مع كارل. وضع ذراعه حولي وضغط عليّ، ثم فتح فمه واسعاً. ابتسمت له وأطعمته التشيزيك. تركت الكريمة أثراً على فمه.

قال بفم ممتلئ: «أنا أحبك».

بالكاد سمعت ما لفظه، ولكن لم يكن لديّ أدنى شك فيما قاله.

قبل جيني ومسح على بطني.

في ليلة سبت، حين كنت في أواخر العشرينات من عمري، تعرضتُ لحادث سيرٍ وقادني حادث السير هذا إلى زواجي من ممرضتي الليلي. إن لم يكن هذا قدراً، فلا أعلم ماذا يكون.

فبالرغم من احتمال وجودي في أكوان أخرى، إلا أن لا واحد منها بروعة هذا الكون.

مكتبة

t.me/soramnqraa

شكر وامتنان

أنا محظوظة جداً لوجود أكثر من غابي في حياتي، ولهذا أنا ممتنة كل يوم. شكراً لإيرين فريكر، جوليا فورلان، سارة أرينغتون، وتمارا هنتر لأنكم أناس رائعون وأصدقاء مقربون. هذا الكتاب مُهدى لكم، لأن صداقتكم كانت سنداً لي عندما لم أكن متأكدة من أي خطوة كنت أخطوها.

شكراً لبي آرثر، أندي بوتش، كايتي برايدون، إيميلي جورجيو، جيسي هيل، فيليب جوردان، تيم بوليك، ريان لباورز، جيس رينوسو، آشلي وكولن رودجر، جيسون ستامي، كيت سوليفان، وكل الأصدقاء الرائعين الذين ساندوني بشكل لا يصدق، أنا محظوظة جداً لمعرفتكم جميعاً ولكونكم جزءاً من حياتي.

شكراً لكارلي ووترز، أروع وكيلة في العالم. كثيراً ما أشكر الأقدار (أو الصدف) على إرشادي إلى مدوّنتك عام 2012 والاستفسار عنك. كونك تمثليني هو تعريف دقيق للقدر أو للصدفة الرائعة. أنا ممتنة كذلك لبراد مينديلسون وريتش غرين. شكراً لك يا براد على فهمك لي وعلى إدراكك لعملي. وأنت يا ريتش، أنا متحمسة جداً لما قمنا به.

غريز هندريكس، من المستحيل أن أتخيل كوناً تكونين فيه أكثر

لطفاً. شكراً لكونك شخصاً يحلو الحديث معه ويتقن عمله. لا يمكن لروايتي أن تجد أيادي أأمن من يديك. وينطبق الشيء نفسه على سارة كاتنين، وتوري لوي، وبقية فريق أتريا.

إلى عائلتي هانس وريد، شكراً لكم. أقول لروز ووارن، سالي وبيرني، ونيكو وزاك: حين أخبر أصدقائي كم أحب أهل زوجي، ينظرون إليّ وكأنني طالبة تذكّر معلمها أنه نسي أن يعطي الصف واجباً منزلياً، ولكنني لن أكلّ من قول كم أحبهم. والواقع أنني محظوظة لأن زوجي من عائلة رائعة كهذه. أحبكم جميعاً.

إلى عائلات جينكينز وموريس، شكراً لكم. إلى أمي ميندي وأخي جيك، أحبكم. أنا محظوظة جداً لأنكما بجانبني دائماً. شكراً لكما على إيمانكما الدائم بي ولأنكما كنتما منتدي نتناقش فيه عن الحياة والإنسانية.

إلى جدتي ليندا، فإن الكلمات لن تعبر عن مدى حبي لك. تشعرني معرفتك بالتواضع، كما أشعر أنني محظوظة أن أكون حفيدتك. شكراً لك على كل لحظة قضيناها معاً. أصبحت من أنا عليه لأنني نشأت وأنا أحاول أن أجعلك فخورة بي. اعتبري هذا وعداً صادقاً مني بأنني لن أنسى أن أستمتع بمباهج الحياة حولي.

وأخيراً، أقول لأليكس ريد: هذا الكتاب ليس عنّا، ولكن هناك سطرًا واحدًا كتبته من أجلك فقط. «أعلم أنه قد تكون هناك أكوان أخرى اتخذت فيها خيارات مختلفة أدت بي إلى مكان آخر، وإلى شخص آخر. وقلبي ينفطر على كل نسخة مني لم تجد طريقها إليك».

مكتبة

t.me/soramnqraa

ربما في حياة أخرى

«الحياة رحلة طويلة نتخذ فيها عدداً لا يحصى من القرارات. لطالما أقنعت نفسي بأن القرارات الصغيرة ليست مهمة، وبأنه سيتهي بي المطاف في المكان الذي أحتاج أن أكون فيه، بغض النظر عما أفعله. قدرتي سيجدني. لذا قررت...
...العودة إلى المنزل مع غابي.
...البقاء في الحانة مع إيثان».



ماذا يحدث لهاننا عندما تغادر الحفلة مع غابي؟ ماذا يحدث لها عندما تبقى لوقتٍ أطول مع إيثان؟ عبر رسم المسارَيْن المختلفَيْن تماماً واللَّذَيْن اتخذتهما حياة هانا إثر قرارٍ صغيرٍ واحد، تستكشف هذه الرواية الجميلة الخيارات التي نتخذها، وكيف يمكن لأبسط القرارات أن تكون لها عواقب كبرى على حياتنا، كما تطرح أسئلةً عن القدر، والمصير، والمسؤولية، والحب الحقيقي. هل ثمة شيءٌ مقدّر ومكتوب؟ كم من حياتنا يتحدّد بالصدفة؟ هل يمكن للأخطاء أن تنتج أشياء عظيمة؟ هل حياتنا محدّدة مسبقاً أم أنّها سلسلة من خيارات عشوائية نتخذها؟ قراءة منعشة، ملهمة، تستفزّ فكرنا وتذكّرنا على نحوٍ إيجابيٍّ أنّ هناك دائماً دروباً جديدة في الحياة.



«كتابٌ لا يمكن التنبؤ به كحال الحياة نفسها: ممتاز...! أسلوب رائع، حبكة ثاقبة وذكيّة، ولكم أبهرني كيف صيغت القصّتان بتلك الدقة والسلاسة والإقناع».

موقع فريش فيكشن